الصلاة

تأليف

حمد بن إبراهيم العثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

المقدمة

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فإنَّ مدارسة معاني العبادات؛ من أوجب ما ينبغي تبيينه وشرحه وتوضيحه، وهو من أسباب قيام المتعبدين بهذه العبادات بما يحقق مقاصدها ومعانيها، ويقيم شروطها وأركانها وواجباتها ونوافلها.

والصلاة عمود الإسلام، وهي أعظم العبادات التي يقيم بها المسلمون توحيد الله، فتحيا قلوبهم بذكر الله، وتشرق بنور الوحي، وتتغذىٰ بالقيام بالقرآن وبمناجاة الله، ويتزود منها المسلمون في يومهم وليلتهم خمس مرات؛ لتعتدل أحوالهم وتستقيم أمورهم، فيصبحوا مصلِّين، ويمسوا مصلِّين، وقد أذهبوا عن قلوبهم وأبدانهم أثقال الذنوب، وغسلوا أدران المعاصي، خاضعين لله، حنفاء، غير مشركين به، منيبين إليه في كلِّ صلاة، أوابين في أوَّل النَّهار، وأوسطه، وآخره، وأول الليل وأوسطه وآخره.

يصلي المسلم لله مقيمًا وجهه إليه، خاضعًا بين يديه، يناجيه، يدعوه، ويستغفره، يركع ويسجد له، يستكين له في جلوسه بين يديه، يقيم الصلاة تحقيقًا لمعنىٰ «الله أكبر»، التي ابتدأ بها صلاته، فهو في تعظيم لله في صلاته كلِّها.

الصَّلاةُ اختُصَّتْ من بين سائر الفرائض والأركان والواجبات بفرضها

في السماء في معراج النَّبيِّ ﷺ؛ حيث كلمه الله بفرضها وتشريعها كفاحًا بلا واسطة؛ تعظيمًا وتفخيمًا للصلاة وعناية بأمرها.

والصلاة هي أول ما أمر به النَّبيُّ ﷺ مَنْ أتىٰ بالشَّهادتين؛ ليقيم حق الله في كلمة التَّوحيد؛ ليكون إيمان من أسلم تحقيقًا وانقيادًا لله، لا مجرد معرفة واستكبار عن الله.

والصلاة هي آخر ما أوصىٰ به النبيُّ ﷺ أمَّته، فقال: «**الصَّلاة، الصَّلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»(١)، فأوصىٰ بحقِّ الله، وحقِّ المخلوق.

والنبيون - عليهم السلام - سألوا الله أن يجعلهم وذراريهم ممَّن يقيم الصلاة، فكان من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وكان الأنبياء يتعاهدون ذرِّيتهم وقومهم بالصَّلاة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

والأمر بالصَّلاة هي وصية الحكماء الوارثين لعلم النبوَّة، قال لقمان لابنه وهو يعظه - بعد أن أمره بالتَّوحيد وبرِّ الوالدين -: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٨٥- رقم ١٥٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حقِّ المملوك (ص ٧٢٤- رقم ٥١٥٦)، وصحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: ١٧].

وعناية العلماء بالتصنيف في الصلاة عظيمة؛ لأنها آكد الأركان بعد الشهادتين، ولأنها أساس لقبول سائر الأعمال.

ومن أعظم المصنَّفات في «الصلاة» كتاب العلامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهو من أجلِّ ما صُنِّفَ فيها».

ومن المصنَّفات النَّافعة في بيان معاني الصَّلاة ومقاصدِهَا؛ كتاب «الصَّلاة» لابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع ما تضمَّنته سائر كتبه من فوائد أحكام ومعاني الصَّلاة.

والمصنَّفات في الصَّلاة كثيرةٌ، وفي العزو إلىٰ المصادر التي كتبت فيها مادة هذا الكتاب تنبيهٌ إليها، والمقصود من كتابة هذا المصنَّف: التَّعاون مع المسلمين في ذكر منزلة الصلاة وشيء من فضائلها وبيان معاني الصلاة، والنصح لي ولهم بإقامتها كما أمر الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

حمد بن إبراهيم العثمان

❁ ❁ ❁

(١) الأحكام الكبير (٢/ ٣٨٦).

فرضية الصَّلاة في السماء

أحكام الشَّريعة أوامرها ونواهيها نزل بها جبريلُ علىٰ نبيِّنا محمد ﷺ، أمَّا الصلاة فشأنها عظيم؛ فُرضت في السماء، عند عروج النبيِّ ﷺ إلىٰ ربِّهِ، فكلمه الله بفرضيتها مباشرة.

فقد أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلىٰ بيت المقدس، راكبًا البراق في صحبة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم عُرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلىٰ السماء الدنيا، ثم للتي تليها، ثمَّ الثَّالثة، ثم إلىٰ التي تليها، ثمَّ الخامسة، ثمَّ التي تليها، ثمَّ السابعة، ثم عُرِج به إلىٰ سدرة المُنْتَهَىٰ، وفرض الله عليه الصلوات تلك اللَّيلة[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فرض الله سبحانه عليه الصلاة ليلتئذ خمسين، ثمَّ خفَّفها إلىٰ خمس، وتردَّد بين موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين ربِّه - جلَّ وعزَّ - في ذلك، ثمَّ أُهبط إلىٰ الأرض إلىٰ مكَّة إلىٰ المسجد الحرام، فأصبح

(١) رواه البخاري، كتاب الصَّلاة، باب كيف فُرضت الصَّلاة في الإسراء (ص ٦٢- رقم ٣٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السَّموات وفرض الصَّلوات (ص ٨٤- رقم ٤١٥) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ (ص ٢٩٦).

يُخبر النَّاس بما رأىٰ من الآيات».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فُرِضَت الصَّلاةُ ليلةَ المعراج من الله إلىٰ الرسول بدون واسطة، وهذا يدلُّ علىٰ أهمِّيَّتها والعناية بها».

وقال أيضًا شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فُرِضَت الصَّلاة ليلة المعراج، حين عُرِج بالنبيِّ ﷺ، وذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وفُرضت الصلاة أوَّل ما فرضت ركعتين، فلمَّا هاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة أُقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر، فصارت الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والعشاء أربعًا، وبقيت الفجر علىٰ ركعتين؛ لأنه يطول فيها القراءة، وبقيت المغرب علىٰ ثلاث؛ لأنَّها وتر النهار.

والظاهر أنَّها شُرعت علىٰ هذا الوجه من قيام وركوع وسجود وقعود؛ لأنَّ حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لم تذكر فيه إلَّا التغيير في عدد الركعات فقط؛ فعُلم بذلك أن ما سواه لم يتغيَّر».

❁ ❁ ❁

(١) تفسير سورة الشورىٰ (ص ٢٨٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ١٤، ١٥).

اتِّفاق الشرائع على فرض الصلاة

ما بُعِث نبيٌّ إلَّا كانت دعوته: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف: ٥٩]، وبُعث النبيون – عليهم السلام – بالأمر بالصَّلاة ليقوم الخلق بتحقيق العبودية لله، فلم يكن في شريعة أحد من النبيين - عليهم السلام - توحيد معرفة فقط بلا عبوديَّةٍ لله.

وإمامة النبيِّ ﷺ بالنبيين - عليهم السلام - في بيت المقدس في الإسراء دليل علىٰ اتفاق الشَّرائع علىٰ الأمر بالصلاة، وأنَّ إقامتها دينهم جميعًا، وفي ذلك تفخيم وتعظيم لشأنها. قال يحيىٰ بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يبعث نبيًّا قط إلَّا بهؤلاء الخمس: التَّوحيد، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، وشرائع بعد».

وقال العلَّامة أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٤ هـ)[2]: «لم يفترض عليهم بعد توحيده، والتصديق برسله، وما جاء من عنده فريضة أولىٰ من الصَّلاة، وأخبر أنَّ ذلك أمره لهم، وللأنبياء والأمم قبل أن يبعث محمدًا ﷺ؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ

(١) الحجة في بيان المحجَّة (٢/ ١٥١).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (ص ٦٨).

حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة: ١-٥]».

والصلاة من أفضل الطاعات؛ لذلك اتَّفقت الشَّرائع علىٰ الأمر بها وأدائها، وهي أعظم العبادات تحقيقًا للتَّوحيد، فهي من حنيفية التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الحنيفية والتوحيد هي دين جميع الأنبياء الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وهو الفطرة التي فطر الله عليها عباده، فمن كان عليها فهو المهتدي، لا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا؛ فإنَّ الحنيفية تتضمَّن الإقبال علىٰ الله بالعبادة والإجلال والتعظيم والمحبَّةِ والذُّلِّ.

والتَّوحيد يتضمَّن إفراده بهذا الإقبال دون غيره؛ فيُعبد وحده ويُحبُّ وحده، ويُطاع وحده، لا يُجعل معه إله آخر».

ومقصود بناء الكعبة هو توحيد الله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾؛ ولتكون قبلة للمصلِّين، يتوجَّهون بقلوبهم وأبدانهم وجوارحهم لله تعالىٰ، فيعبدونه مصلِّين له خاضعين خاشعين،

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٨٠).

قال إبراهيم – عليه السلام –: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قال العلَّامة محمَّد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «دلَّ ذلك أنَّه لا عمل أفضل من الصَّلاة، ولا يوازيها».

وإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي جعل الله في ذريَّته النبوَّة والكتاب، شرع الله له ولهم الصَّلاة وأمرهم بها، قال سبحانه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٢، ٧٣]، وقام النبيون عليهم السلام من ذريته بالدعوة إليها والأمر بأدائها: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وهكذا كلُّ النبيين أقاموا الصلاة تحقيقًا لعبوديتهم لله بإجابة أمره في أدائها، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨]، قال العلامة أبو عبد الله المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أخبر عن جميع الأنبياء أنَّ مفزعهم كان إلىٰ الصَّلاة، يعبدون الله، ويتقرَّبون إليه بها».

---

(١) تعظيم قدر الصَّلاة (ص ٧٥). (٢) تعظيم قدر الصلاة (ص٨٤).

الصلاة أساس الإسلام وشعار الملَّة

أركان الإسلام – خصوصًا الصَّلاة – هي أساس الدِّين ومبانيه العظيمة التي يقوم عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة: ٥]، فالدين القيِّمُ توحيد الله وإِقامة مبانيه وأركانه.

فالتوحيد أساس الإسلام، والصَّلاة من حقِّه وهي شعار الملَّة، والحدُّ الْفاصل بين المسلم والكافر، قال تعالىٰ: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١﴾ [الروم: ٣١]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هي – الآية – من أعظم ما ورد في القرآن في فضل الصلاة».

وقال الله في وصف رسوله ﷺ وأصحابه: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، قال العلَّامة أبو عبد الله محمَّد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «شهد الله بالإيمان لمن أقام الصَّلاة لربِّه».

---

(١) فتح الباري (٢/ ٧).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (ص٢٣١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من صلَّىٰ صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الَّذي له ذمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله، فلا تخفروا الله في ذمَّته**»، رواه البخاري[١].

وفي سؤالات هرقل لأبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حال كفره عن محتوىٰ دعوة النبيِّ ﷺ التي بُعث بها، قال هرقل: بم يأمركم؟

قال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يأمرنا أن نعبد الله ولا نُشرك به شيئًا، ويأمرنا بالصَّلاة، والصِّدق، والعفاف، رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

فدعوة الإسلام أجْمَلَها من كان كافرًا بها ببيان ما عرفه منها؛ توحيد الله وعبادته ومحاذرة الشِّرك، والصلاة، والصدق، والعفاف؛ فهي دعوة توحيد وعبادة وأخلاق.

ومن أعظم ما يكون من صفة المسلم في تحقيق التوحيد في الحياة الدُّنيا: الصلاة والجهاد؛ فبهما يكون الدين لله، وتكون كلمة الله هي العليا، وكان النبي ﷺ إذا عاد مريضًا قال: «**اللهم اشفِ عبدك؛ يشهد لك صلاةً، ويَنْكَأُ لك عدُوًّا**»[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة (ص٦٩- رقم ٣٩١).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٧٢)، وأبو داود (٣١٠٧).

وكلمة التوحيد بحقوقها أساس الإسلام، فاعتقادها وتحقيقها عملًا بأركانها هو الذي يكون به المرء مسلمًا ويُعصم دمه، وليس المراد قولها لفظًا وتعطيلها حقيقة، وهذه عقيدة الصحابة إجماعًا وقولًا واحدًا، وهذا ما حاجَّ به الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابة، فوافقوه علىٰ بيانه للحق والعمل به.

قال النبي ﷺ: «أُمرت أن أُقاتل النَّاس حتَّىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالهم»، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «توهَّم طائفة من الصَّحابة أنَّ مراده أنَّ مجرَّد هذه الكلمة يعصم الدم، حتَّىٰ توقَّفوا في قتال من منع الزَّكاة، حتَّىٰ بيَّن لهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ورجع الصَّحابة إلىٰ قوله - أنَّ المراد: الكلمتان بحقوقهما ولوازمهما، وهو الإتيان ببقية مباني الإسلام.

وقد تبيَّن صحَّة قوله بروايات أخر تصرح بإضافة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة إلىٰ الشهادتين في شرط عصمة الدم.

وكذلك قوله - ﷺ -: «**من قال: لا إله إلا الله. لم تمسه النار - أو: دخل الجنَّة** -»، إنَّما أراد الشهادتين بلوازمهما وتوابعهما، وهو الإتيان ببقية أركان الإسلام ومبانيه».

---

(١) فتح الباري (٤/ ٢١٥، ٢١٦).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن الصَّلاة قد اختُصَّتْ من سائر الأعمال بخصائص ليست لغيرها؛ فهي أوَّل ما فَرَضَ الله من الإسلام؛ ولهذا أمر النبيُّ ﷺ نوابه ورسله أن يبدءوا بالدعوة إليها بعد الشهادتين، فقال لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ستأتي قومًا أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»، ولأنَّها أول ما يحاسب عليها العبد من عمله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الصلاة أوَّل أعمال الإسلام، وأصل أعمال الإيمان؛ ولهذا سمَّاها إيمانًا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس».

فالحد الفاصل بين المسلم والكافر التوحيد بإقامة حقوقه وأعظمه الصَّلاة، فالكافرون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨]، والمؤمنون: ﴿إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: ١٥].

وقال النبي ﷺ: «**العهد الَّذي بيننا وبينهم الصَّلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»[٣].

---

(١) الصلاة (ص ٣١).

(٢) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٦٨).

(٣) قال العلَّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رواه الإمام أحمد وأهل السُّنن بإسناد صحيح»، دروس =

قال العلامة أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أخبر أنها نظام التَّوحيد، وأكفر بتركها كما أكفر بترك التَّوحيد».

فمن تولىٰ عن التوحيد وآكد حقوقه كالصلاة؛ فقد أبان عن كفره، قال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن الصلاة هي الفارقة بين الكفر والإسلام».

فالقرآن كلُّه خبرٌ وأمرٌ ونهيٌ، فلا يقال: من صدق ولم يكذب فهو مسلم، إذا تولىٰ عن الانقياد، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، فمن لم يصلِّ هذا كفره كفر تولٍّ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فالمتولي عن الصلاة كافر».

فترك الصَّلاة والتَّكذيب بفرضها متلازمان؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]:

=

وفتاوى في المسجد الحرام (ص ٦١).

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ٩٥، ٩٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤).

(٣) الصلاة (ص٤٢).

(٤) الصلاة (ص٤٣).

«لا يصرُّ علىٰ ترك الصَّلاة إصرارًا مستمرًّا من يُصدِّق بأنَّ الله أمر بها أصلًا، فإنَّه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدِّقًا تصديقًا جازمًا أنَّ الله فرض عليه كل يوم وليلة خمس صلوات، وأنه يعاقبه علىٰ تركها أشدَّ العقاب، وهو مع ذلك مصرٌّ علىٰ تركها؛ هذا من المستحيل قطعًا، فلا يحافظ علىٰ تركها مصدِّق بفرضها أبدًا؛ فإن الإيمان يأمر صاحبه بها، فحيث لم يكن في قلبه ما يأمره بها؛ فليس في قلبه شيء من الإيمان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ [القيامة: ٣١]، وكلُّ من لم يُصدِّق لم يصلِّ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ الصَّلاة هي أعرف المعروف من الأعمال، وهي عمود الإسلام، وأعظم شرائعه وهي قرينة الشَّهادتين، وإنَّما فرضها الله ليلة المعراج، وخاطب بها الرسول ﷺ بلا واسطة، لم يبعث بها رسولًا من الملائكة، وهي آخر ما وصَّىٰ به النبي ﷺ أمَّته، وهي المخصوصة بالذكر في كتاب الله تخصيصًا بعد تعميم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۝١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقوله: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٦٦).

(٢) الفتاوىٰ العراقيَّة (١/ ٣٧٥، ٣٧٦).

وهي المقرونة بالصَّبر وبالزَّكاة وبالنُّسك وبالجهاد في مواضع من كتاب الله؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]».

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورىٰ: ٣٨]، قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله نصَّ عليها بعد التعميم؛ لأنَّ قوله: ﴿ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ يشمل الصلاة وغيرها، فلمَّا قال: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، نصَّ عليها بخصوصها، وهذا دليل علىٰ العناية بها، وحُقَّ والله أن يُعتنىٰ بها؛ لأنَّه ليس هناك عبادة أقوىٰ صلة بك لله عَزَّوَجَلَّ من الصلاة».

وروىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بين الرَّجل وبين الشِّرك والكفر ترْكُ الصَّلاة**».

وكان الصحابة يحكمون بكفر تارك الصلاة، قال التابعي شقيق بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»، رواه الترمذيُّ، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «بإسنادٍ صحيح».

---

(١) تفسير سورة الشورىٰ (ص ٢٨٧، ٢٨٨).

(٢) رياض الصالحين (ص ٣٧٤)، ط: دار المنهاج.

وقال العلَّامة محمَّد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ذكرنا الأخبار المرويَّة عن النَّبيِّ ﷺ في إكفار تاركها وإخراجه إيَّاه من الملَّة، وإباحة قتل من امتنع من إقامتها[٢]، ثم جاءنا عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مثل ذلك، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك».

والحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق الأحاديث عن النبيِّ ﷺ، والآثار عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في كفر تارك الصلاة، قال[٣]: «ما يدلُّ علىٰ أنَّ الصَّلاة من الإيمان، ومن لم يصلِّ فلا إيمان له ولا إسلام».

فالصَّلاة الحدُّ الفاصل بين المسلم والكافر، وقد كان المنافقون في عهد النبيِّ ﷺ يصلون رياءً؛ لإظهار أنهم مسلمون؛ ليعصموا رقابهم من القتل.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أمَّا قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤]؛ عنىٰ به المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ حتىٰ يذهب الوقت، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾؛ يقول: إذا رأوهم صَلَّوا، وإذا لم يروهم لم يُصَلُّوا.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ٥٨٥).

(٢) الحدود والتعزيرات يقيمها ولي الأمر.

(٣) الشريعة (١/ ٦٥٤).

(٤) الرَّدُّ علىٰ الزنادقة والجهميَّة (١٧٨، ١٧٩).

وأمَّا قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]؛ يعني: من المُوَحِّدِين المؤمنين».

وتفسير الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموحدين بالمصلِّين؛ لأنَّ الصلاة حق التَّوحيد، ولا يكون توحيد بلا صلاة، فمن آمن بالله ورسوله محمد ﷺ يحقق ذلك بإقام الصلاة، وتلزمه أركان الإسلام؛ لأنها تتلازم، قال النبيُّ ﷺ لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما بعثه لأهل اليمن: «**إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أنَّ الله فرض عليهم زكاة في أموالهم**»، متَّفق عليه.

وإجماع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ منعقد علىٰ أنَّ أركان الإسلام تتلازم، قال أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «والله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فرَّق بين الصلاة والزَّكاة»، وقد وافقه الصحابة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا – علىٰ ذلك.

فمن لم يأتِ بالعبودية لله هذا ليس بمسلم، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال الحافظ يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي، ابن المبرد الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن التوحيد أن يوحَّدَ الله بالعبودية، ومن وحده

(١) مسألة في التوحيد وفضل «لا إله إلا الله» (ص ٥٩).

بالعبودية أطاع أمره، واجتنب نهيه، واتَّبع ما جاء منه، واتَّبع رسوله ﷺ؛ فإن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله».

وقال أيضًا معلقًا علىٰ قول أبي بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزَّكاة»[1]: «لا يُكتفىٰ من الإنسان بقول: لا إله إلَّا الله، وترك شرائع الدين من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجِّ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٥]».

وفي الصحيحين في سؤال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبيِّ ﷺ عن أفضل الأعمال، وجواب النبي ﷺ له بأنَّه الصلاة علىٰ وقتها؛ تنويه بمنزلة الصلاة من بين سائر أركان الإسلام، وأنها من آكد أركانه.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «مراده المباني بجملتها؛ فإن المباني الخمس كالشيء الواحد، وكل من دخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين أو بالصلاة - علىٰ رأي من يرىٰ فعلها إسلامًا -، فإنه يؤمر ببقية المباني، ويلزم بذلك، ويقاتل علىٰ تركه».

---

(١) مسألة في التوحيد وفضل «لا إله إلا الله» (ص ٥١).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢١٤).

وقال أيضًا[١]: «خصَّ بالذكر أشرفها، فكأنَّه قال: الشهادتان وتوابعهما، والصلاة وتوابعها ولوازمها، وهو بقية المباني الخمس».

ومجموع الأحاديث والروايات في ذكر أركان الإسلام ومبانيه وإن تنوعت؛ فكلُّها مؤتلفة المعنىٰ علىٰ وجوب القيام بالشهادتين وأداء حقوقهما من أركان الإسلام.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «تارةً كان - ﷺ - يُبايع علىٰ إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة مع الشهادتين، كما بايع جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّ الصَّلاة والزَّكاة أفضل خِصال الإسلام العملية.

وتارةً يكتفي بالبيعة علىٰ الشهادتين؛ لأنَّ باقي الخصال حقوق لها ولوازم».

قال العلامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قد قامت الأدلة علىٰ كفر تارك الصلاة كفرًا أكبر، وأما قوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم**

(١) فتح الباري (٤/ ٢١٥).

(٢) فتح الباري (٤/ ١٩٩).

(٣) الفتاوىٰ البازية (١٠/ ٢٤١، ٢٤٢).

إلا بحقِّها»، فيفسره قوله في الحديث الآخر: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام**»، متَّفق علىٰ صحته، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلا عصمة إلا بإقامة الصلاة، ولأن من لم يُقِمِ الصلاة لم يؤدِّ حقَّ «لا إله إلا الله»».

وقال العلامة ابن باز أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «من مات علىٰ ترك الصلاة لا يُعتبر من أهل التوحيد؛ لأنَّ تركه للصلاة أبطل توحيده».

وقال العلامة المجدد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «إن أمر الصلاة عظيم، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»، أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخرَّج مسلم في «صحيحه»، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ؛ أنه

(١) الفتاوىٰ البازية (١٠/ ٢٩٤).

(٢) الفتاوىٰ البازية (١٠/ ٢٣٥، ٢٦٣).

قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**».

فالأمر عظيم وخطير جدًّا، إذا نظرنا في حال الناس اليوم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فقد كثر المتخلفون عن الصلاة، والمتساهلون بأدائها في الجماعة، فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين الهداية».

❁ ❁ ❁

سِيمَا الأمَّة في طهورها وصلاتها

شعار المسلمين يوم القيامة الوضوء الذي هو شرط لأداء الصلاة، يُعرفون بسيماهم من أثر الوضوء؛ فتكون علامة لهم يوم القيامة، في مواضع الوضوء خصوصًا الوجه واليدين والرِّجلين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **قال رسول الله** ﷺ: «**أنتم الغُرُّ المُحَجَّلُون يوم القيامة من إسباغ الوضوء**»، متَّفق عليه.

والغُرَّةُ لَمْعَة بيضاء في الجبهة، والتحجيل بياض في اليدين والرجلين من المواظبة علىٰ إسباغ الوضوء[1].

فالطهارة شأنها عظيم؛ لذلك قال النبيُّ ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»، رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال يحيىٰ بن آدم رَحِمَهُ اللَّهُ: الوضوء نصف الإيمان؛ يعني: نصف الصَّلاة؛ لأنَّ الله سمَّىٰ الصلاة إيمانًا، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يعني: صلاتكم[2].

---

(١) المفهم (١/ ٤٩٩).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٥).

وقال تعالىٰ في وصف محمد ﷺ وصحابته وأمَّته المذكور في التوراة والإنجيل: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هو في يوم القيامة، وذلك من آثار الوضوء، علىٰ ما قال النبي ﷺ: «**أمتي غرٌّ محجَّلُون من آثار الوضوء**»؛ فعلىٰ هذا يكون المؤمنون بيض الوجوه من أثر الوضوء والصلاة».

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾: هو الخشوع، فقال له منصور: ما كنتُ أُراه إلَّا هذا الأثر في الوجه، فقال له مجاهد: ربَّما كان بين عيني من هو أقسىٰ قلبًا من فرعون![٢].

وقال السُّدِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الصَّلاة تُحسِّن وجوههم».

وقال شريك بن عبد الله القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنَّهار».

ومن حسنت سريرته وأعماله استنار وجهه؛ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خَلصت نيَّاتُهم، وحسنت أعمالهم؛ فكلُّ من نظر إليهم أعجبوه في سَمْتِهم وهَدْيهم».

---

(١) تفسير القرآن (٥/ ٢٠٩).

(٢، ٣، ٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣١٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣١٦).

وقال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] **في قوله تعالىٰ:** ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]: «هو أثر السَّهر والصُّفرة التي تعلو الوجه من التعب أو الصلاة والخشوع والوقار، أو ما تعلق من التراب بموضع السجود وندىٰ الطهور، أو تبدو صلاتهم في وجوههم يوم القيامة؛ فإنَّ مواضع السجود أشد بياضًا يوم القيامة، أو السمت الحسن في الدُّنيا، أو سيما الإسلام وسمته وتواضعه؛ أقوال».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩]؛ وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة؛ وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عَزَّوَجَلَّ، والاحتساب عند الله جزيل الثَّواب؛ وهو الجنَّة المشتملة علىٰ فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالىٰ عنهم، وهو أكبر من الأوَّل؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]».

❁ ❁ ❁

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٧/ ٢٠٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٥).

اقتران الصلاة بالزكاة

الصلاة آكد الأركان بعد الشهادتين، وإقامتها هي من حق التوحيد، وفيها أيضًا أداءٌ لحقِّ الله في عبودية البدن كلِّه، والزكاة حق المال، وتحصيله في الغالب يأتي من عمل الجوارح، وإذا أدَّىٰ المسلم صلاته، وأدَّىٰ زكاته؛ كان ذلك معينًا وهاديًا له لأداء سائر أركان الإسلام وواجباته ومستحبَّاته.

وكثيرًا ما يقرن الله الأمر بالزكاة إذا أمر بالصلاة؛ لأنَّهما قوام الدين.

والصلاة والزكاة أخص الأعمال الصالحة وأفضلها؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾[البقرة: ٢٧٧].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن هذين الرُّكنين - أعني إقامة الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة - أعلىٰ أركان الإسلام بعد الشَّهادتين؛ للنصِّ عليهما من بين سائر الأعمال الصالحة».

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾[المزَّمل: ٢٠]،

(١) تفسير سورة البقرة (٣/ ٣٨١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدلُّ لمن قال: إنَّ فرض الزكاة نزل بمكَّة، لكن مقادير النُّصُب والمُخْرَج لم تُبيَّن إلَّا بالمدينة، والله أعلم».

وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فلمَّا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة: ٥]، كانت الطَّاعات كلُّها اللاتي يُتقرَّب بها إلىٰ الله داخلة في عبادته، ثم خَصَّ الصَّلاة والزكاة من بينها فأعاد ذكرهما تأكيدًا لأمرهما، وتعظيما لشأنهما، كما قال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والوسطىٰ داخلة في الصلوات، إلَّا أنه أعاد ذكرها فخصها بالأمر بالمحافظة عليها خاصة تأكيدًا لأمرها».

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «يقرن الله بين الصلاة والزكاة تارة؛ وهي الإحسان إلىٰ الخلق وبينها وبين الصبر تارة، ولا بُدَّ من الثَّلاثة: الصلاة، والزكاة، والصبر؛ لا

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٦٢).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (ص٢٣٦).

(٣) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٢٨٣).

تقوم مصلحة المؤمنين إلَّا بذلك؛ في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم».

قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: ٤٣]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد جمع الله في كتابه في آيات كثيرة بين الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنهما مشتركان في أنهما من أهم فروض الدين، ومباني الإسلام العظيمة، والإيمان لا يتمُّ إلَّا بهما، ومن قام بالصلاة وبالزكاة كان مقيمًا لدينه، ومن ضيَّعهما كان لما سواهما من دينه أضيع؛ فالصلاة فيها الإخلاص التام للمعبود، وهي ميزان الإيمان، والزَّكاة فيها الإحسان إلىٰ المخلوقين، وهي برهان الإيمان، ولهذا اتَّفق الصَّحابة علىٰ قتال مانعي الزكاة، وقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة»».

❁ ❁ ❁

(١) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص ٧٤).

المعاني الجامعة للصَّلاة

أعظم معاني الصلاة العبودية لله بالقيام بين يديه، والخضوع له، وذكره قيامًا وركوعًا وسجودًا وقعودًا، ومناجاته والابتهال إليه، وتألُّه القلب والجوارح له، تعظيمًا وإجلالًا ومحبَّة، فهذه أعلىٰ مقامات العبوديَّة لله، وبها صلاح القلب والجوارح؛ ولذلك فرضها في كل الشَّرائع، وعلىٰ كل النبيين – عليهم السلام – وأقوامهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لمَّا كانت الصَّلاةُ جامعة لمتفرق العبوديَّة، متضمِّنة لأقسامها؛ كانتْ أفضل أعمال العبد، ومنزلتها من الإسلام بمنزلة عمود الفسطاط منه».

وقال النبي ﷺ في عاقبة المصلين الذين يمشون علىٰ الأقدام إلىٰ الجماعات: «**من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمُّه**»، رواه أحمدُ من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورواه الترمذيُّ وقال هو وشيخه البخاريُّ: حديث حسن صحيح.

والصلاة من أعظم ما يكون من التمسُّك بالقرآن، فالله عَزَّوَجَلَّ عظَّم أمر

(١) الصلاة (ص١٨٠).

الصلاة فيه؛ تارة ببيان أنها عبودية لله، وأنَّ إقامتها صفة عباده، وأحيانًا بالثناء علىٰ من أدَّاها، وذكر ما في إقامتها من الثَّواب، وأنَّها سبب دخول الجنَّة، ومرات كثيرة بالأمر بإقامتها، ومرات بالتهديد والوعيد لمن ضيَّعها أو سها عنها، وهكذا.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّها – الصلاة – أكثر الفروض ذكرًا في القرآن».

وقال العلامة المجدد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّها أعظم عبادة يحصل فيها الخضوع والذلُّ لله، وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه، ولا يمكن تغذيته بمثل الصلاة.

والصلاة أعظم غذاء وسقي لشجرة الإيمان، فالصَّلاة تُثبِّت الإيمان وتنمِّيه، وتنمي ما يثمره الإيمان من فعل الخير والرَّغبة فيه، وكذلك تنهىٰ

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٧٤).

(٢) الصلاة (ص٣١).

(٣) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٢/ ٧٣، ٧٤).

عن الشرِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥].

فأخبر أن فيها الغذاء بذكر الله، والشِّفاء بنهيها عن الفحشاء والمنكر، وأيُّ شيء أعظم من هذا وأجمل وأكمل؟!

ومن فضائلها: أنها أكبر عون للعبد علىٰ مصالح دينه ودنياه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ٤٥]؛ أي: علىٰ كلِّ الأمور.

أما عونها علىٰ المصالح الدينيَّة: فإنَّ العبد إذا داوم علىٰ الصَّلاة، وحافظ عليها قويت رغبته في فعل الخيرات، وسهلت عليه الطَّاعات، وبذل الإحسان بطمأنينة نفس واحتساب، ورجاءٍ للثواب، وتذهب أو تضعف داعيته للمعاصي، وهذا أمر محسوس مشاهد؛ فإنَّك لا تجد محافظًا علىٰ الصَّلاة؛ فروضها ونوافلها؛ إلَّا وجدت تأثير ذلك في بقية أعماله؛ ولهذا كانت الصلاة عنوانًا علىٰ الفلاح، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[التوبة: ١٨]، والمراد: عمارتها بالصلاة والقربات».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره واستعمالًا للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كلٍّ منها

(١) الوابل الصيِّب (ص٣١).

قِسْطَه من العبودية التي هي المقصود بخَلْقِ العبد، فوُضِعَت الصلاة علىٰ أكمل مراتب العبودية».

ومع ما يؤديه المصلِّي من حق الله في عبادته وحده لا شريك له؛ فإن ذلك من أسباب حفظ بدنه ونعيم قلبه وسروره، وغذاء قلبه بقوت الذكر وصلاحه، وهو من أسباب سعادة المسلم في الدَّارين، قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ ما أمر الله به عباده فهو من عين صلاحهم وفلاحهم في دنياهم وآخرتهم؛ فإنَّ نفس الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده وعبادته ومحبته وإجلاله وخشيته وذكره وشكره؛ هو غذاء القلوب وقوتها وصلاحها وقوامها، فلا صلاح للنفوس، ولا قُرة للعيون، ولا طمأنينة، ولا نعيم للأرواح، ولا لذة لها في الدنيا علىٰ الحقيقة، إلَّا بذلك، فحاجتها إلىٰ ذلك؛ أعظم من حاجة الأبدان إلىٰ الطعام والشراب والنفس بكثير؛ فإنَّ حقيقة العبد وخاصِّيَّتَه هي قلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بتألهه لإلهه الحق الذي لا إله إلا هو، ومتىٰ فقد ذلك هلك وفسد، ولم يصلحه بعد ذلك شيء البتة، وكذلك ما حرمه الله علىٰ عباده هو عين فسادهم وضررهم في دينهم ودنياهم؛ ولهذا حرَّم عليهم ما يصدهم

(١) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٨٠٣).

عن ذكره وعبادته؛ كما حرَّم الخمر والميسر، وبيَّن أنه يصد عن ذكره، وعن الصَّلاة، مع مفاسد أخر ذكرها فيهما، وكذلك سائر ما حرمه الله؛ فإنَّه مضرَّة لعباده في دينهم ودنياهم وآخرتهم».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذىٰ، مطردة للأدواء، مقويِّة للقلب، مبيِّضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، مُنشِّطة للجوارح، ممدة للقوىٰ، شارحة للصدر، مغذية للروح، مُنوِّرة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مُقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة: فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتُلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظُّ المصلي منهما أقلَّ، وعاقبته أسلم.

وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدُّنيا، ولا سيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولا استُجلبت مصالحهما، بمثل الصلاة، وسرُّ ذلك أن الصلاة صلة بالله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ قدر صلة العبد بربه عَزَّوَجَلَّ تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التَّوفيق من ربه عَزَّوَجَلَّ،

(١) زاد المعاد (ص ٧١٤).

والعافية والصحة، والغنيمة والغنىٰ، والرَّاحة والنَّعيم، والأفراح والمسرَّات، كلُّها محضرة لديه، ومسارعة إليه».

❁ ❁ ❁

تكريم للمصلِّين

الصلاة مناجاة بين العبد وربِّه، فإذا قام العبد يصلي واستقبل القبلة؛ فإنه يقوم بين يدي الله، والله يكون قبل وجهه؛ كما قال النبي ﷺ، رواه البخاريُّ، وهذا غاية في التكريم، فالله عَزَّوَجَلَّ غني عن عباده، لكنه يُكرم عباده بهذه المناجاة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «مناجاة الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ أرفع درجات العبد».

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عن النبيِّ** ﷺ **قال: «قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نِصْفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، **قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]، **قال الله: أثنى عليَّ عبدي. فإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، **قال: مَجَّدني عبدي** - وقال مرة: **فوَّض إليَّ عبدي** -. **فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل.**

(١) فتح الباري (٢/ ١٤).

فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة: ٦، ٧]؛ **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فهذا الحديث يدلُّ علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يستمع لقراءة المصلِّي؛ حيث كان مناجيًا له، ويَرُدُّ عليه جواب ما يناجيه به كلمةً كلمةً، فأوَّل الفاتحة حمد، ثمَّ ثناءٌ، وهو تثنية الحمد وتكريره، ثم تمجيد – وهو الثناء علىٰ الله بأوصاف المجد والكبرياء والعظمة –، ثم ينتقل العبد من الحمد والثَّناء والتَّمجيد إلىٰ خطاب الحضور، كأنَّه صلح حينئذ للتقريب من الحضرة فخاطب خطاب الحاضرين؛ فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾».

وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أحدكم في الصلاة فإنَّه يُنَاجي رَبَّهُ، فلا يَبْزُقَنَّ بين يديه ولا عن يمينه، ولكن عن شماله تحت قدمه**».

قال شيخنا العلامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فإنَّه يناجي ربَّه**»؛ المناجاة: تبادل الحديث، فالمصلي يتبادل الحديث مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما ثبت في الصحيح من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي:

(١) فتح الباري (٧/ ١٠٢، ١٠٣).

(٢) التعليق علىٰ صحيح مسلم (٣/ ٣٨٩).

«**قسمتُ الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قال الله: حمدني عبدي**»، إلىٰ آخر الحديث.

وفي ذكر النبيِّ ﷺ ذلك حثٌّ علىٰ حضور الإنسان بقلبه وقالبه في الصَّلاةِ؛ لأنَّ الله يعلم ما في قلبه، فلا يعلمن الله منك الإعراض بالقلب عن مناجاته جَلَّ وَعَلَا».

❁ ❁ ❁

الصلاة حفظ وتثبيت وتجديد للإيمان

فرض الله علىٰ العباد خمس صلوات في أطراف النَّهار والليل وأوساط النهار عبودية وتكليفًا، وتشريفًا للمصلين للدخول عليه ومناجاته، وتجديدًا للإيمان وحفظًا له وتثبيتًا.

فهذه الصلاة وما فيها من التوجه إلىٰ الله، واستعانته في عبوديته، ومناجاته بالدعاء وتلاوة القرآن والتسبيح والحمد والتهليل والاستغفار؛ تزيد في الإيمان، وتزيل آثار الذنوب وسخط الله، وتحيي النفوس بالالتجاء إلىٰ الله والفرار إليه رغبة ورهبة، ويتغذىٰ بها المسلم غذاء التقوىٰ والعمل الصالح.

فالصلاة تُذهب قسوة القلوب أو تُخففها، فإذا تكرَّر أداؤها بخشوع وإقبال علىٰ الله وطول قنوت؛ ألانت القلوب وأذهبت رانها، وتغذَّىٰ القلب بألفاظ ومعاني القرآن؛ فأشرق فيه نور الوحي، فعاد علىٰ الجوارح بالصَّلاح.

قال العلَّامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لولا الصلاة التي تتكرَّر علىٰ المؤمنين في اليوم والليلة؛ لتذكرهم بالله، ويتعاهدون فيها قراءة القرآن والثناء علىٰ الله، ودعاءه، والخضوع له الذي هو روح الذكر؛ لولا هذه

(١) تيسير اللطيف المنَّان (ص ١٨٥).

النعمة لكانوا من الغافلين».

وفي الصلوات الخمس المفروضة وكل صلاة نافلة راتبة ومطلقة؛ أمرنا الله بقراءة الفاتحة في كلِّ ركعة، لا تصحُّ الصَّلاة ولا تُقبل بغير ذلك؛ تذكيرًا بمعانيها، فإن تكرار قراءتها تذكير بمعانيها الجامعة لكل معاني القرآن، وبها صلاح العباد التَّالِينَ للقرآن، المقيمين لمعانيه.

قال العلامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا يدل علىٰ فضلها العظيم، وأنَّها أعظم سورة في كتاب الله تعالىٰ، وهذه الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله لما اشتملت عليه من المعاني العظيمة التي يرجع إليها جميع القرآن؛ ولهذا أخبر ﷺ أنَّها أعظم سورة في كتاب الله، وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم».

وقال سماحته أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وهذا يدلُّ علىٰ عظم شأنها، ومن تأمَّلها وجد ذلك؛ فإن فيها الثناء علىٰ الله وذكر صفاته العظيمة التي ترجع إليها جميع الصِّفات، وبيان حقِّه علىٰ عباده؛ وهو العبادة، وإلىٰ هذا ترجع جميع الآيات؛ فإنَّها ترجع إلىٰ الأوامر والنَّواهي، وبيان حقِّ الله، وكله داخل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾».

(١) التعليق علىٰ تفسير ابن كثير لسورة الفاتحة (ص ٥٩).

(٢) التعليق علىٰ تفسير ابن كثير لسورة الفاتحة (ص ٦٠).

ثم إرشاده سبحانه لعباده أن يطلبوه الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، وهذا أيضًا شأنه عظيم؛ لأنَّ طلبهم الهداية من ربِّهم عَزَّوَجَلَّ سبب لقيامهم بحقِّه، الذي خلقهم من أجله؛ وهو عبادته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فهذه السورة هي أمُّ القرآن، وهي القرآن العظيم، وهي السَّبع المثاني، وهي الشِّفاء والرُّقية؛ فينبغي للمؤمن أن يتدبَّرها كثيرًا، ومن رحمة الله أن شرعها لنا في اليوم والليلة سبع عشرة مرَّة فرضًا، في الفرائض الخمس، مع ما يحصل من قراءتها في النَّوافل وغير ذلك، تذكرة بمعناها العظيم، وحث لنا للالتزام بما دلَّت عليه؛ من العبادة لله، والاستعانة بالله، وطلبه الهداية مع الثناء عليه، والإيمان بأنَّه الرَّحمن الرَّحيم، وبأنَّه الإله الحقُّ، وبأنَّه ربُّ العالمين، وبأنَّه مالك يوم الدِّين، فجمع فيها كلَّ شيء».

❁ ❁ ❁

الصلاة صفة عباد الله

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنَّهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثمَّ يَعْرُجُ الذين باتوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون**»، متَّفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قال ابن أبي جمرة: أجابت الملائكة بأكثر ممَّا سُئلوا عنه؛ لأنَّهم علموا أنه سؤال يستدعي التعطف علىٰ بني آدم؛ فزادوا في موجب ذلك.

قلت: ووقع في «صحيح ابن خزيمة» من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر هذا الحديث: «**فاغفر لهم يوم الدين**»، قال: ويستفاد منه: أنَّ الصلاة أعلىٰ العبادات؛ لأنَّه عنها وقع السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلىٰ عظم هاتين الصَّلاتين؛ لكونهما تجتمع فيهما الطَّائفتان، وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلىٰ شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أنَّ الرِّزق يقسم بعد صلاة الصُّبح، وأنَّ الأعمال تُرفع

(١) فتح الباري (٢/ ٣٧).

آخر النَّهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله، والله أعلم.

ويترتَّب عليه حكمة الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما».

❁ ❁ ❁

الصلاة توحيد

الصلاة عبودية لله، يقيم فيها المسلم توحيده، ويحقق المقصود من خلقه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات: ٥٦].

والمصلِّي يقيم وجهه لله حنيفًا، فيصمد إلىٰ الله رغبة ورهبة، وتألُّهًا ورِقًّا.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[الروم: ٣٠].

فالمسلمون يصمدون إلىٰ الله في صلاتهم عبوديةً له سبحانه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة؛ وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له».

والمسلم يؤدي الصلاة بتوحيد الله، فيُصلِّي لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ويُصلِّي المسلم بتوحيد الله، فيقيمها بأسماء الله وصفاته.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ الصَّلاة لا تنعقدُ إلَّا بذكر أسمائه وصفاته،

(١) الصواعق المرسلة علىٰ الجهميَّة والمعطِّلة (٣/ ١٠٢٥).

(٢) الصواعق المرسلة علىٰ الجهميَّة والمعطِّلة (٣/ ٩١١).

فذكر أسمائه وصفاته روحها وسرُّها، يصحبها من أوَّلِها إلىٰ آخرها، وإنَّما أمر بإقامتها ليُذكر بأسمائه وصفاته، وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته؛ ففتح لهم باب الدعاء رغبًا ورهبًا؛ ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته؛ فيتوسَّل إليه بها؛ ولهذا كان أفضل الدعاء وأَجْوَبه ما توسَّل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]».

والمسلم بأذكاره في الصلاة من التسبيح والحمد والثَّناء والتهليل يُحقِّق صفات الكمال لله[١].

والصلاة من حقوق كلمة التَّوحيد، وهذا فَقِهَهُ الصحابة، وعليه قاتلوا المرتدِّين.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الكلمتان رأس الإسلام من الكلام، والصلاة والزكاة هما رأس العمل، فتارةً يُذكر الأصل الذي هو الاعتقاد والكلام، وتارةً يُقْرَنُ به الأصل الآخر من العمل والاقتصاد، ثم يُدرج سائر الدين الذي أمر الله تعالىٰ بالقتال عليه في قوله: «**إلَّا بحقِّها**»، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فقوله: «**عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها**»،

(١) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٥٢٢).

(٢) جوابُ الاعتراضات المصريَّة علىٰ الفُتيا الحموية (ص ٧٨).

كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]».

فالشهادتان بحقوقهما هما التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «عنوان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمِّنة عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه».

فمن لم يصلِّ لله هذا لم يعبده، وعن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، متَّفق عليه.

وحقيقة الإسلام هو الاستسلام لله بطاعته، ومن لم يُطعه في آكد ما أمر الله به فلا حظ له في الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما الإخلاص فهو حقيقة الإسلام؛ إذ «الإسلام» هو الاستسلام لله لا لغيره».

والمصلِّي في صلاته مع تحقيقه لعبوديته لله، فإنه يستعين به في أمره كُلِّهِ ويتوكَّل عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ المتوكِّل يتوكَّلُ علىٰ الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وإرادته، وهذا أهم الأمور إليه؛ ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، كما

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية (ص٣٠٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٨).

في قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ [الرعد: ٣٠]، فهو قد جمع بين العبادة والتوكُّل في عدَّة مواضع؛ لأنَّ هذين يجمعان الدِّينَ كلَّه».

وما يحصل في قلب العبد وجوارحه من الإخبات لله والإقبال عليه والخشية والرهبة والرغبة إليه، والتأله له بعبوديته في كلِّ مقامات الصلاة وهيئاتها وأذكارها؛ هو من توحيد الله.

وتأمل هذا في نوع ومعنىٰ ما يقرؤه النبي ﷺ في أول يومه في سنة الفجر، وهو ما يقرؤه كذلك في خاتمة ليلته في صلاة الوتر؛ فسورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ ﴾ [الكافرون: ١] متضمنة للتوحيد العملي الإرادي؛ وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة، وسورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ [الإخلاص: ١] متضمِّنة للتوحيد القولي العملي[1].

فالصلاة توحيد، فقد ذكر الله الفرق بين المسلم والكافر والموحِّد والمشرك في قوله سبحانه: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فُصِّلَت: ٦، ٧].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ وهي التَّوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب؛ فإنَّه يتضمَّن نفي إلهية ما سوىٰ الحق من القلب، وإثبات إلهية الحقِّ في القلب، وهو حقيقة «لا إله إلا الله»، وهذا أصل ما تزكو به القلوب».

والصلاة أعظم مقام يتأله فيه المسلم لربِّه، فيدعوه رغبًا ورهبًا، ويسجد له تذللًا وخضوعًا، ويقوم بين يديه صامدًا إليه لكماله وعظمته، وهذا كله من إجلال الله ومحبَّته وخشيته ورجائه، وهو أعظم مقام لتحقيق توحيد الألوهيَّة.

والخشوع في الصلاة حقًّا إنَّما يكون سببه تحقيق التوحيد، قال أبو الطيِّب المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ صفاء العبادات لا يُنال إلا بصفاء التوحيد».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الإله الذي يألهه القلب بكمال الحبِّ والتَّعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك، وهذه العبادة هي التي يحبُّها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده، وبها بعث رسله».

وكان النبي ﷺ أعظم الرسل والخلق جميعًا تحقيقًا للعبودية؛ يقوم

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٧).

(٢) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٥٧).

الليل مصليًا، قيامًا طويلًا، فتشفق عليه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فيجيبها ويقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»، متَّفق عليه.

فالمصلِّي عابد لله، قائم بأعظم أنواع العبادة لله، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «العبد بمعنىٰ العابد؛ فيكون عابدًا لله لا يعبد إلَّا إيَّاه؛ فيطيع أمره وأمر رسله ويوالي أولياءه المؤمنين المتَّقين؛ ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلِّقة بإلهيته؛ ولهذا كان عنوان التوحيد «لا إله إلا الله»».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إقامة الصلاة لذكره من أجل عبادته».

فالصلاة أعظم مقاصدها: تحقيق العبودية لله، والمقاصد الأخرىٰ مُضمَّنة في هذا المقصد الأعظم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾[العنكبوت: ٤٥]، فإنَّ الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه؛ فإنَّ ذكر الله عبادة

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٧٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٨٨).

لله، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها، وأمَّا اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره علىٰ سبيل التبع».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هاهنا عجيبة، يحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن عجائب الأسماء والصفات، وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه يرىٰ لكل اسم وصفة موضعًا من صلاته ومحلًّا منها، فإنه إذا انتصب قائمًا بين يدي الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شاهد بقلبه قيوميته، وإذا قال: «الله أكبر»، شاهد كبرياءه وإذا قال: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جدك، ولا إله غيرك**»؛ شاهد بقلبه ربًّا منزَّهًا عن كل عيب، سالمًا من كل نقص، محمودًا بكل حمد، فحمده يتضمَّنُ وصفه بكل كمال، وذلك يستلزم براءته من كلِّ نقص، تبارك اسمه؛ فلا يذكر علىٰ قليل إلا كثره، ولا علىٰ خير إلا أنماه وبارك فيه، ولا علىٰ آفة إلا أذهبها، ولا علىٰ شيطان إلا ردَّه خاسئًا داحرًا، وكمال الاسم من كمال مسماه، فإذا كان هذا شأن اسمه الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء، فشأن المسمَّىٰ أعلىٰ وأجلُّ، «وتعالىٰ جدُّه» أي ارتفعت عظمته وجلت فوق كل عظمة، وعلا شأنه علىٰ كل شأن، وقهر سلطانه علىٰ كل سلطان، فتعالىٰ جدُّه أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته، أو في إلهيته أو في أفعاله أو في صفاته، كما قال

(١) الصلاة (ص ١٧١، ١٧٢).

مؤمن الجنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣]، فكم في هذه الكلمات من تجلٍّ لحقائق الأسماء والصفات علىٰ قلب العارف بها، وغير المعطل لحقائقها».

والمخلوق عبدٌ لله، مناجاته لربه في الصلاة يطمئن بها قلبه، وتسكن نفسه بهذه العبودية التي لا تضاهيها عبادة أخرىٰ في جمع القلب علىٰ الله، ولضرورة كل مخلوق لهذه العبودية فرضها الله علىٰ خلقه خمس مرَّات، يناجون ربَّهُم، يسبحونه ويستغفرونه وله يسجدون؛ فيحصل لهم بسبب ذلك ما تستريح به نفوسهم وتطمئن إليه، وهو ذكر باريهم، الذي لا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه، لا إله إلا هو.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يستغني القلب إلَّا بعبادة الله تعالىٰ؛ فإنَّ الإنسان خُلِق محتاجًا إلىٰ جَلْبِ ما ينفعُه ودَفْع ما يَضُرُّه، ونفسُه مريدةٌ دائمًا، ولابُدَّ لها من مرادٍ يكون غايةَ مطلوبِهَا، فتسكن إليه وتطمئنُّ به، وليس ذلك إلا لله وحدَه لا شريكَ له».

وأعظم وأفضل مقامات عبودية المصلِّي هو سجوده، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «السُّجود سرُّ الصَّلاة، وركنها الأعظم، وخاتمة الركعة، وما قبله

(١) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص ٥٤).

(٢) الصَّلاة (ص١٧٨، ١٧٩).

من الأركان كالمقدمات له؛ فهو شبه طواف الزيارة في الحجِّ؛ فإنَّه مقصود الحجِّ، ومحل الدخول علىٰ الله وزيارته، وما قبله كالمقدمات له؛ ولهذا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأفضل الأحوال له حال يكون فيها أقرب إلىٰ الله، ولهذا كان الدعاء في هذا المحل أقرب إلىٰ الإجابة».

وقال ابن القيِّم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أُمِر - العبد - بالسُّجود خضوعًا لعظمة ربِّه وفاطره، وخشوعًا له، وتذلُّلًا بين يديه، وانكسارًا له؛ فيكون هذا الخشوع والخضوع والتذلل ردًّا له إلىٰ حكم العبوديَّة».

فالصلاة توحيد بأذكارها وهيئاتها، وقد سمَّاها الله بذكرها في القرآن وهو التسبيح بحمده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨]، ولا ريب أنَّ الصلاة الشرعيَّة تتضمَّن ما أمر به من التَّسْبيح بحمده».

ثمَّ بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتضمَّنه اقتران التسبيح والتحميد من تحقيق التوحيد، فقال[3]: «فنقول: «التَّسبيح والتَّحميد» يجمع النَّفي

(١) الصلاة (ص١٧٩).

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ١٨).

(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٢٢، ٢٣).

والإثبات؛ نفي المَعَايِبَ وإِثْبَات المَحَامِد، وذلك يتضمَّن التعظيم؛ ولهذا قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ:١]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة:٧٤]، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**اجْعَلُوا هذه في رُكُوعِكُم، وهذه في سجودكم**»، وقال: «**أَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّمُوا فيه الرَّبَّ**» فـ«التسبيح» يتضمن: التنزيه المستلزم للتعظيم، و«**الحمد**» **يتضمَّن**: إثبات المحامد المتضمن لنفي نقائصها».

والمسلم مناجاته لربه في صلاته بأذكار التوحيد من التسبيح والحمد والتكبير والتهليل؛ هو من تحقيق التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هو - سبحانه - في نفس الأمر لا إله غيره، هو أكبر من كل شيء، وهو المُسْتَحِقُّ للتحميد والتنزيه، وهو مُتَّصف بذلك كله في نفس الأمْر.

فالعباد لا يثبتون له بكلامهم شيئًا لم يكن ثابتًا له، **بل المقصود بكلامهم تحقيق ذلك في نفوسهم**».

وقال أيضًا شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الموحِّد صادق في قوله: لا إله إلا الله، وكُلَّمَا كرَّر ذلك تَحَقَّقَ قلبه بالتَّوْحيد والإخلاص.

وكذلك قوله: «الله أكبر»؛ فإنَّه تعالىٰ كل ما يخطر بنفس العباد من

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٣٢).

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٣٤، ٣٥).

التَّعْظيم فهو أَكْبَر منه؛ الملائكة والجن والإنس، فإنَّه أي شيء قدر في الأَنْفُس من التعظيم كان دُون الذي هو مُتَّصِف به، كما أنَّه سبحانه فوق ما يُثني عليه العباد، كما قال أعلم الناس به: «**لا أُحْصِي ثناءً عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**».

فكلما قال العبد: «الله أكبر»؛ تَحَقَّق قلبه بأن يكون الله في قلبه أكبر من كُلِّ شيء؛ فلا يبقىٰ لمخلوق علىٰ القلب ربَّانية تُسَاوي رَبَّانية الرَّب فضلًا عن أن تكون مِثْلَها.

وهذا داخل في التوحيد «لا إله إلا الله»، فلا يكون في قلبه لمخلوق شيء من التَّأَلُّه؛ لا قليل ولا كثير، بل التَّأَلُّه كله لله».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[1]: «وكذلك الحمد، كلما حَمد العبد ربَّهُ تحقق حمده في قلبه ومعرفةً بمحامده، وَمَحَبَّةً له، وشكرًا له».

❁ ❁ ❁

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٣٨، ٣٩).

الصلاة كلها ذكر لله

قال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[البقرة: ١٥٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قيل: المعنىٰ: إنكم في الصلاة تذكرون الله، وهو ذاكر من ذكره، ولذكر الله تعالىٰ إياكم أكبر من ذكركم إياه، وهذا يروىٰ عن ابن عباس، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

والمصلِّي يتلوا القرآن في قيامه في الصلاة، وتلاوة القرآن في الصلاة أفضل الذكر.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «القرآن أفضل الذِّكر كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾[الأنبياء: ٥٠]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّ الأمر بالقراءة والترغيب فيها **يتناول المصلي أعظم مما يتناول غيره**؛ فإنَّ قراءة القرآن في الصلاة أفضل منها خارج الصلاة، وما ورد من الفضل لقارئ القرآن يتناول

---

(١) الوابل الصيِّب (ص١٧٩).

(٢) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٩).

(٣) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٧).

المصلي أعظم مما يتناول غيره».

والله غنيٌّ عن أذكارنا وصلاتنا وعباداتنا، وإنَّما أراد الله أن نتألَّه له ونعبده بذكره، والصلاة له وطاعته؛ لتنعم قلوبنا وأرواحنا بذكره، وليوفينا أجورنا، ويُنعِم علينا بفضله في الدُّنيا والبرزخ والدار الآخرة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أوَّل منازل القوم: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾[الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وأوسطها: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾[الأحزاب: ٤٣]، وآخرها: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾[الأحزاب: ٤٤]».

❁ ❁ ❁

(١) الفوائد (ص ٤٩، ٥٠).

الصلاة من أعظم أسباب التزكية

التزكية بركة وخير ونماء[١]، والصلاة من أعظم أسباب التزكية، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾[الأعلىٰ: ١٤، ١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ التزكي هو التطهر والتبرك بترك السيئات الموجب زكاة النفس، كما قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس: ٩]، ولهذا تُفسر الزكاة تارة بالنماء والزيادة وتارة بالنظافة والإماطة، والتحقيق أن الزكاة تجمع بين الأمرين إزالة الشر وزيادة الخير. وهذا هو العمل الصالح وهو الإحسان، وذلك لا ينفع إلا بالإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، الذي هو أصل الإيمان، وهو قوله: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾، فهذه الثلاث - قد يقال - تشبه الثلاث التي يجمع الله بينها في القرآن في مواضع؛ مثل قوله في أول البقرة: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾[البقرة: ٢، ٣]، ومثل قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[التوبة: ١١].

وقد يقال: تشبه الثنتين المذكورتين في قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٠٦١).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التفسير (٦/ ٥٥٥، ٥٥٧).

وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]، لكن هنا التزكي في الآية أعم من الإنفاق؛ فإنه ترك السيئات الذي أصله بترك الشرك.

فأول التزكي التزكي من الشرك، كما قال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فُصِّلَت: ٦، ٧]، وقال: ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]. والتزكي من الكبائر الذي هو تمام التقوىٰ، كما قال ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم: ٣٢]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء: ٤٩]. فعلم أن التزكية هو الإخبار بالتقوىٰ.

ومنه التزكي بالطهارة وبالصدقة والإحسان، كما قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ [الأعلىٰ: ١٥] قد يعني به الإيمان بالله، و«الصلاة»: العمل؛ فقد يذكر اسم ربه من لا يصلي. ومن الفقهاء من يقول: هو ذكر اسمه في أوَّل الصلاة؛ ولهذا - والله أعلم - قدم التزكي في هذه الآية. وكان طائفة من السلف إذا أدوا صدقة الفطر قبل صلاة العيد يتأولون بهذه الآية. وكان بعض السلف - أظنه يزيد بن أبي حبيب - يستحب أن يتصدق أمام كل صلاة لهذا المعنىٰ.

ولمَّا قدَّم الله الصلاة علىٰ النحر في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾

[الكوثر: ٢]، وقدَّم التزكي علىٰ الصلاة في قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلىٰ: ١٤، ١٥]، كانت السُّنَّة أن الصدقة قبل الصلاة في عيد الفطر وأن الذبح بعد الصلاة في عيد النحر.

ويُشبه - والله أعلم - أن يكون الصوم من التزكي المذكور في الآية؛ فإن الله يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]، فمقصود الصوم التقوىٰ وهو من معنىٰ التزكِّي. وفي حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطُعمة للمساكين»، فالصدقة من تمام طهرة الصوم، وكلاهما تزكٍّ متقدم علىٰ صلاة العيد، فجمعت هاتان الكلمتان الترغيب فيما أمر الله به من الإيمان والعمل الصالح».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يقول تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلىٰ: ١٤]؛ أي: طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله علىٰ الرسول – صلوات الله وسلامه عليه –.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلىٰ: ١٥]؛ أي: أقام الصَّلاة في أوقاتها؛ ابتغاءَ رضوان الله، وطاعةً لأمر الله، وامتثالًا لشرع الله».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٧٥٨).

وقال العلَّامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: «﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ أي: قد فاز وربح من طهَّر نفسه ونقَّاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ أي: اتصف بذكر الله، وانْصَبَغ به قلبه؛ فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنىٰ الآية الكريمة، وأمَّا من فسَّر قوله: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بمعنىٰ أخرج زكاة الفطر، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾؛ أنه صلاة العيد؛ فإنَّه وإن كان داخلًا في اللَّفظ وبعض جزئيَّاته، فليس هو المعنىٰ وحده».

والصلاة من أعظم ما يكون من أسباب تزكية المُصلِّي بالإخلاص لله وحده لا شريك له، فالصلاة آكد وأهم العبادات، وقد أُمر المسلم بالإخلاص لله في إقامتها، فإذا أقامها خالصةً لله صوابًا؛ كان ذلك عونًا له علىٰ إخلاصه في سائر أعماله.

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال العلامة عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢]: «خصَّص من ذلك أشرف العبادات فقال: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؛ أي: ذبحي، وذلك لشرف

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص ٩٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص ٢٨٧).

هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما علىٰ محبَّة الله تعالىٰ، وإخلاص الدِّين له، والتقرُّب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذَّبح الَّذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالىٰ.

ومن أخلص في صلاته ونسكه؛ استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله».

وأثر الصلاة في إصلاح النفوس معلوم، فمن كان ملازمًا للصَّلاة، مقيمًا لشروطها وأركانها وواجباتها، ومكمِّلًا لمستحبَّاتِها؛ تراه أزكىٰ في عقائده وأخلاقه ومعاملاته من المضيِّع لها، وترىٰ أثر الصَّلاة ظاهرًا في تزكيته لسائر الأعمال الصَّالحة، وفعل الخيرات.

فالصلاة تزكية للمصلِّي إذا حقَّق مقاصدها في التوحيد والإخلاص، وفعل الخيرات وترك المنكرات.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر: ٢٩]، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في العقائد والأحكام والمعاملات والأخلاق والسياسة والاقتصاد، وكل الأمور، والصَّلاة تزكي الأبدان والأرواح والقلوب، والصدقة الواجبة والمستحبَّة تطهر المال وتزكيه وتنمِّيه، وتطهر المتصدق من الشحِّ، وتزكي أخلاقه في الإحسان إلىٰ الخَلْق.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِۚ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ

فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[فاطر: ١٨].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هؤلاء الذين يقبلون النِّذَارَة وينتفعون بها، أهل الخشية لله بالغيب؛ أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب، وأهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها؛ لأنَّ الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشىٰ من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشىٰ من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلىٰ الخير، وتنهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ﴾، أي: ومن زكىٰ نفسه بالتنقِّي من العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغشِّ، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلَّىٰ بالأخلاق الجميلة؛ من الصِّدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصَّدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق؛ فإنَّ تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء».

❁ ❁ ❁

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص ٧٢٨).

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

الصلاة تزكية للنُّفوس، وزاد للمصلِّينَ من التَّقوىٰ، تعين علىٰ الطاعات وتنهىٰ عن المنكرات، فالمصلي يُخبت لربِّهِ؛ فيُقبل علىٰ طاعته ويجتنب معاصيه، ويسارع في الخيرات، قال تعالىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وتجد الغافل الَّذي لا يصلِّي أقلَّ خيرًا - ومنهم من لا خير فيه -، وأكثر شرًّا من المصلِّي.

والنَّقص الَّذي في بعض المصلِّين لو ضيعوا مع ذلك الصلاة لكانوا أسوأ حالًا ممَّا هم عليه.

ولا تزال الصَّلاة تُزكِّي المصلِّي حتَّىٰ يستقيم علىٰ شرع الله وأمره ونهيه.

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الصَّلاة من حيثُ هي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر؛ لمَا تتضمَّنُ من تلاوة القرآن، والخشوع لله، والتضرُّعِ بين يديه، وامتثال أمره، وهذه أمور يبعث علىٰ فعلها رجاء الثَّواب وخوف العقاب، وكفىٰ بذلك زاجرًا لمن كان له قلب

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٦٢٠).

يتفكَّرُ، أوْ عقل يتدبَّرُ، وكون بعض المصلِّين لا ينتهي لا تخرج الصَّلاة عن أن تكون في نفسها ناهية».

وحقيقة الأمر في النقص الَّذي هو في بعض المصلِّين إنما هو بسبب غلبات الطَّبع ولوازم بشريَّتهم من انتفاء العصمة عنهم، ومع ذلك فالمصلي سريع الفيئة إلىٰ الله، تستعتبه صلاته عن المنكر وترك الواجب.

والشأن في إقامة الصَّلاة بخشوعها، فمن وفىٰ في صلاته كان أكمل تزكيةً، هكذا شأن كل ثواب وثمرة مترتِّبة علىٰ فعل المأمور، قال تعالىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال النبي ﷺ: «**لو تتوكَّلون علىٰ الله حقَّ توكُّلِه لرزقكم**»؛ رواه أحمد، وصححه الترمذيُّ وابن حبَّان من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وآية البِرِّ ذكر الله فيها شُعَبَها؛ فقال سبحانه في خصالها ومنها: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وختم الآية لمن حقَّق خصَالها صدقًا فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال الله مؤكِّدًا هذا المعنىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

والصَّلاة إنَّما يقل ويضعف انتفاع المصلي منها بحسب ما كان فيها من نقص وخلل وضعف، فالصلاة التي أقام المصلي خشوعها وقام فيها المصلي بين يدي الله تعبُّدًا وإخلاصًا، وتغذىٰ فيها بمعاني الأذكار والتلاوة التي فيها، واستشعر فيها قربه من الله؛ قرَّبه الله إليه، وأخلصه بما يزيد في

عبوديَّته، ويصرف عنه السوء والفحشاء.

والصلاة يجتني المسلم ثمراتها بفعلها طاعةً لا عادةً، ومن غفل عن عبوديته لله في أدائها بخسها أهم مقاصدها، وفاته أعظم ما فيها من زادها ولذة مناجاة الله فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في أولئك الغافلين عن أداء الصلاة تعبُّدًا**[1]: «يفعل الفرائض والسُّنن عادةً ووظيفةً، وهذا عكس الدِّين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقة والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة، إلىٰ غير ذلك من الفوائد، وإن لم يفته هذا كلُّه؛ فلا بُدَّ أن يفوته كماله».

فالمقصود أنَّ خبر الله صدق؛ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وإنَّما يضعف نهيها عن الفحشاء والمنكر، حيث ضعف فعلها كما أراد الله.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «إنَّ في الصَّلاة منتهًىٰ ومزدجرًا عن معاصي الله، فمن لم تنهَهُ صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ لم يزدد بصلاته من الله إلَّا بُعدًا».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٠١).

(٢) رواه أبو داود في الزهد (ص ١٤٧- رقم ١٣٤)، وإسناده صحيح.

قال العلَّامة أبو الحسن علي بن محمد بن فَرحون القيسي القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّما تنهىٰ الصلاة عن الفحشاء والمنكر، إذا أتىٰ بها علىٰ الكمال، فنقصان الصَّلاة إذًا من الفحشاء والمنكر، فمن نقص صلاته لم تنهَهُ عن الفحشاء والمنكر، ولم تأخذه صفة الله للمصلِّين، وإن كان قد صلىٰ بعضها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]؛ أي: غافلون؛ فقد سمَّاهم الله مُصلِّين، وجعل لهم الويل إن لم تأخذهم صفة الله للمصلِّين».

وقال أيضًا العلَّامة أبو الحسن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، لمن صلَّاها مقيمًا حدودها، وأمَّا من أخرجها عن وقتها، أو صلَّاها لاهٍ بقلبه، غافل بعقله؛ فلا تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر».

وقال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إن الصلاة التي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر هي الصَّلاة الكاملة، التي تكون علىٰ وفق ما جاء عن النبيِّ ﷺ باستحضار القلب وأداء العمل كما جاءت به السُّنَّةُ، وليس كل

(١) الزاهر في بيان ما يُجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر (ص ٤٣).

(٢) الزاهر في بيان ما يُجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر (ص ٤٩).

(٣) اللقاءات الشهرية (١/ ٣٤).

صلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، بل الصلاة المقامة التي أقامها الإنسان علىٰ الوجه الذي ينبغي، قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ يعني التي أقمْتها علىٰ الوجه الصحيح ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا كان ما ترك من الواجب منها – الصلاة – أعظم ممَّا فعله؛ أبعده ترك الواجب الأكثر من الله أكثر ممَّا قربه فعل الواجب الأقلِّ، وهذا كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتىٰ إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا**»، رواه مسلم».

❁ ❁ ❁

(١) الإيمان الكبير (ص ٣٤).

الصلاة ميزان

المصلي قيامه بين يدي ربه في الدُّنيا؛ تنبيه له إلىٰ قيامه بين يديه في الدَّار الآخرة، فإن كان قيامه قرة عين بمناجاة الله والرجاء والرغبة والرهبة إليه؛ فهذا أرجىٰ الناس لإحسان الله وعفوه ومغفرته وإكرامه، فالله جعل هذا المقام معيارًا لذلك المقام، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل: ٣٠].

ومن لم يقم لله ولم يصلِّ أو قام بين يدي الله متثاقلًا لطاعته، ملتفتًا عن الإقبال إليه، غير محقِّق لمعاني العبوديَّة لله في صلاته؛ فهذا التفات الله عنه بحسب التفاته عنه في الدُّنيا، فإن كان التفاته كليًّا كان التفات الله عنه كليًّا، وإن كان دون ذلك فالتفات الله عنه بحسبه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصَّلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحقِّ الموقف الأول هُوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفِّه حقَّه؛ شدِّد عليه ذلك الموقف، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧]».

(١) الفوائد (ص ٢٩١).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «تفقَّدوا الحلاوة في الصَّلاة، وفي القرآن، وفي الذِّكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوا فاعلموا أن الباب مغلق».

فإن كنت تجد راحتك وقرَّة عينك وفرحك وسرورك وطمأنينتك وانشراح صدرك في الصَّلاة، وكانت الصلاة أحب إليك من كلِّ شيء، وكنت ممن ينتظر الصلاة إلىٰ الصَّلاة، وقلبك معلَّق بالمساجد؛ فأنت ممن أخلصه الله لعبوديته واصطفاه، فاحمد الله واسأل الله الثَّبات والزِّيادة من كل خير.

فمن أوتي الأنس بمناجاة الله؛ فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وروىٰ أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**إنَّ أغبط أوليائي عندي: مؤمنٌ ذو حظٍّ من الصَّلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السرِّ**»، الحديث.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: «**ذو حظ من الصلاة**»، يشير إلىٰ أن المؤمن الخفي التقي لابُدَّ أن يكون له نصيب من التنفل بالصَّلاة، فيكون هو لذته وقوته وغذاؤه، كما قال ﷺ: «**جُعلت قرَّة عيني في الصَّلاة**»، خرجه النَّسائي.

وفي «سنن أبي داود» عنه ﷺ؛ أنه قال: «يا بلال، أقم الصَّلاة، وأرحنا بها».

(١) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٤٧٠).

(٢) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٧٥٠).

وفي «المسند» عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «قال جبريل للنبي** ﷺ**: يا محمَّد، إن الله قد حبب إليك الصَّلاة؛ فخُذْ منها ما شئت»».**

وترك الصَّلاة خسارة وتضييع، ومصاب عظيم يُحبط الأعمال، وسبب للضَّلال، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال النبيُّ ﷺ: «**من ترك صلاة العصر؛ فقد حبط عمله**»، رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «جعل تركها موجبًا لحبوط العمل؛ يعني – والله أعلم – عمل يومه؛ فإنَّ الأعمال بالخواتيم».

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الَّذي تفوته صلاة العصر؛ فكأنَّما وُتِرَ أهله وماله**»، رواه البخاريُّ.

قال العلامة أبو سليمان حَمْدُ بن محمَّد الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «قوله: «**وُتر**»؛ يعني: نُقِصَ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٥﴾[محمد: ٣٥]، أي: لم يُنْقِصْكُمْ.

وقيل: معناه: سُلِبَ أهله وماله، فبقي وِتْرًا، ليس له أهل ولا مال.

يقول: فليحذر أن تفوته هذه الصلاة، وليكره ذلك كراهته لأن يُسلَب أهله وماله».

---

(١) شرح العمدة، كتاب الصلاة (ص١٦١).

(٢) أعلام الحديث (١/ ٤٢٩).

الصلاة إقامة لذكر الله

فرض الله الصلوات في خمسة أوقات مختلفة؛ في أوَّل النَّهار وأوسطه وآخره، وبعد غروب الشمس، وبعد غروب الشَّفق الأحمر؛ ليستوعب المسلم ليله ونهاره بالصلاة وذكر الله؛ فلا يكون من الغافلين.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾: فقيل: المعنىٰ: لتذكرني فيها، وقيل: لأذكرك بالمدح، وقيل: إذا ذكرتها؛ أي: لتذكيري لك إيَّاها، وهذا يعضد قراءة من قرأ: ﴿**للذِّكْرَىٰ**﴾.

وقال النخعي: اللام للظرف؛ أي: إذا ذكرتني؛ أي: إذا ذكرت أمري بعد ما نسيت.

وقيل: لا تذكر فيها غيري، وقيل: شكرًا لذكري.

وقيل: المراد بـ﴿**ذِكْرِي**﴾؛ ذكر أمري.

وقيل: المعنىٰ: إذا ذكرت الصَّلاة فقد ذكرتني؛ فإن الصلاة عبادة الله التي ذكرها ذكر المعبود؛ فكأنه أراد: لذكر الله».

(١) فتح الباري (٢/ ٧٢).

وقال العلَّامة هشام بن أحمد الوقَّشِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾، تأوَّله كثيرٌ من المفسرين علىٰ أنَّه أراد أن يُصلِّي الصلاة إذا ذكرها. وقال غير هؤلاء: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وهو قول مجاهد، وهذا القول أليق بالآية، وأشبه بمعناها».

وذكر الله – وأعظمه الصلاة – حياة للمصلِّي؛ لأنَّ الكافر لا يُصلِّي لله ولا يذكره؛ فحياته حياة بدن كالبهائم لا روح فيها، وحياة تعود عليه بالحسرة في الدنيا والعذاب في الآخرة؛ لكفره، فمن لا يذكر الله فهو في حسرات كفره في حياته الدُّنيا، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال النبيُّ ﷺ: «**مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره؛ مثل الحيِّ والميِّت**»، متَّفق عليه.

فالمقصود من فرض الصَّلاة أن يكون المسلم من الذاكرين، ولا يكون من الغافلين، عن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ثلاثة في قرية لا يُؤَذَّن ولا تُقام فيهم الصلاة؛ إلَّا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة؛ فإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»، رواه أحمد والنسائي وأبو داود، وصححه ابن خزيمة.

---

(١) التعليق علىٰ الموطَّأ (١/ ٣٩، ٤٠).

ومن ترك الصَّلاة ولم يؤدِّهَا كان من الغافلين، ولم يكن من الذاكرين؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّهما سمعا رسول الله ﷺ يقول علىٰ أعواد مِنْبَرِهِ: «**لينتهينَّ أقوام عن ودعهم الجُمعات، أو ليَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قلوبهم، ثم ليكُونَنَّ من الغافلين**»، رواه مسلمٌ.

ونصوص القرآن متعاضدة علىٰ أنّ مقصود الصلاة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله سبحانه لموسىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤]، وإقامة الصلاة لذكره من أجل عبادته».

وقال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: الصلوات الخمس[2].

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السوق، فأقيمت الصَّلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[3].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٧٦).

(٢، ٣) رموز الكنوز (٥/ ٢٦١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾؛ قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يُتلىٰ فيها كتابه[1].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الأظهر عمومه».

وإذا كان الله نهىٰ عن الشغل بالبيع والتجارة في أوقات الصَّلاة، فنهيه عنها في المساجد أماكن الصَّلاة أوكد.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع رجلًا يَنْشُدُ ضالَّةً في المسجد؛ فليقل: لا رَدَّهَا الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا**».

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «إذا حَرُمَ إنشاد الضالة؛ فالبيع والشِّراء في المسجد من باب أولىٰ؛ لأنَّ إنشاد الضالة من الأمور النَّادرة، فإذا جاء الشرع بتحريمه فالأمور الغالبة الكثيرة من باب أولىٰ، لئلَّا يتَّخذ المسجد سوقًا للبيع والشراء، وقد ورد الحديث بذلك: أننا إذا رأينا من يبيع أو يبتاع في المسجد فنقول: «**لا أَرْبَحَ الله تجارتك**»».

وقوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾، قال الحافظ عبد الرزاق

(١، ٢) رموز الكنوز (٥/ ٢٥٩).

(٣) التعليق علىٰ صحيح مسلم (٣/ ٤٣٤).

الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يُصَلَّىٰ له فيها».

والغدو: الفجر، أول النَّهار، **والآصال**: العصر إلىٰ آخر النهار.

والمقصود: أن يعمر المسلم وقته بالعبودية لله ويحقق بها توحيده، وأعظم ذلك تحقيقًا: إقامة الصَّلاة وذكر الله سبحانه.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[الفرقان: ٦٢].

قال العلامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾؛ أي: لمن أراد أن يتذكر بهما ويعتبر ويستدل بهما علىٰ كثير من المطالب الإلهية ويشكر الله علىٰ ذلك، ولمن أراد أن يذكر الله ويشكره وله ورد من الليل أو النهار، فمن فاته وِرْدُه من أحدهما أدركه في الآخر، وأيضًا فإنَّ القلوب تتقلَّب وتنتقل في ساعات الليل والنهار فيحدث لها النشاط والكسل، والذكر والغفلة، والقبض والبسط، والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار يتوالىٰ علىٰ العباد ويتكرَّران؛ ليحدث لهم الذِّكر والنَّشاط والشُّكر لله في وقت آخر، ولأن أوراد العبادات تتكرر بتكرُّر الليل والنهار، فكلما تكررت الأوقات أحدث للعبد همَّةً غير همَّتِهِ الَّتي كسلت

(١) رموز الكنوز (٥/ ٢٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٧).

في الوقت المتقدِّم؛ فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطَّاعات بمنزلة سقي الإيمان الذي يمده، فلولا ذلك لذوىٰ غرس الإيمان ويبس، فللَّه أتم حمد وأكمله علىٰ ذلك».

ومتىٰ غلب الإنسان نسيان أو نوم عن الصَّلاة قام وصلىٰ؛ ففي الصحيحين عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**من نسي صلاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذكر، لا كفَّارة لها إلَّا ذلك**»، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[طه: ١٤].

قال العلامة أبو سليمان حَمْدُ بن محمَّد الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: «**لا كفَّارة لها إلَّا ذلك**»؛ تحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّه لا يجوز له تركها إلىٰ غير بدل، ولا يكفِّرها غير قضائها.

والآخر: أنه لا يلزمه في نسيانه لها كفَّارة ولا غرامة في مال، ولا يجب عليه في القضاء زيادة تضعيف لها، إنما يصلي ما ترك سواءً».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ معاني الصلاة، وما يشمله اسمها؛ فقال[2]: «إذا عرف الإنسان ما دخل في هذه الأسماء الجامعة مثلما يدخل في اسم الصَّلاة من ذكر الله تعالىٰ، ودعائه، وتلاوة كتابه، وإخلاص الدِّين

(١) أعلام الحديث (١/ ٤٥٢).

(٢) السياسة الشرعيَّة (ص ١٦٨، ١٦٩).

له، والتَّوكُّل عليه».

والله عَزَّوَجَلَّ سمىٰ الصَّلاة بالأذكار فيها من التسبيح والحمد وعموم الذِّكر، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وقت الفجر ووقت العصر هما أفضلُ أوقات النهار للذِّكر، ولهذا أمر الله تعالىٰ بذكره فيهما في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٢]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٥]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١]، وقوله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم: ١١]، وقوله: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الروم: ١٧]، وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥]، وقوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ق: ٣٩].

وأفضل ما فُعل في هذين الوقتين من الذكر: صلاة الفجر وصلاة العصر، وهما أفضل الصَّلوات».

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «معلوم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فرض علىٰ المسلمين أن يذكروه كل يوم وليلة خمس مرَّات، بإقامة الصَّلوات الخمس في مواقيتها المؤقتة، وشرع لهم مع هذه الفرائض الخمس أن يذكروه ذكرًا يكون لهم نافلة، والنافلة: الزيادة، فيكون ذلك زيادة علىٰ الصلوات الخمس، وهو نوعان:

أحدهما: ما هو من جنس الصلاة، فشرع لهم أن يصلوا مع الصلوات الخمس قبلها، أو بعدها، أو قبلها وبعدها، سننًا، فتكون زيادة علىٰ الفريضة، فإن كان في الفريضة نقص؛ جبر نقصها بهذه النوافل، وإلا كانت النوافل زيادة علىٰ الفرائض. وأطول ما يتخلل بين مواقيت الصلاة مما ليس فيه صلاة مفروضة ما بين صلاة العشاء وصلاة الفجر، وما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، فشرع كلِّ واحدة من هاتين الصلاتين صلاة تكون نافلة؛ لئلَّا يطول وقت الغفلة عن الذكر، فشرع ما بين صلاة العشاء وصلاة الفجر صلاة الوتر وقيام الليل، وشرع ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر صلاة الضحىٰ».

وقال الحافظ ابن رجب أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وأما الذكر باللِّسان،

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢٤، ٥٢٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢٥).

فمشروع في جميع الأوقات، ويتأكَّد في بعضها، فممَّا يتأكد فيه الذكر عقيب الصلوات المفروضات، وأن يذكر الله عقيب كل صلاة منها مائة مرَّة ما بين تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل. ويستحب - أيضًا - الذكر بعد الصلاتين اللتين لا تطوُّع بعدهما، وهما: الفجر والعصر، فيُشرع الذكر بعد صلاة الفجر إلىٰ أن تطلع الشمس، وبعد العصر حتىٰ تغرب الشمس».

❁ ❁ ❁

الصلاة قوت القلوب وقوة للأبدان

قوت الطعام والشَّراب غذاء الأبدان، وذكر الله والصَّلاة قوت القلوب والأرواح والأبدان، فالإنسان يكابد الدُّنيا، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[البلد: ٤].

فحاجة الإنسان ضروريَّة للذِّكر، تعينه علىٰ قضاء أموره الدينيَّة والدنيويَّة، وتوجب طمأنينة قلبه في مواجهة أعباء الدُّنيا، وتسليه عن مكدِّرات الحياة، وتجعل قلبه دائم التعلُّق بربِّه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا حملت علىٰ القلب همومَ الدُّنيا وأثقالها، وتهاونت بأوراده التي هي قوته وحياته؛ كنت كالمسافر الذي يُحَمِّل دابَّتَهُ فوق طاقتها، ولا يوفيها علفها، فما أسرع ما تقف به».

وفاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طلبت من أبيها النبي ﷺ خادمًا يعينها علىٰ أعباء المنزل، فدلَّها علىٰ ما يعينها علىٰ أعباء المنزل والقيام بأشغاله؛ وهو ذكر الله.

قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن الصَّلاة هي قوت قلوب

(١) الفوائد (ص٦٦).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٦٢).

المؤمنين وغذاؤها، بما اشتملت عليه من ذكر الله، ومناجاته، وقربه، فمن أتمَّ صلاته فقد استوفى غذاء قلبه وروحه، فما دام على ذلك كملت قوته، ودامت صحته وعافيته، ومن لم يتمَّ صلاته فلم يستوف قلبه وروحه قوتها وغذاءها، فجاع قلبه وضَعُف، وربما مرض أو مات؛ لفقد غذائه، كما يمرض الجسد ويسقم إذا لم يكمل تناول غذائه وقوته الملائم له».

فالصَّلاة من أعظم أسباب حفْظِ الإيمان وزيادته، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ١-٤]، فذكْر الله - وأعظمه الصلاة - إيمانٌ، يحقق فيه المسلم توحيده، وهو يحفظ الإيمان وينمِّيه.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدِّها، وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينمِّيه، وأنَّ أولى ما يحصل به ذلك تدبُّر كتاب الله والتَّأمُّل لمعانيه».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٦٠٦).

فالقلب يتغذَّىٰ بطاعة الله وذكره وعبوديَّته، والصلاة من أعظم ما يكون من ذلك الزَّاد؛ فهو أساس التقوىٰ وحقه، وهو خير ما يتزود به المسلم من حقائق الدِّين والإيمان؛ فهو أنفع زاد لحفظ الدين في اليوم والليلة، قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فيصمد العبد إلىٰ ربِّه، ويتوجه بقلبه وجوارحه إلىٰ الله، ويتزود من ذكر الله ومناجاته ودعائه ما يكون سببًا في تعاهد دينه وزيادة إيمانه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «حاجتهم – العباد – إليه في عبادتهم إياه وتألُّههم إياه كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيَّته إيَّاهم؛ فإنَّ ذلك هو الغاية المقصودة لهم؛ وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم؛ ولا نعيم ولا لذَّة؛ بدون ذلك بحال، بل من أعرض عن ذكر ربه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن فقر العبد إلىٰ أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ليس له نظير فيقاس به؛ لكن يُشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلىٰ الطعام والشراب؛ وبينهما فروق كثيرة؛ فإنَّ حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلَّا هو، فلا تطمئن في

(١) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٨٢).

(٢) الفتاوىٰ العراقيَّة (١/ ٤٨٣).

الدنيا إلَّا بذكره».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ للصلاة مزيد ثواب عاجل في القلب من قوة إيمانه، واستنارته، وانشراحه وانفساحه، ووجود حلاوة العبادة، والفرح والسرور، واللذة التي تحصل لمن اجتمع همُّه وقلبه علىٰ الله، وحضر قلبه بين يديه».

وقد أخبرنا النبي ﷺ ما في أوقات الليل والنهار، وفصول السَّنة من الغنائم الموجبة للسعي في تحصيلها، خصوصًا ما كان منها من غير كلفة ولا مشقَّة.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الشتاء ربيع المؤمن**»، رواه أحمد، ورواه البيهقي وزاد فيه: «**طَالَ ليلُه فقامه، وقَصُرَ نَهارُه فصامه**».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنما كان الشتاء ربيع المؤمن؛ لأنَّه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه، كما ترتع البهائم في مرعىٰ الربيع؛ فتسمن وتصلح أجسادها، فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات؛ فإن المؤمن يقدر في الشتاء علىٰ صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش؛ فإن نهاره قصير بارد؛ فلا يحسُّ فيه

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٥).

(٢) لطائف المعارف (ص ٦٠٦، ٦٠٧).

بمشقَّة الصيام، وفي «المسند» والترمذي، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة**»، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ألا أدلكم علىٰ الغنيمة الباردة؟ قالوا: بلىٰ، فيقول: الصيام في الشتاء»، ومعنىٰ كونها غنيمة باردةً: أنَّها حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة؛ فصاحبها يحوز هذه الغنيمة عفوًا صفوًا بغير كلفة.

وأما قيام ليل الشتاء فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم، ثم تقوم بعد ذلك إلىٰ الصلاة، فيقرأ المصلي ورده كله من القرآن، وقد أخذت نفسه حظها من النوم فيجتمع له فيه نومه المحتاج إليه مع إدراك ورده من القرآن؛ فيكمل له مصلحة دينه وراحة بدنه».

والاطمئنان في الصلاة وإتمام أركانها وإقامة واجباتها وأداء مستحبَّاتها؛ هو الذي يحصل به المعنىٰ المقصود من الصلاة، ويقال لمن فعل ذلك: «صلَّىٰ»، أمَّا من ضيَّع أو فرَّط، أو أضاع شيئًا من واجباتها أو أركانها؛ فهذا الذي قال له النبيُّ ﷺ: «**إنَّك لم تُصلِّ**».

فمن أدَّىٰ الصلاة بحقائقها ومعانيها تألُّهًا لله؛ قرت عينه بها واغتذىٰ من حقائقها ومعانيها بمقدار ما حققه من مقاصدها، ومن صلاها لمعنىٰ إبراء الذمَّة فقط؛ فهذا صلىٰ ليستريح من الصلاة لا ليستريح بها، فما أقل انتفاع هذا النُّوع من صلاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن الصلاة قوت القلوب كما أن الغذاء قوت الجسد، فإذا كان الجسد لا يتغذىٰ باليسير من الأكل، فالقلب لا يقتات بالنَّقْرِ في الصَّلاة، بل لا بد من صلاة تامَّة تُقِيتُ القلوب».

فالمقصود أن يتزود الإنسان في سفره إلىٰ الدار الآخرة، وزاد التقوىٰ – خصوصًا الصلاة – من أعظم الزَّاد المعين علىٰ مداومة السير إلىٰ الله، قال النبيُّ ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوْحَة وشيء من الدُّلْجة**»، رواه البخاريُّ.

قال العلَّامة أبو المفاخر عليُّ بن عبيد الله المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥٨ هـ)**[٢]: «المعنىٰ: استعينوا علىٰ تحصيل الجنَّة ونعيمها بالطَّاعة في أوَّل النَّهار وآخره، وشيء من الليل، فكما أنَّ المسافر يستظهر علىٰ المداومة في سفره بأن يسير في أول النَّهار، ثم ينزل للاستراحة، ثم يرحل بعد العصر إلىٰ الليل، ثم يسكن ثم يسير في آخر الليل، فكذلك السَّالِكُ المُتعبِّدُ ينبغي له أن يفعل في تعبُّده وسلوكه ما لا يحصل له به الكلال، ويؤدي به إلىٰ الانقطاع والْمَلال، بل ينبغي أن يتعبَّد ساعة ويستريح أخرىٰ؛ ليكون علىٰ المداومة أرجىٰ».

❁ ❁ ❁

---

(١) القواعد النورانيَّة الفقهية (ص ٦٨).

(٢) شرح المصابيح (٢/ ٣٩٦).

الصلاة أداء حقِّ الجوارح

الصلاة عبادة يؤدي فيها المسلم حقَّ الله عليه في بدنِهِ، وجوارحه، وأعضائه كلِّها، قال الله تعالىٰ مخاطبًا رسوله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو خطاب لنا؛ خاطبنا الله به في القرآن كي نقوم بالحقِّ الذي أوجبه علينا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[طه: ١٤].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خصَّ الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة، لفضلها وشرفها، وتضمُّنها عبودية القلب واللسان والجوارح».

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يصبح علىٰ كلِّ سُلَامىٰ من أحدكم صدقة، فكلُّ تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضُّحىٰ**»، رواه مسلم.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (٣/ ١٠٢٠).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله ﷺ: «**علىٰ كل سلامىٰ من الناس عليه صدقة**»؛ قال أبو عبيد: السُّلامىٰ في الأصل عظْمٌ يكون في فِرْسِنِ البعير، قال: فكأن معنىٰ الحديث: علىٰ كل عظم من عظام ابن آدم صدقة».

ثم قال[٢]: «ومعنىٰ الحديث: أنَّ تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله علىٰ عبده، فيحتاج كل عظم منها إلىٰ صدقة يتصدَّق ابن آدم عنه؛ ليكون ذلك شكرًا لهذه النِّعمةِ». فالصلاة من أتم العبادات في أداء حق الجوارح، فالقلب واللِّسان، والسَّمع والبصر، وكل مفاصل البدن؛ تؤدِّي عبوديتها لله[٣].

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]، فهذا عقاب الله للممتنعين عن الصَّلاة وأداء أركانها وأعظمه السُّجود؛ لأنهم تولوا عن فعلها وهم في عافية سالمون مما يمنعهم من فعلِهَا، فتركهم لها كان عن غير عذر.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٥).

(٣) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (١/ ٢٣٠).

فواجب المسلم شكر الله علىٰ نعمه، وأداء حقِّها، ومن أعظم ذلك نعمة الصحَّة والعافية، قال النبيُّ ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من النَّاس: الصحة والفراغ**»، رواه البخاري من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «هذه النعم مما يسأل الإنسان عن شكرها يوم القيامة، ويطالب به كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨]، وخرَّج الترمذيُّ وابن حبَّانَ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إنَّ أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم، فيقول له: ألم نصحَّ لك جسمك، ونُرْويك من الماء البارد؟**»، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النعيم الأمن والصحة». وروي عنه مرفوعًا، وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[التكاثر: ٨]، قال: «النعيم: صحَّةُ الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم»، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: ٣٦]».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «لينظر العبد في نعم الله عليه في بدنه وسمعه وبصره ويديه ورجليه وغير ذلك، ليس من هذا شيء

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٦، ٧٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٨٤، ٨٥).

إلَّا وفيه نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، حقٌّ علىٰ العبد أن يعمل بالنعم اللاتي هي في بدنه لله عَزَّوَجَلَّ في طاعته، ونعمة أخرىٰ في الرزق، حق عليه أن يعمل لله عَزَّوَجَلَّ فيما أنعم عليه من الرِّزق في طاعته، فمن عمل بهذا؛ كان قد أخذ بحزم الشُّكر وأصله وفرعه».

وعن أبي برزة الأسلميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتَّىٰ يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»، رواه الترمذي، وقال:حديث حسن صحيح.

❁ ❁ ❁

الصلاة أفضل الأعمال

الصلاة أفضل الأعمال؛ فهي من توحيد الله وحقوقه؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النَّاس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصَّلاة، ويؤتوا الزكاة**»، وفي جوابه لمن سأله: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والصلاة لوقتها**»، والصلاة فرض عين علىٰ كل مسلم في اليوم والليلة خمس مرَّات في دهره كُلِّه، وليس شيء من ذلك مفروضًا كذلك من أركان وواجبات الإسلام، فالحج فريضة العمر، والزكاة تجب علىٰ الأغنياء إذا ملكوا نصابًا مرَّةً في الحول، والصيام فرضه شهر في العام.

وذكر الله من أفضل الطاعات، وذكره في الصَّلاة أفضل منه خارجها، من تلاوة قرآن أو تسبيح أو استغفار، والدليل علىٰ ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: **سبحانك اللَّهم ربَّنَا وبحمدك، اللهم اغفر لي**، يتأوَّل القرآن»[1].

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع (ص ١٢٨، ١٢٩- رقم ٧٩٤)، ورواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود (ص ٢٠١- رقم ١٠٨٥).

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «معنىٰ «يتأول القرآن»؛ يعمل ما أُمِرَ به في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [النصر: ٣]، وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما أُمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود؛ لأنَّ حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أُمر به ليكون أكمل».

والله عَزَّوَجَلَّ إذا أمرنا بطاعته عمومًا ذكر أوَّلًا الصَّلاة نصًّا وتخصيصًا لها؛ لأنَّها حق التوحيد وأعظمه وأهمُّه، ولأن صحة سائر الطاعات منوطة بتحقيق التوحيد وإقامة الصلاة.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣]، ثم ذكر سائر خصالهم الحميدة، ثم كرَّرَ الثناء عليهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [المؤمنون: ٩]، قال العلَّامة أبو عبد الله محمَّد بن نصر

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص ٤٨٠).

المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «بدأ بمدح الصَّلاة قبل سائر الأعمال، تبعها ما تبعها من سائر الطَّاعات، فكرَّر الثَّناء عليهم ومدحهم بالمحافظة عليها؛ ليدوموا عليها، كل ذلك تأكيدًا لها، وتعظيمًا لشَأْنها».

والصلاة في فقه الصحابة من أفضل الأعمال، قال عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم»، رواه البخاريُّ[٢].

وقال العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: ما أحب إليك ما يتقرب به العبد من العمل إلىٰ الله؟ قال: «كثرة الصلاة والسجود، وأقرب ما يكون العبد من الله إذا عَفَّر وجهه له ساجدًا»، يعني بهذا: إذا سجد لله علىٰ التراب، وفي هذا بيان أن الصلاة أفضل أعمال الخير. وروىٰ عنه المروذيُّ أنه قال: كل تسبيح في القرآن صلاة إلا موضع واحد، قال: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾[الطور: ٤٩] ركعتين قبل الفجر ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[ق: ٤٠] ركعتين بعد المغرب.

قال أبو حفص: والحجَّةُ في تفضيله الصلاةَ علىٰ سائر أعمال القرب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ٤٥]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ

(١) تعظيم قدر الصَّلاة (ص ٩٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع (ص ١١٤، رقم ٦٩٥).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٠٤، ١٥٠٥).

عَلَيۡهَاۖ﴾[طه: ١٣٢]، وقال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: إذا حزبه – النبي ﷺ – أمرٌ صلَّىٰ.

وقال: «أعنِّي علىٰ نفسك بكثرة السجود»، وقال: «**أفضل الأعمال الصلاة لأول وقتها**»، وقال: «**جُعلت قرَّة عيني في الصلاة**».

ولأنَّها تختصُّ بجمع الهمِّ وحضور القلب والانقطاع عن كل شيء سواها، بخلاف غيرِهَا من الطَّاعات».

والصلاة من العبادات التي اختُصَّتْ بشرط الطهارة لها، وهذا من أقوىٰ مرجِّحات جعلها أفضل الأعمال.

قال العلامة أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «جعل – الله – جميع الطاعات من الفرض والنفل متقبلة بغير طهارة ولا ينقضها الأحداث، ولا يفسدها، إلا الصلاة وحدها لإيجاب حقِّها، وإعظام قدرها، إلَّا الطَّواف بالبيت؛ فإنَّ السُّنَّة أن يؤتىٰ به علىٰ طهارة؛ لأنه صلاة. ومن الدليل علىٰ أنها أرفع الأعمال أن الله عَزَّوَجَلَّ أوجب أن لا تؤتىٰ إلَّا بطهارة الأطراف، ونظافة الجسد كله واللباس من جميع الأقذار، ونظافة البقاع التي يصلىٰ عليها، ثم زادها تعظيمًا أنه أمرهم إذا عدموا الماء عند حضور وقت الصلاة أن يضربوا بأيديهم علىٰ الصعيد فيمسحوا مكارم وجوههم بالتراب؛ إعظامًا لقدرها أن لا تؤدىٰ إلَّا بطهارة».

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ١١٨).

أحب الأعمال إلى الله في أحب الأماكن إليه

الصلاة أحب الأعمال إلىٰ الله في أحب الأماكن إليْه، قال النبيُّ ﷺ: «**اعلموا أنَّ خير أعمالكم الصَّلاة**»، رواه أحمد، وقال ﷺ: «**أحبُّ البقاع إلىٰ الله المساجد، وأبغضها إليه الأسواق**»، رواه مسلم.

والصلاة تحقيق للتوحيد؛ فلذلك أول ما بدأ به النبي ﷺ بعد هجرته إلىٰ المدينة وإقامته لدولة الإسلام بناء المسجد، ومن أعظم خصال المؤمنين عمارة المساجد حسيًّا ومعنويًّا؛ ببنائها وإقامة ذكر الله فيها، والصلاة وتلاوة القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[التوبة: ١٨].

والمسجد في عهد النبي ﷺ وصحابته من بعده معقل الإسلام الأعظم؛ فهو مدرسة للعلم والتعليم ولعقد رايات الجهاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد؛ فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك علىٰ التقوىٰ؛

(١) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٧٠).

ففيه الصلاة والقراءة والذكر، وتعليم العلم والخُطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة: «**رجل قلبه معلَّق بالمساجِدِ**».

قال العلَّامة أبو المظفر ابن هُبيرة الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **في بيان بعض معاني تعلق القلب بالمساجد**[1]: «همَّته بمساجد المسلمين، وقيام الجماعات فيها، متفقدًا عمارتها وأهلها، فيكون قلبه معلقًا هاهنا من العلاقة، من قولك: علقت بكذا، إذا أُشرب قلبك ذلك».

وقال أيضًا[2]: «المؤمنون تتعلق قلوبهم بالمساجد من حيث إنهم فيها عرفوا الإخوان في الله عَزَّوَجَلَّ، وهي الأماكن المنسوبة من بين الأرض كلها إلىٰ الله؛ لكونها بيوتًا له».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «الرجل المعلَّقُ قلبُه بالمساجد - **وفي رواية: «إذا خرج منه حتىٰ يعود إليه»** -، فهو يحب المسجد

(١، ٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٦/ ٢٣٦).

(٣) فتح الباري (٦/ ٤٧).

ويألفه لعبادة الله فيه، فإذا خرج منه تعلق قلبه به حتىٰ يرجع إليه، وهذا إنما يحصل لمن ملك نفسه وقادها إلىٰ طاعة الله، فانقادت له؛ فإن الهوىٰ إنما يدعو إلىٰ محبة مواضع الهوىٰ واللعب، إما المباح أو المحظور، ومواضع التجارة واكتساب الأموال، فلا يقصر نفسه علىٰ محبة بقاع العبادة إلا من خالف هواه، وقدَّم عليه محبة مولاه.

وقد مدح عمار المساجد في قوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨]».

وقال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فهل مثله من لا يعتاد المساجد، لكن قلبه معلق بالصلاة؟

فمثلًا: امرأة في بيتها قلبها معلَّق بالصَّلاة، أو إنسان مريض لا يستطيع الصلاة في المسجد، لكن قلبه معلَّق بالصَّلاة؟

فهل نقول: إذا كان ثواب المعلّق قلبه بمكان عبادة هو هذا الظل، فمن قلبه معلَّق بالعبادة من باب أولىٰ؛ لأنَّ المساجد أماكن عبادة، فإذا كان تعلّق

(١) شرح صحيح البخاري (٢/ ٢٨١).

القلب بأماكن العبادة سببًا في أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فالذي يتعلَّق قلبه بالعبادة – التي هي الصلاة – من باب أولىٰ، وربما يؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن: ١٨]، فإنَّ بعض العلماء قال: (المساجد) يعني: الصَّلوات؛ لأنَّهَا تَشتمل علىٰ السُّجود، الظاهر فيها أنَّ الَّذي قلبه معلَّقٌ بالصلاة سواء كان مؤديها في المسجد، أو في البيت لعذر، أو لكونه ليس من أهل الجماعة؛ يدخل في الحديث.

والذي قلبه معلق بالله أحق من هؤلاء بالظلِّ، فالذي قلبه معلَّق بالله دائمًا مع الله في شرعه وقدره؛ هذا لا شكَّ أنه في أعلىٰ المراتب بعد النبيين والصديقين، إن لم يكن من الصديقين، وكذلك ينبغي لنا أن نذكر الله دائمًا بقلوبنا في الخلوات».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّما دين الله تعظيم بيوت الله وحده لا شريك له، وهي المساجد التي تُشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة، والاعتكاف، وسائر العبادات البدنية والقلبية: من القراءة والذِّكر والدُّعاء لله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٤٤٩).

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦-٣٨]، فهذا دين المسلمين الذين يعبدون الله مخلصين له الدين».

فالمساجد بنيت لإقامة الصلاة وذكر الله، قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦]، هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها: بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسات والأذىٰ، وصونها عن المجانين والصبيان الذين لا يتحرَّزون عن النجاسات، وعن الكافر، وأن تُصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله».

وإذا كان المسلم مأمورًا بمحاذرة ارتفاع الأصوات، ومنهي عن اللغط في الأسواق؛ فنهيه عن ذلك في المساجد التي بُنيت للصلاة ولذكر الله أولىٰ وأشدُّ.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ليلني منكم**

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ١١٦٩).

أولو الأحْلَام والنُّهَىٰ، ثم الذين يلونهم – ثلاثًا –، **وإيَّاكم وهَيْشَاتِ الأسواق**»[١]، قال الحافظ عبد الرحمن السُّيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أي: اختلاطها، والمُنَازَعة، والخُصومات، وارتفاع الأصوات، واللغط والفتن التي فيها».

فالواجب صيانة المساجد عن اللغط وما لم يكن من مقصود بنائها، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع رجلًا يَنْشُدُ ضالَّةً في المسجد؛ فليقل: لا رَدَّهَا الله عليك؛ فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا**»، رواه مسلم.

وعن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلًا نشد في المسجد فقال: من دعا إلىٰ الجمل الأحمر، فقال النبي ﷺ: «**لا وَجَدْتَ، إنَّما بُنيت المساجد لما بُنيت له**»، رواه مسلم.

قال العلامة أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قوله: «**إنَّما بُنيت المساجد لما بُنيت له**»؛ يدلُّ علىٰ أنَّ الأصل ألَّا يُعمل في المسجد غير الصَّلوات، والأذكار، وقراءة القرآن».

وواجب المسلم تعظيم المساجد بصيانتها عن أذية المسلمين والعدوان عليهم.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها (ص ١٨٤ – رقم ٩٧٤).

(٢) قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي (١/ ١٥٧).

(٣) المفهم (٢/ ١٧٥).

قال الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فيما يجب علىٰ المسلم إذا دخل المسجد[١]: «يشتغل بذكر الله أو يسكت، ولا يخوض في حديث الدُّنيا فما دام كذلك فهو في صلاة والملائكة تستغفر له ما لم يؤذِ أو يحدث».

وقال العلامة المحدِّث عبد المحسن العباد حَفِظَهُ ٱللَّهُ شارحًا[٢]: «إذا دخل المسلم المسجد؛ فإنَّه بعد أداءِ الرَّاتبة أو تحية المسجد يكون مشتغلًا بقراءة القرآن والذكر والدعاء، ولا يشغل نفسه في أمور الدُّنيا؛ لأنه وهو في المسجد في صلاة، ومن كان في صلاةٍ لا يشتغل بشيء سواها، ومرَّ قريبًا عند ذكر مقاربة الخطا إلىٰ المساجد حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**فإذا صلىٰ لم تزل الملائكة تصلِّي عليه ما دام في مصلَّاه: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**»، وورد في بعض ألفاظه: «**ما لم يؤذِ أو يحدث**»؛ فدلَّ الحديث علىٰ أنَّه في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، ودلَّ أيضًا علىٰ أنَّه بعد الصلاة في صلاة ما لم يؤذ أو يُحدث، والمعنىٰ: ما لم يؤذِ أحدًا من النَّاس بقوله أو فعله، أو يحدث بأن ينتقض وضوءه؛ لأنَّ من لم يكن علىٰ وضوء لا يكون مصليًا».

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ

(١، ٢) آداب المشي إلىٰ الصلاة، للإمام محمد بن عبد الوهاب، وشرحها للعلَّامة عبد المحسن العباد (ص١٢).

قال: «**من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا، وليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته**».

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «استدلَّ بعضهم بهذا الحديث علىٰ أنَّ من يتكلَّم في النَّاس ويؤذيهم بلسانه في المسجد أنه يُخرج منه ويُبعد، ذكره القرطبي في تفسيره».

❁ ❁ ❁

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٣/ ٤١٤).

توطن ناحية بالمسجد

المسلم قلبه معلّق في المساجد، يجد فيها أُنسه وراحته وطمأنينته، ويعمرها بالصلاة وقراءة العلم ومذاكرته، وتلاوة القرآن وحفظه وفهم معانيه، قال الله تعالىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾[النور: ٣٦].

يستوطن المسلم بيوت الله؛ لأنَّها محلُّ الخشوعِ والسَّكينة والرحمة وذكر الله، ومحلُّ صلاة الملائكة عليه ودعائهم له بالمغفرة والرَّحمة، وهو إذا صلَّىٰ انتظر بعدها الصَّلاة الأخرىٰ للفرح والطمأنينة للطاعة والذكر، التي كان فيها في الصلاة قبلها.

يستوطن المسلم المسجد ليتألَّه لله فيه، قال النبي ﷺ: «**ما توطَّنَ رجلٌ مسلم المساجد للصَّلاة والذكر إلا تبشبش الله له حين يخرج من بيته، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم**»، رواه أحمد وصحَّحه ابن خزيمة[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنىٰ التوطين في الحديث**[2]: «عندي

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ١٨٦).

(٢) الأحكام الكبير (٢/ ١٢٥).

أنَّ المرادَ بالإيطان هاهنا هو ملازمة المسجد والتِّرداد إليه».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**ما توطَّنَ رجلٌ مسلم المسجد للصَّلاة والذكر**»؛ أي: جعله كالوطن له؛ يألفه ويقيم به ويرتاح إليْه».

والمقصود أنَّ توطين المسجد هو من الواجبات المفروضة علىٰ المسلم لأداء الصَّلوات الخمس فيه، وكل المسجد موطن للصلاة وأفضلها الصف الأوَّل، وأفضل الصف الأوَّل ما ولي الإمامَ وقرب منه وكان عن يمينه.

والنهي عن توطين المسجد في بعض الأحاديث الأخرىٰ؛ إنما هو نهيٌ عن التزام محلٍّ واحد يتحرَّىٰ المسلم فيه الصَّلاة لا لفضيلة خاصَّةٍ فيه واردة من جهة الشَّرع، فقد نهىٰ النبيُّ ﷺ أن يُوطِّنَ الرَّجُلُ المَقَامَ - في المسجد - كما يُوطِّنُ البعير، رواه أحمد وأبو داود.

قال الحافظ السُّيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معناه[٢]: «**وأن يُوطِّنَ الرَّجُلُ المَكَانَ - في المسجد - كما يُوطِّنُ البعير**»؛ قيل: معناه: أن يألف الرجل مكانًا معلومًا من المسجد مخصوصًا به، لا يصلِّي إلَّا فيه، كالبعير لا يلوي

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) مرقاة الصعود إلىٰ سنن أبي داود (١/ ٣٢٩).

من عطنه إلَّا إلىٰ مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخًا لا يبرك إلَّا فيه».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا يدل علىٰ أنَّ جميع محال المسجد سواء في صحَّة إيقاع الصلاة الفريضة والنَّافلة فيها، إلا ما نهيَ عنه من الصَّفِّ بين السَّواري، كما ورد في «سنن أبي داود»، كما سيأتي، غير أنَّ الصفوف المُقدَّمَةَ أفضل – كما سيأتي في باب صلاة الجماعة –، من الأوَّلِ علىٰ فضلها، وسوىٰ ما دلَّ دليل علىٰ أفضليَّة إيقاع الصلاة، كما في «الصحيحين» عن سلمةَ بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّه كان يتحرَّىٰ الصَّلاة عند الأسطوانة التي كانت عند المصحف، ويقول: إنَّ رسول الله ﷺ كان يتحرَّىٰ الصَّلاة عندها».

والمقصود من النهي عن توطين ناحية في المسجد هو أن يكون المسجد موطنًا لكل من سبق إليه، لا يتحجر أحد موضعًا منه له خاصَّة دون سائر المسلمين.

قال المرُّوذي: كان أبو عبد الله يقوم خلف الإمام، فجاء يومًا وقد تجافىٰ النَّاسُ أن يصلِّيَ أحدٌ في ذلك الموضع، فاعتزل وقام في طرف الصَّفِّ، وقال: قد نُهي أن يتَّخذ الرَّجل مُصَلَّاه مثل مَرْبَضِ البعير[٢].

(١) الأحكام الكبير (٢/ ١٢٤).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٩٦٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[البقرة: ١١٤]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أخذ بعض العلماء من هذه الآية: تحريم التحجر؛ وهو أن يضع شيئًا في الصف، فيمنع غيره من الصلاة فيه، ويخرج من المسجد؛ قالوا: لأن هذا منع المكان الذي تحجره بالمسجد أن يُذكر فيه اسم الله؛ لأن هذا المكان أحق الناس به أسبق الناس إليه؛ وهذا قد منع من هو أحق بالمكان منه أن يُذكر فيه اسم الله؛ وهذا مأخذ قوي. ولا شكَّ أنَّ التحجر حرام: أنَّ الإنسان يضع شيئًا، ويذهب، ويبيع، ويشتري، ويذهب إلىٰ بيته يستمتع بأولاده، وأهله؛ وأمَّا إذا كان الإنسان في نفس المسجد فلا حرج أن يضع ما يحجز به المكان بشرط ألَّا يتخطىٰ الرقاب عند الوصول إليه، أو تصل إليه الصفوف؛ فيبقىٰ في مكانه؛ لأنَّه حينئذ يكون قد شغل مكانين».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم النَّاس ما في النداء والصفِّ الأول، ثم لم يجدوا إلَّا أنْ يَسْتَهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حَبْوًا».

قال العلَّامة أبو المظفر ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أمَّا الصف الأول

---

(١) تفسير سورة البقرة (٢/ ٨).

(٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٦/ ٤١٤).

فللقرب من الإمام، واستماع القراءة، وسلامة من دخل الصف الأول من تخطي النَّاس، وتمكنه من الجلوس، ولا يخفىٰ عليه شيء من أحوال الإمام، ويكون هو مقتديًا بالإمام، ومن وراءه يقتدي به، فيكون له ثوابه وثواب من يصلي وراءه؛ لأنه هو الوصلة بينه وبين الإمام، وكذلك له ثواب من يصلي وراء من يصلي وراءه هكذا، ما اتصلت الصفوف؛ لأنهم به يقتدون، وعلىٰ فعله يبنون».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصحيح في هذه المسألة: أن يقال: اليمين أفضل من اليسار بشرط أنْ يكونا متساويين أو متقاربين، وأما إذا أجحف اليمين باليسار؛ فاليسار أفضل في دنوه من الإمام، ويشهد لهذا أنَّه لما كانت السُّنَّة في الثلاثة أن يقف الإمام وسطهم، كان أحدهما عن اليمين والثاني عن اليسار، ولو كان الأيمن أفضل مطلقًا؛ لكانت السُّنَّة أن يكون الاثنان عن اليمين فقط.

فالصواب ما ذكره صاحب «الفروع»، وأنَّه ظاهر من كلام الأصحاب؛ أنه إذا كانت المسافة متقاربة فاليمين أفضل، لكن إذا تباعدت فاليسار أفضل؛ لأنَّه يترجَّح بدنوه من الإمام، ثمَّ إنه من الإجحاف وعدم العدل أن ترىٰ

(١) شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥).

الصف من عند الإمام إلىٰ طرف الصَّف مملوءًا، والثاني خاليًا، ثم إنه قد ورد – لكنه حديث ضعيف – أن الرسول ﷺ أمر بتوسيط الإمام، قال: «**وَسِّطُوا الإمام، وسُدُّوا الفُرَجَ**»، وهذا هو المشاهد؛ أنَّ الإمام يكون بالوسط».

❁ ❁ ❁

الصلاة أرجى الأعمال في دخول الجنة

أعمال المسلم وطاعاته هي التي تُدخله الجنَّة؛ إذا كانت مؤسَّسة علىٰ التوحيد وإقامة أركان الإسلام خصوصًا الصَّلاة، قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: أتىٰ أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ، فقال: دُلَّنِي علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنَّة، قال: «**تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزَّكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: والَّذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ هذا شيئًا ولا أنقص منه، فلما ولَّىٰ، قال النبيُّ ﷺ: «**من سَرَّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنَّة، فلينظر إلىٰ هذا**».

قال العلامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن من أدىٰ ما فرض الله عليه بحسب الفروض المشتركة والفروض المختصة بالأسباب التي من وُجدت فيه وجبت عليه، فمن أدىٰ الفرائض واجتنب المحرمات استحقَّ دخول الجنة، والنجاة من النار. ومن اتصف بهذا الوصف فقد استحق اسم الإسلام والإيمان، وصار من المتقين المفلحين، وممن

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص٣٢).

سلك الصراط المستقيم».

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لبلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند صلاة الفجر: «**يا بلال! حدِّثْني بأرْجَىٰ عمل عملته في الإسلام؛ فإنِّي سمعت دَفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة**» قال: ما عملت عملًا أرجىٰ عندي: أني لم أتطهر طهورًا، في ساعة ليل أو نهار، إلَّا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أنْ أُصلي.

فالصلاة بأركانها وواجباتها وهيئاتها أفضل وأرجىٰ الأعمال في دخول الجنة، ومن أبىٰ أدائها حُرم الجنة.

وإذا رأىٰ الشيطان ابن آدم ساجدًا لله؛ اعتزل ناحية يبكي ويقول: يا ويله! أُمر ابن آدم بالسجود فسجد؛ فله الجنة، وأُمِرْتُ بالسجود فعصيت؛ فلي النار، رواه مسلم.

وتحاور أبو موسىٰ الأشعري وعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في أرجىٰ الأعمال سببًا لدخول الجنَّة، فاتفقا علىٰ أنه الجِهاد والصلاة والصيام وهداية الناس للإسلام. رواه البخاري.

والعهد الذي التزمه الله لعباده بدخول الجنَّة إنما هو لمن حافظ علىٰ الصلوات المفروضات؛ عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد في اليوم والليلة، من حافظ عليهنَّ كان له عهد عند الله أن يدخله الجنَّة، ومن لم يحافظ**

عليهنَّ؛ فليس له عند الله عهد أن يدخله الجنة؛ إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له»، رواه أحمد.

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من صلىٰ البردين دخل الجنة**»، متَّفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «المراد صلاة الفجر والعصر، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله في حديث جرير: «**صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**»، زاد في رواية لمسلم: «يعني: العصر والفجر».

قال الخطابي: سُمِّيتا بردين؛ لأنهما تُصليان في بردي النهار، وهما طرفاه، حين يطيب الهواء وتذهب سورة الحر. ونقل عن أبي عبيد أنَّ صلاة المغرب تدخل في ذلك أيضًا.

وقال البزار في توجيه اختصاص هاتين الصَّلاتين بدخول الجنة دون غيرهما من الصلوات ما محصله: إنَّ «مَنْ» موصولة، لا شرطيَّة، والمراد الذين صلوهما أول ما فُرضت الصلاة، ثم ماتوا قبل فرض الصلوات الخمس؛ لأنَّها فُرضت أوَّلًا ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، ثمَّ فُرضت الصلوات الخمس؛ فهو خبر عن ناس مخصوصين لا عموم فيه.

---

(١) فتح الباري (٢/ ٥٣).

قلت: ولا يخفىٰ ما فيه من التكلُّف، والأَوْجَه أنَّ «مَن» في الحديث شرطية.

وقوله: «**دخل**» جواب الشرط، وعدل عن الأصل وهو فعل المضارع؛ كأن يقول: يدخل الجنة؛ إرادةً للتأكيد في وقوعه بجعل ما سيقع كالواقع».

والله يجازي عباده بصلاتهم في هذه الأوقات، بقربه منهم في علوه وهم سجود وبتقريبهم منه في الجنَّة في أوقات الصلوات؛ إكرامًا وإحسانًا لهم إذ أطاعوه وعبدوه.

قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فتتنعم قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم بقرْب الله ورؤيته، وسماع كلامه، ولا سيَّما في أوقات الصَّلوات في الدُّنيا؛ كالجُمع والأعياد، والمقرَّبون منهم يحصل ذلك لهم كل يوم مرَّتين بكرةً وعشيًّا، في وقت صلاة الصُّبح وصلاة العصر، ولهذا لمَّا ذكر النبيُّ ﷺ أنَّ أهل الجنة يرون ربَّهم؛ حضَّ عقيب ذلك علىٰ المحافظة علىٰ صلاة العصر وصلاة الفجر؛ لأنَّ وقت هاتين الصَّلاتين وقتٌ لرؤية خواصِّ أهل الجنَّة ربَّهم وزيارتهم له».

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أنَّه قال**: «**مفتاح الجنَّة الصلاة، ومفتاح الصلاة الوضوء**»، رواه أحمد والترمذي.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠١).

قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «بيَّن أنَّ أبواب الجنَّة مُغْلقة، تفتحها الصَّلاة والطَّاعات والعبادات، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإنْ لم تجئ لم يُفتح، وتتفاضل الأسنان في الفِعْل والصِّغَر والكِبَر؛ كقوله: «**أوَّل ما ينظر فيه من عمل العبد الصَّلاة**»، كذا سائر الأعمال».

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في أثر صلاة، لا لغو بينهما، كتاب في عليِّين**»، رواه أحمد وأبو داود.

وقال داود بن أبي هند عن سعيد بن جبير؛ أنَّه تلا هذه الآية: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، حتىٰ بلغ: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، قال: يُدْخِلَهم الجنَّة، فإنها لم تتمَّ نعمة الله علىٰ عبْدٍ حتىٰ يُدْخِلَهُ الجنَّة[٢].

❁ ❁ ❁

(١) المسالك في شرح موطَّأ مالك (٢/ ٣٤٢).

(٢) رواه عبد الله بن وهب في جامعه (١/ ٢٦- رقم ٥٧)، وإسناده صحيح.

الصلاة نجاة من النار

الصَّلاة أفضل أنواع ذكر الله المنجية من عذاب النار، قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما عمل آدمي عملًا أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله»، رواه أحمدُ.

وأخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن الإعراض عن ذكره سببٌ لعذابه، والصلاة من أعظم وأفضل ذكر الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾[الجن: ١٧].

وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ ترك الصلاة سبب دخول النار، فإقامتها سبب للنَّجاة منها؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن المعذبين في النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾[المدَّثر: ٤٢-٤٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المدَّثر: ٤٠، ٤١]؛ أي: يسألون المجرمين وهم في الغُرفات، وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: ما عبدنا ربَّنا، ولا أحسنَّا إلىٰ خلقه».

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٧٢).

وقال ابن القيم: كل واحدة من هذه الخصال: التكذيب بيوم الدين، والخوض مع الخائضين، وترك الصلاة، وترك إطعام المساكين، سلك بالمجرمين إلىٰ سقر، فكل واحد منها مقتضٍ للعقوبة؛ إذ لا يجوز أن يُضم ما لا تأثير له في العقوبة إلىٰ ما هو مستقلٌّ بها، ومجموع الأربعةِ موجبٌ لتغليظ العقوبة[١].

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «تارك الصَّلاةِ من المجرمين السَّالكين في سقر».

وروىٰ أحمد ومسلم من حديث عُمارة بن رُؤَيْبَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يَلِجَ النَّار أحدٌ صلَّىٰ قبل طلوع الشَّمسِ وقبل غروبها**».

وقيام الليل من أعظم أسباب النجاة من النَّار: فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه رأىٰ في النوم كأنَّ ملكين أخذاه فذهبا به إلىٰ النَّار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أُناس قد عرفهم، فجعل يقول: أعوذ بالله من النَّار، فلقيه مَلَكٌ آخر، فقال له: لم تُرَعْ. فقصَّها علىٰ أخته حفصة، فقصتها حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا علىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**نعم الرجل**

(١) الصلاة (ص٣٨) باختصار.

(٢) الصلاة (ص٣٨).

عبد الله لو كان يُصلِّي من الليل»؛ فكان عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدُ لا ينام من الليل إلَّا قليلًا[١].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري، كتاب التهجُّد، باب فضل قيام الليل (ص ١٨٠- رقم ١١٢١).

الصَّلاة نهر جارٍ

غسل الأبدان والجوارح من أدران الذنوب أهمُّ من غسلها من أدران وسخ الشَّعث ومزاولة الأعمال، ولا شيء أعظم في غسلها من التَّوبة والاستغفار وفعل الطاعات، وأعظمها الصلوات الخمس المكتوبة.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: «أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقىٰ من درنه شيء؟»**، قالوا: لا يبقىٰ من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصَّلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الخطايا**».

قال العلامة أبو المظفَّر ابن هبيرة الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «في هذا الحديث من الفقه: أنَّ رسول الله ﷺ أقام الصلوات الخمس في غسل الذنوب مقام الماء في غسل الأوساخ، وإنَّما ضرب المثل بالنَّهر؛ لأنَّ النَّهر لجريته لا يقف فيه الماء الأوَّل الذي اغتسل به في المرَّة الأولَىٰ، وإنَّما يتجدَّد عند كل مرة من الاغتسال ماء جديد.

فشبه رسول الله ﷺ الصلوات الخمس في الاغتسال، وأنَّ تلك المرة

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ١٩٩، ٢٠٠).

الأولىٰ أزالت ما وجدته من الخطايا بإزالة ذهبت بها الجرية، ثم جاءت الغسلة الثانية فغسلت ما عساه تجدد، ثم ذهبت به الجرية، ثم جاءت الغسلة الثالثة كذلك؛ فكانت الغسلات ماحية ما يتجدَّد بين كل غسلتين من الذنوب.

وهذا لأنَّ الذنوب إنَّما تصدر عن الأعضاء، أعضاء الآدمي التي يستعملها في الصَّلاة، فيكون غسل ما نظر إليه نفسه، ونطق بلسانه، وبطش بيديه، ومشىٰ برجليه، بأنْ شغل كلًّا من ذلك في عبادة ربه مرَّة بعد مرَّة، وكان ذلك ماحيًا لآثار الخطايا.

وإنَّما ضرب المثل بالماء؛ لأنَّ الماء هو الماحي للكتابة، وقد سبق أن الكاتبين يكتبان حركات العبد وأنفاسه؛ فكانت الصلوات مزيلة ما يرقمانه كما يزيل الماء أثر الكتابة المكتوبة بالمداد».

❁ ❁ ❁

الصلاة تكفِّر السَّيِّئات وترفع الدَّرجات

فضلُ الصَّلاة عظيم، وثوابها جزيل، كل أعمالها تكفير للسَّيِّئات ورفع للدَّرجات؛ وضوءها، وإجابة أذانها، والسعي إليها؛ فكل خُطوة تُكفِّر سيِّئة وترفع درجة، والصلاة نفسها تنجي من النَّار، وتُدخل المسلم الجنَّة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبيِّ** ﷺ **قال: «ألَّا أدلُّكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟»** قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط**»، رواه مسلم.

وتمام النِّعمة يحصل للمسلم بتكفير سيِّئاته، ورفعة درجاته، ومن كُفرت عنه سيِّئاته وقُبلت حسناته؛ فذلك الذي يدخل الجنَّة بدون عقاب.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إتمام النِّعمة إنَّما يحصل بمغفرة الذنوب والخطايا وتكفيرها، كما قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾[الفتح: ٢]، وقد استنبط هذا المعنىٰ محمد بن كعب القرظي، ويشهد له الحديث الَّذي خرَّجه الترمذي وغيره

(١) اختيار الأولَىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ (ص٤٦).

عن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنَّ النبي ﷺ سمع رجلًا يدعو، يقول: اللَّهم إني أسألك تمام النِّعمة، فقال له: «**أتدري ما تمام النِّعمة؟**» قال: دعوةٌ دعوت بها، أرجو بها الخير، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ تمام النِّعمة: النَّجاة من النَّار، ودخول الجنَّة**»، فلا تتمُّ نعمة الله علىٰ عبده إلا بتكفير سيِّئاته».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف علىٰ صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفًا، وذلك أنَّه إذا توضَّأَ فأحسن الوضوء، ثمَّ خرج إلىٰ المسجد لا يُخرجه إلَّا الصَّلاة، لم يخطُ خطوةً إلا رُفعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلَّىٰ؛ لم تزل الملائكة تُصلِّي عليه ما دام في مصلَّاه: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمْه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من تطَهَّر في بيته، ثم مشىٰ إلىٰ بيت من بيوت الله ليقضي فريضةً من فرائض الله؛ كانت خطوتاه: إحداهما تحطُّ خطيئة، والأخرىٰ ترفع درجة».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «كان النبيُّ ﷺ لا يخرج إلىٰ الصلاة إلا ماشيًا، حتىٰ العيد يخرج إلىٰ المُصلَّىٰ ماشيًا؛ فإنَّ الآتي للمسجد زائر لله، والزيارة علىٰ الأقدام أقرب إلىٰ الخضوع والتذلُّل».

(١) اختيار الأولَىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ (ص٦٠).

ثم قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**من غدا إلىٰ المسجد أو راح؛ أعدَّ الله له نُزلًا في الجنَّة كلما غدا أو راح**». والنُّزُل: هو ما يُعَدُّ للزائر عند قدومه».

❁ ❁ ❁

(١) اختيار الأولَىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ (ص٦٠).

الصلاة نور

الصلاة نور يحيا به قلب العبد وبدنه، وتزكو بها روحه؛ لأنَّه استجاب لله فيما تحيا به وتزكو روحه وبدنه، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وحياة القلوب والأبدان ونورها بطاعة الرحمن، وظلمة القلوب والوجوه والقبور من الكفر والعصيان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نور العبد هو الذي يُصْعِدُ عَمَلَه وكَلِمَهُ إلىٰ الله تعالىٰ؛ فإنَّ الله تعالىٰ لا يَصْعد إليه من الكلم إلا الطَّيِّب - وهو نور، ومصدره عن النور -، ولا من العمل إلَّا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطَّيِّبة، وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله علىٰ رسوله ﷺ، والملائكة خلقوا من نور؛ كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا عن النبي ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخلقت الشياطين من نار،**

(١) الوابل الصَّيِّب (ص ١٤٤، ١٤٥).

وخُلق آدم ممَّا وُصِف لكم».

فلما كانت مادة الملائكة من نور؛ كانوا هم الذين يعرجون إلىٰ ربِّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلىٰ ربِّها وقت قبض الملائكة لها، فيُفْتَح لها باب السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، إلىٰ أن يُنْتهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة، فتوقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل علِّيِّين، فلما كانت هذه الروح روحًا زاكية طيِّبة نيِّرة مشرقة؛ صعدت إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مع الملائكة».

والصلاة نور بما يتلوه المصلِّي فيها من آيات القرآن، فيهتدىٰ بنور القرآن الذي تلاه أو استمعه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤] ، وقد أخبر الله أنَّه ينتفع بالقرآن من اتَّبعه ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة: ١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ البصر إنَّما هو بنور الإيمان والعلم».

فالمصلِّي إذا تدبَّر معاني ما يتلوه بخاصة نفسه في صلاته، أو ما يسمعه

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٠١).

من تلاوة الإمام في ثلاث صلوات جهريَّة في اليوم والليلة، وكان حاضر القلب مهتديًا بنور القرآن؛ أورثه ذلك فرقانًا في أموره كلِّها، الدينيَّة والدنيويَّة؛ فإنَّ القرآن فرقان ونور وهداية.

قال العلَّامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الفرقان هو: العلم والهدىٰ الذي يُفرِّق به صاحبه بين الهدىٰ والضَّلال، والحقِّ والباطل، والحلال والحرام، وأهل السَّعادة من أهل الشَّقاوة».

فالصلاة وذكر الله مادة حياة القلوب ونورها، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أصل صلاح القلب هو حياته واستنارته، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢]؛ لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها».

فالمؤمنون استنارت قلوبهم ووجوههم بذكر الله وطاعته، وأعظم ذلك الصَّلاة، قال تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس: ٢٦]، وقال النبي ﷺ: «**الصلاة نور**»، رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٦١٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٠٠).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الذكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده؛ يسعىٰ بين يديه علىٰ الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالىٰ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢]، فالأول هو المؤمن، استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالىٰ، المعرض عن ذكره ومحبَّتِهِ».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن الصلاة**[٢]: «فهي للمؤمنين في الدنيا نورٌ في قلوبهم وبصائرهم، تُشرق بها قُلوبهم، وتستنير بها بصائرهم؛ ولهذا كانت قرَّة عين المتقين، كما كان النبي ﷺ يقول: «**جُعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة**»؛ خرَّجه أحمد والنسائي».

وقال الحافظ ابن رجب أيضًا[٣]: «وهي نورٌ للمؤمنين في قبورهم، ولا سيَّما صلاة الليل؛ كما قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صلُّوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور».

---

(١) الوابل الصَّيِّب (ص ١١٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢١).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٢).

وقال ابن رجب أيضًا[١]: «وهي في الآخرة نور للمؤمنين في ظلمات القيامة، وعلىٰ الصراط؛ فإنَّ الأنوار تُقسم لهم علىٰ حسب أعمالهم، وفي «المسند» و«صحيح ابن حبَّان» عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ ﷺ أنَّه ذكر الصلاة، فقال: «**من حافظ عليها؛ كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها؛ لم يكن له نور ولا نجاة ولا برهان**»».

وفي الصحيحين من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنه كان من دعاء النبيِّ ﷺ في قيام الليل: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا**».

قال العلَّامة المحدِّث عبد المحسن العباد حَفِظَهُ اللَّهُ[٢]: «وفي لفظ لمسلم (١٧٩٩) أنَّه دعا بهذا الدعاء في خروجه إلىٰ صلاة الصبح تلك الليلة».

وهذا الدعاء من أعظم الخير إذا استجابه الله لمن دعاه؛ ففيه أسباب الهداية والسلامة من الضلال في الاعتقاد والأقوال والأعمال.

قال العلَّامة المحدِّث عبد المحسن العباد حَفِظَهُ اللَّهُ[٣]: «المسلم يدعو

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٣).

(٢) شرح كتاب آداب المشي إلىٰ الصَّلاة، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص ٨).

(٣) شرح كتاب آداب المشي إلىٰ الصَّلاة، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص ٩).

بهذا الدعاء؛ ليظفر بنور الهداية في قلبه وحواسِّه وفيما يحيط به؛ فيكون علىٰ استقامة واهتداء، فيكون قلبه مستنيرًا بنور الإيمان والخشية والإنابة، وغيرها من أعمال القلوب، ويكون بصره ذا نور وهداية؛ لا ينظر به إلَّا إلىٰ ما أحلَّ الله، وكذا السمع؛ لا يسمع إلَّا ما هو حلال، ولا يتكلَّم باللسان إلَّا بما هو سائغ؛ فتغمر أنوار الهداية قلبه وحواسه، وتحيط به من جميع جهاته».

فالصلاة من أعظم الأعمال التي تستنير بها القلوب والجوارح في الدنيا، وفي المحشر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «العمل له أثر في القلب من نفع وضرٍّ وصلاح قبل أثره في الخارج؛ فصلاحها عدل لها، وفسادها ظلم لها، قال تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾[الإسراء: ٧]. قال بعض السلف: إنَّ للحسنة لنورًا في القلب، وقوةً في البدن، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمةً في القلب، وسوادًا في الوجه، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد حديث: «خُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»**: «وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٨، ٩٩).

يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة.

وقد يقوىٰ العمل ويتزايد حتىٰ يستلزم ظهور بعض أثره علىٰ العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وقوَّةً في البدن، وسَعَةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق. وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغْضَةً في قلوب الخلق»، وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما عمل رجل عملًا إلَّا ألبسه الله تعالىٰ رداءه؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ».

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحابُ البصائر وغيرهم، حتىٰ إنَّ الرجل الطَّيِّب البَرَّ لتشمُّ منه رائحة طيبة، وإن لم يَمَسَّ طيبًا؛ فيظهر طيب رائحة روحه علىٰ بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشمُّ لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله علىٰ الإنكار»[1].

وهذا شيء شاهده المؤمنون في الدنيا قبل الآخرة، ترىٰ في وجوه الصالحين نضرة النعيم؛ قال تعالىٰ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾[المطفِّفين:٢٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في شيخه شيخ الإسلام ابن تيميَّة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «تلوح

(١) الوابل الصَّيِّب (٦٧، ٦٨).

نضرة النعيم علىٰ وجهه»[١].

وكنت أرىٰ ذلك واضحًا جليًّا في وجه شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كأنه كوكب دري يتلألأ نورًا.

❁ ❁ ❁

(١) الوابل الصَّيِّب (ص ١١٠).

طهارة القلب والبدن والثوب استعدادًا لمناجاة الله

أمرنا الله بمناجاته في الصَّلاة بأحسن حال؛ بصلاح القلب، بإخلاص العمل إليه، وبطهارة البدن والثِّياب لأداء الصَّلاة، وأخذ الزينة بين يديه؛ كلُّ هذا ليكون المصلِّي في أكمل حال وهو يناجي ربَّه.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[المائدة: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾[المدَّثر: ٤]، وقال: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف: ٣١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن، وتفريح للقلب، وتنشيط للجوارح، وتخفيف من أحمال ما أوجبته الطبيعة وألقاه عزُّ النفس من درن المخالفات؛ فهي منظفة للقلب والروح والبدن، وفي غسل الجنابة من زيادة النعومة والإخلاف علىٰ البدن، نظير ما تحلل منه بالجنابة، ما هو من أنفع الأمور.

(١) شفاء العليل (٣/ ١١٦٤، ١١٦٥).

وتأمل كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل؛ فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق، وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها؛ فمنها يدخل إليها، ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويُعطي، ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعىٰ، ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة؛ جعل مكانه المسح، وجعل ذلك مخرجًا للخطايا من هذه المواضع، حتىٰ يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره؛ كما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه؛ خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه؛ خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتىٰ يخرج نقيًّا من الذنوب**»، رواه مسلم.

وفي «صحيح مسلم» أيضًا عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من توضَّأ فأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه حتىٰ تخرج من تحت أظفاره**»؛ فهذا من أَجَلِّ حِكَم الوضوء وفوائده».

وقال ابن القيِّم أيضًا مبيِّنًا الحكمة من الوضوء قبل الصلاة، وأهم منافع الطهارة: «ولو لم يكن في مصلحته وحكمته إلَّا أنَّه سيماء هذه الأُمَّة، وعلامتهم

في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم، ليست لأحد غيرهم، ولو لم يكن فيه من المصلحة والحكمة؛ إلَّا أنَّ المتوضئ يُطهِّر بدنه بالماء، وقلبه بالتوبة؛ ليستعد بذلك للدخول علىٰ ربِّه ومناجاته، والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب، فأي حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا؟!»[1].

❁ ❁ ❁

(١) شفاء العليل (٣/ ١١٦٥).

إحسان الطهارة والصلاة سبب مغفرة ما تقدم من الذنوب

ففي «صحيح مسلم» أنَّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا بطهور، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيُحْسن وضوءها وخشوعها وركوعها؛ إلَّا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدَّهْرَ كُلَّه**»، وأصل الحديث في الصحيحين.

قال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «فيه دليل علىٰ أنَّ ذلك الوضوء الذي يحسنه ويسبغه، إذا أتبعه صلاةً مقدارها ركعتان – أقلُّ ما يكون من الصَّلاة –، فحسَّنها وأخلص فيها، ولم يحدِّثْ فيها نفسه؛ فإنه يُغفر له ما تقدم من ذنبه، وذلك أنَّه يكون قد أحسن العمل أصلًا وفرعًا، وهذا معنىٰ حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما أخبر في ذلك الحديث من فكر المصلِّي في الأذكار الَّتي ينطق بها؛ ما بين تكبير الله سبحانه، وحمدٍ وثناء، وإفراد بعبادة، واستعانة وسؤال هداية لصراط مستقيم، مع استعاذة من حالة غضب وضلال، وتدبُّر تلاوة مرتَّلة يُسْمِعُهَا

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢٣٠).

نفسَهُ؛ ليكون لسانه في عبادة، وقلبه في عبادة، وسمعه في عبادة، وتسبيح، وركوع وسجود، وقيام وقعود، وحفظ لأطرافه عن العبث، وعقله عن الطموح، ولأعضائه عن الاضطراب، وجملته عن الالتفات، ولقلبه عن الوسوسة، فإذا تمَّت له هذه الصلاة في مدة ساعة؛ هدم الله بها الذنوب المتقدمة في عمره ما كان، وذلك لأنَّ هذه الصلاة خلصت فثَقُلَتْ في الموازين، ومَحَتْ كل ذنب بإزائها في كفة الميزان؛ لأنَّها اشتملت علىٰ إنابة وفَيْئَةٍ وأوْبةٍ، وإخلاص في الإيمان، وانقطاع عن الخلق، واستعانة بالخالق مع امتثال أمره علىٰ سنَّة رسول الله ﷺ، وتلاوة كلامه، وتوجيه الوجه إليه، والتذلُّل له، ووضع أشرف ما في الإنسان علىٰ الأرض بين يدي ربِّه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في الحديث الصحيح في مسلم وغيره من حديث عقبة، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضَّأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله؛ إلَّا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيِّها شاء**»، وفي حديث آخر أنَّه كان يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».

وقد روي عن طائفة من السَّلف في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه نحو

---

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ١٠٨٩).

هذه الكلمات، روىٰ ابن جرير عن مجاهد أنَّه قال: «اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، ربِّ إنِّي ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمت نفسي فارحمني، فأنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، ربِّ إنِّي ظلمت نفسي فتُبْ عليَّ؛ إنك أنت التواب الرحيم»؛ فهذه الكلمات من جنس خاتمة الوضوء، وخاتمة الوضوء فيها: التسبيح، والتحميد، والتوحيد، والاستغفار.

فالتسبيح والتحميد والتوحيد لله؛ فإنَّه لا يأتي بالحسنات إلا هو، والاستغفار من ذنوب النفس التي منها تأتي السيِّئات.

وقد قرن الله في كتابه بين التوحيد والاستغفار في غير موضع؛ كقوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد: ١٩]، وفي قوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٢، ٣]، وفي قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾[فُصِّلَت: ٦]».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «متىٰ اجتهد العبدُ علىٰ تكميل طهارته ومشيه إلىٰ المسجد، ولم يقوَ ذلك علىٰ تكفير ذنوبه؛ فإنَّ الصلاة يكملُ بها التكفير؛ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن

(١) اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ (ص٤٦).

النبيِّ ﷺ قال: «**أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كُلَّ يوم خمس مرات، هل يبقىٰ من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقىٰ من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا**»، وإن قوي الوضوء وحده علىٰ تكفير الخطايا فالمشي إلىٰ المسجد والصَّلاة بعده تكون زيادة حسنات، وهذا هو المراد من قول النبيِّ ﷺ في حديث عثمان والصُّنابحي: «**وكان مشيه إلىٰ المسجد وصلاته نافلة**»».

وقال العلَّامة أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لم يخصَّ الله تعالىٰ عملًا من أعمال الدين فجعله يكفر به الخطايا، ويُطهر به المذنبين كما خصَّ الصلاة بذلك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فجاءت الأخبار أنَّها نزلت في الصلوات الخمس».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن، وتفريح للقلب، وتنشيط للجوارح، وتخفيف من أحمال ما أوجبته الطبيعة وألقاه عزُّ النفس من درن المخالفات؛ فهي منظفة للقلب والروح والبدن، وفي غسل الجنابة من زيادة النعومة والإخلاف علىٰ البدن نظير ما تحلل منه بالجنابة، ما هو من أنفع الأمور.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ١٠٠).

(٢) شفاء العليل (٣/ ١١٦٤، ١١٦٥).

وتأمل كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل، فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق، وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها؛ فمنها يدخل إليها، ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويُعطي، ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعىٰ، ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة؛ جعل مكانه المسح، وجعل ذلك مخرجًا للخطايا من هذه المواضع، حتىٰ يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره؛ كما ثبت عن النبيِّ ﷺ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه؛ خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه؛ خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه؛ خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتىٰ يخرج نقيًّا من الذنوب**»، رواه مسلم.

وفي «صحيح مسلم» أيضًا عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من توضَّأ فأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه حتىٰ تخرج من تحت أظفاره**»، فهذا من أَجَلِّ حكم الوضوء وفوائده».

❁ ❁ ❁

مجاهدة النفس لأداء الصلاة

الشيطان أرصد نفسه لحرب خلق الله وإضلالهم وصرفهم عن الجنة وإدخالهم النار؛ حسدًا منه لأنَّه من جثي جهنم، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وأعظم ما يحرص الشيطان عليه إيقاع الخلق في الشرك؛ لأنه أعظم الغواية المانعة من دخول الجنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن أعظم ما يمكر به الشيطان عباد الله تثبيطهم عن الصلاة؛ لأن من ترك الصلاة فقد كفر.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١].

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نعم، يريد الشيطان أن يصدنا عن ذكر الله باللسان، وعن ذكر الله بالجوارح، وعن ذكر الله بالقلب، هذا ما يريده الشيطان منَّا، فتجد الإنسان إذا همَّ أن يقوم يصلي يثبِّطه

(١) تفسير سورة المائدة (٢/ ٣٣١، ٣٣٢).

الشيطان ويسوِّل له، ويأتيه التثاؤب، ثم يبقىٰ، وإذا أراد أن يذكر الله أو يقرأ القرآن فكذلك، تجده نشيطًا في شيء من الأشياء، فإذا أمسك بالمصحف ليقرأه أتاه الكسل، فإذا عجز الشيطان أن يصده عن القول والفعل؛ أتاه من ناحية ثانية؛ وهي الصد بالقلب، أن يصدَّ قلبه عن ذكر الله، وهذه هي الفاجعة العظيمة؛ لأن القلب إذا غفل عن ذكر الله فإنه يضيِّع علىٰ الإنسان أمور دينه ودنياه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، ولهذا يجب علىٰ الإنسان أن يلاحظ نفسه في هذه الناحية، هل قلبه يكون حاضرًا إذا جلس يقرأ القرآن، وهل إذا ذكر الله يكون قلبه حاضرًا، وهل إذا صلىٰ يكون قلبه حاضرًا، أم هو غافل؟

إذا كان غافل القلب عن ذكر الله باللسان والجوارح فقدْ فقدَ روح العبادة حقيقة، ولذلك نجد الإنسان إذا غفل في صلاته خرج منها بقلب كما دخل فيها بقلب؛ يعني: بنفس القلب، لا يزداد نورًا ولا إيمانًا، ولا كراهة للفحشاء والمنكر، وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ الصَّلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، فلماذا لا يجد الإنسان إذا خرج من الصَّلاة كراهةً للفحشاء والمنكر؟ لأنَّه إنَّما صلىٰ صلاة جسد فقط، لا صلاة قلب».

ولا بُدَّ من الاستعانة بالله لمجاهدة النفس والشيطان، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وبه نستعين في عبادته وفي أداء أمورنا الدينية والدنيوية؛ فإنه لا

سهل إلا ما جعله الله سهلًا، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]، وقال النبيُّ ﷺ: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا سلك العبدُ الطُّرق النَّافعة، وحرَص عليها، واجتهد فيها؛ لم تتمَّ له إلا بصدق اللَّجَأِ والاستعانة بالله علىٰ إدراكها وتكميلها وأنْ لا يتَّكِل علىٰ نفسه وحَوْله وقوته، بل يكون اعتمادُهُ التامُّ بباطنه وظاهره علىٰ ربه، فبذلك تهون عليه المصاعب، وتتيسَّر له الأحوال، وتتمُّ له النتائج والثمرات الطيِّبة في أمر الدين وأمر الدنيا».

وألفاظ الأذان كُلُّها تُجاب بمثلها، إلَّا قول: «حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح»، فيقول المسلم: «لا حول ولا قوة إلَّا بالله»، والمقصود أن يستعين المسلم بالله ليؤدِّي صلاته، فبه نستعين لنعبده.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «لا حول ولا قوة إلا بالله: بها تُحمل الأثقال، وتُكابد الأهوال، ويُنال رفيع الأحوال».

وسبحان من جعل الصَّلاة كلَّها دعاءً، وإجابة ندائها سببًا لإجابة

(١) بهجة قلوب الأبرار وقُرَّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص٥٠، ٥١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٣٧).

الدعاء، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يقول المجيب – للأذان – مثل ما يقول المؤذن، إلا إذا قال: [حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَىٰ الفلاح]، فيقول كلمة الاستعانة بالله علىٰ ما دُعِيَ إليه من الصلاة والفلاح الذي هو الخير كلُّه: [لا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله]، ثم يُصلي علىٰ النبي ﷺ، ويقول: [اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدَّعْوةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاة القائمة، آتِ مُحَمَّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محْمُودًا الذي وَعَدْتَهُ]، ثمَّ يدعو لنفسه؛ لأنَّه من مواطن الإجابة التي ينبغي للداعي قصدها».

والمُصلِّي ذهابه إلىٰ المسجد ورجوعه منه طاعة، وصلاته طاعة، ونيته بأداء الصلاة طاعة، وطهوره ووضوءه وأخذه للزينة للصلاة طاعة.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من غدا إلىٰ المسجد وراح، أعدَّ اللهُ له نزله من الجنَّة، كلما غدا أو راح**»، متَّفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «المراد بالغدو الذهاب، وبالرواح الرجوع، والأصل في الغدو المضي من بكرة النهار، وللرواح بعد الزوال، ثم قد يُستعملان في كل ذهاب ورجوع».

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقُرَّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص٩١).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٤٨).

و«النزل» بضم النون والزاي: المكان الذي يُهيأ للنزول فيه[١].

فكن أيها المسلم فرحًا بإجابة أمر الله بإقامة الصلاة عبودية لله، وسارع بالاستعداد لها، والفرح بالسعي إليها، آخذًا نفسك بالحزم والعزم والنشاط، فصلاتك قُرَّة عينك، ومن قرت عينه بالله لم يتخلف ولم يتوانَ عن الصَّلاة.

والكسل عن الطاعات تثبيط من الشيطان فاحذر أن تكون من المتكاسلين عنها، خصوصًا الصلاة، وإخلاص العمل لله، والاستعانة به نهضت بالمسلم إلىٰ الله، وعدمها أقعدت المنافقين عن الطاعات خصوصًا الصلوات، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قعد بهم الكسل عمَّا أُمروا به من أوامر الرحمن، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلًا؛ ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]».

فالنفس مجاهدتها تكون بأخذها بالعزم علىٰ الطاعات واستباق الخيرات، قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إذا رأيتَ نَفْسك مُتَكاسلًا عن الخَيْر، فاخش أن يكون الله كَرِهَ انبعاثك في الخير، ثُمَّ أعد النظر مرةً ثانيةً، وصَبِّرْ نفسك وأرغمها علىٰ الطاعة، فاليوم تفعلها كارهًا، وغدًا تفعلها طائعًا، هَيِّنَةً عليك».

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٤٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٨٦).

(٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (ص ٢٤٠).

الاستعانة بالصَّلاة على نوائب الأمور

الصلاة مناجاة لله، فالمصلِّي كما أنَّه يتعبد لله بالصلاة له؛ فهو يستعينه أيضًا بمناجاته ودعائه، ومن جملة ذلك سؤاله دفع المضرة كما يسأله جلب المنفعة.

وكان النبي ﷺ إذا حزبه شيء فزع إلىٰ الصلاة؛ رواه أحمد.

وكان من جملة النَّوازل الشديدة التي أصابت المدينة وأهلها؛ كسوف الشمس يوم وفاة إبراهيم ابن النبيِّ ﷺ، فتحدَّث الناس أنَّ الشمس كُسفت لموت إبراهيم؛ فقال النبي ﷺ: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، يخوِّف الله بهما عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلىٰ الصلاة**»، رواه البخاريُّ ومسلم.

ومن أعظم النوائب التي أصابت نبي الله يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: التقام الحوت له، فنجَّاه الله بالذكر والصَّلاة والتسبيح، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾: من المصلِّين(١).

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ص ٨٣- رقم ٢٥)، وإسناده حسن.

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كان كثير الصلاة فنجا».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «حال نزول المصائب فإنَّ النفس حينئذ تطلب الجزع، فالاشتغال عنه بالصبر والمبادرة إلىٰ الوضوء والصلاة من علامة الإيمان؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة: ١٥٣]، والوضوء مفتاح الصلاة، وقد يُطفأ به حرارة القلب الناشئة عن ألم المصائب، كما يُؤمر مَن غَضِب بإطفاء غضبه بالوضوء».

والصلاة من أعظم الأسباب المعينة علىٰ الصَّبر، قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[ق: ٣٩، ٤٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أمر نبيَّه بالتأسِّي به سبحانه في الصبر علىٰ ما يقوله أعداؤه فيه، كما أنَّه سبحانه صبر علىٰ قول اليهود أنَّه استراح! ولا أحدَ أصْبَرُ علىٰ أذًىٰ يَسْمَعُهُ منه.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ٨٤).

(٢) اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ (ص٥٠، ٥١).

(٣) الفوائد (ص ١٩، ٢٠).

ثمَّ أمره بما يستعين به علىٰ الصبر، وهو التسبيح بحمد ربِّه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وبالليل وأدبار السُّجود؛ فقيل: هو الوتر، وقيل: الركعتان بعد المغرب. والأول قول ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والثاني قول عمر، وعليٍّ، وأبي هريرة، والحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإحدىٰ الروايتين عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **رواية ثالثة:** أنه التَّسبيح باللسان أدبار الصَّلوات المكتوبات».

وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن، امتثل أمر ربِّه في النوازل التي ألمَّت به، فقد نُعِي إليْه ابن له وهو في سفر، فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. ثم نزل فصلىٰ ركعتين، ثمَّ قال: فعلنا ما أمر الله به، وتلا هذه الآية: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ٤٥] رواه الحاكم.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الْهُ بطاعة ربِّك، وتسبيحه أول النَّهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصَّلوات؛ فإن ذكر الله مُسلٍّ للنفس، مؤنس لها، مُهَوِّنٌ للصَّبر».

وأخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بحال الإنسان من الجزع إذا أصابته الضَّرَّاء إلا المصلِّي،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٥٧).

فقال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المعارج: ١٩-٢٣].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الهلع: سرعة الجزع عند مسِّ المكروه، وسرعة المنع عند مسِّ الخير، من قولهم: ناقة هلوع: سريعة السير.

قال المفسرون: ما بعد الهلوع تفسير له.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: وهو الفقر والمرض، ونحو ذلك، ﴿جَزُوعًا﴾: لا يصبر».

وقال العلَّامة أبو عبد الله محمَّد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أمر الله عباده أن يفزعوا إلىٰ الصَّلاة، والاستعانة بالصَّلاة علىٰ كل أمرهم من أمر دنياهم وآخرتهم، ولم يخصَّ بالاستعانة بها شيئًا دون شيءٍ، فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ٤٥]، وإنَّما بدأ بالصبر قبلها؛ لأنَّ الإيمان وجميع الفرائض والنوافل من الصلاة وغيرها لا تتمُّ إلا بالصبر، ثم قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة: ٤٥]».

والمسلم تنزل به نوازل، أو تلوح له أمور، أو يُقدم علىٰ أعمال يستخير

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٢٨٤).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (ص١٤٦).

الله فيها بصَّلاة الاستخارة، يُصلِّي ليناجي ربَّه ويستهديه، ويدعوه، فالله ملجأه، وبه يستعين في طلب خير الأمور والإقدام عليها.

❁ ❁ ❁

تُصلِّي لله فيُصلِّي الله عليك

المصلي يغدو في طاعة في رواحه للمسجد، فخطواته طاعة، وأداؤه الصلاة طاعة، وذكره طاعة، وانتظاره الصلاة في المسجد طاعة، وأعظم من هذا أنَّ الملائكة تُصلِّي عليه ما دام ينتظر الصَّلاة، وعوده إلىٰ منزله طاعة، فأي طاعة كالصَّلاة؟!

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرَّجُلِ في جماعة تزيد علىٰ صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعًا وعشرين درجةً، وذلك أنَّ أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثُمَّ أتىٰ المسجد لا يَنْهَزُهُ إلَّا الصَّلاةُ، لا يريد إلَّا الصلاة، فلم يخط خَطْوَةً إلَّا رُفع له بها درجة، وحُطَّ عَنْهُ بها خطيئة، حتَّىٰ يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصَّلاة ما كانت الصَّلاةُ هي تحبسه، والملائكة يُصلُّون علىٰ أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلَّىٰ فيه، يقولون: اللَّهمَّ! ارحمه، اللَّهمَّ! اغفر له، اللَّهمَّ! تُبْ عليه، ما لم يؤذِ فيه، ما لم يُحْدِث فيه**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «من صلىٰ الله تعالىٰ عليه وملائكته؛ فقد أفلح

(١) الوابل الصيِّب (ص ١٧٤).

كل الفلاح، وفاز كل الفوز، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] فهذه الصلاة منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومن ملائكته إنَّما هي علىٰ الذَّاكرين له كثيرًا، وهذه الصَّلاة منه ومن ملائكته؛ هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلىٰ النور، فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك؟! وأيُّ شَرٍّ لم يندفع عنهم؟!».

❁ ❁ ❁

الإقبال إلى الله بالقلب والوجه والجوارح

المسلم مأمور بالخضوع لله والانقياد له وطاعته، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [الروم: ٣٠]، وأعظم ما يكون من الخضوع لله هو في مقام الصلاة؛ يتخلىٰ المسلم عن الشواغل كلِّها، ويُقبل إلىٰ الله، فيقوم بين يديه مقبلًا إليه بقلبه ووجهه وجوارحه، غاية ما يكون في العبودية لله والخضوع له.

قال تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة: ١١٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ وجهه هو قصده، وتوجهه الذي هو أصل عمله، وهو عمل قلبه الذي هو ملك بدنه، فإذا توجه قلبه تبعه أيضا توجه وجهه، فاستتبع القصد الذي هو الأصل من القلب، الذي هو الأصل للعمل، الذي هو تبع من الوجه وسائر البدن الذي هو تبع، فيكون قد أسلم عمله الباطن والظاهر، وأعضاءه الباطنة والظاهرة لله؛ أي: سلَّمه له، وأخلصه لله».

ومن التفت في صلاته التفت الله عنه، فقد روىٰ أحمد والنسائي وأبو داود،

(١) تفسير شيخ الإسلام (٥/ ١٠٠).

وصححه ابن خزيمة من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا يزال الله مقبلًا علىٰ العبد وهو مقبل عليه في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفتَ انصرفَ عنه**»، والتفات القلب أعظم من التفات البدن؛ فإن القلب إذا لم يقم منيبًا لله مخلصًا له مقبلًا عليه قاصدًا عبوديته وذكره ومناجاته؛ فقد ضيع حقَّ الله في عبوديته، وأضاع نصيبه من الصلاة بقدر التفاته.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الروم:٣١]، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أمره بإقامة وجهه، وهو إخلاص قصده وعزْمه وَهَمِّه للدين الحنيف، وهو الدين القيِّم، وهو فطرة الله التي فطر العباد عليها».

وعن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يتوضَّأ فيحسن وُضُوءه، ثم يقوم فيصلِّي ركعتين، يُقبل عليهما بقلبه ووجهه؛ إلَّا وجبت له الجنَّة**»[٢].

قال العلامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «إنَّ الصلاة الَّتي يُقبل عليها العبد بوجهه وقلبه، إذا صحَّ له منها ركعتان فصاعدًا؛ وجبت له الجنَّة، وإنَّما

(١) فتح الباري (٤/ ١٩٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (ص ١١٧ - رقم ٥٥٣).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢١٩).

يُوفق لذلك من لا يؤدي شيئًا من أركان الصلاة إلَّا وهو مفكِّرٌ فيما يقوله منه؛ إذ ليس جزء من أجزاء الصَّلاة إلَّا وقد عُيِّنَ له ذكر من الأذكار بحسبه».

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصَّلاة؛ فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»، رواه البخاري.

فهذا الحديث فيه حثٌّ للمسلم لحفظ صلاته من أن يصرفه الشيطان عن الإقبال علىٰ الله إلىٰ الالتفات عنه.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله: «**هو اختلاس**»، الاختلاس معناه: أخذ الشيء خفية، وكأنَّ الشيطان إذا أراد أن يُنقص صلاة الإنسان سَوَّل له، فالتفت».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «يعني: إنَّ الشيطان يسترق من العبد في صلاته التفاته فيها، ويختطفه منه اختطافًا، حتىٰ يدخل عليه بذلك نقص في صلاته وخلل».

وقال أيضًا[3]: «الالتفات نوعان:

أحدهما: التفات القلب إلىٰ غير الصَّلاة ومتعلقاتها، وهذا يخلُّ بالخشوع فيها.

والثَّاني: التفات الوجه بالنظر إلىٰ غير ما فيه مصلحة الصلاة».

---

(١) شرح بلوغ المرام (٢/ ٤٨٦).

(٢، ٣) فتح الباري (٦/ ٤٤٧)، باختصار.

الصلاة قيام بين يدي الله

الصلاة قيام بين يدي الله، يقوم المُصلِّي بين يدي الله مطيعًا قانتًا خاضعًا له، يذكره ويناجيه.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فإذا استحضر المُصلِّي هذا المعنىٰ؛ اجتهد أن يؤديها تامة بركوعها وسجودها وخشوعها.

ومعرفة قدر مقام الوقوف بين يدي الله، وتدبُّر معنىٰ ما يُتلىٰ من القرآن، وما يناجي الله به من الأذكار، ومعاني هيئات الصلاة من القيام والركوع والسجود والجلوس؛ هو الموجب للقيام بين يدي الله بحقه من التعظيم والعبودية له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك، فإذا وقف الاثنان بين يدي الله في الصلاة؛ وقف هذا بقلب مُخْبِتٍ خاشع له، قريب منه، سليم من معارضات السوء، قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة، وسطع فيه نور الإيمان، وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات؛ فيرتع في رياض معاني القرآن، وخالط قلبه بشاشة الإيمان

(١) الصلاة (ص ١٧١).

بحقائق الأسماء والصفات، وعلوها وجمالها وكمالها الأعظم، وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفات كماله؛ فاجتمع همُّه علىٰ الله، وقرت عينه به، وأحسن بقربه من الله قربًا لا نظير له، ففرَّغ قلبه له، وأقبل عليه بكليته، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه؛ فإنَّه سبحانه أقبل عليه أولًا، فانجذب قلبه إليه بإقباله؛ فلمَّا أقبل علىٰ ربه حظي منه بإقبال آخر أتمَّ من الأوَّل».

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «يُحشر الناس يوم القيامة علىٰ قدر صنيعهم في الصلاة».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «للعبد بين يدي الله موقفان: موقفٌ بين يديه في الصَّلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هُوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يُوفِّه حقَّه؛ شُدِّد عليه ذلك الموقف.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧]».

وتوفية مقام الوقوف بين يدي الله حقَّه من التعظيم، وتدبُّر معنىٰ ما يُتلىٰ من القرآن، ومعنىٰ ما نناجي به الله من الأذكار في الصلاة، وتحقيق معاني

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ص ٢٣٠- رقم ٣٣١)، وإسناده صحيح.

(٢) الفوائد (ص ٢٩١).

هيئات الصلاة من القيام والركوع والسجود والجلوس بالقلب قبل الجوارح؛ هو الذي يحصل به تعظيم الله في الوقوف بين يديه.

فالصَّلاة التي تؤتي ثمارها، وتزيد الإيمان، وتحفظه من زلازل الفتن ما ظهر منها وما بطن؛ هي التي تواطئ خضوع القلب فيها مع الجوارح لله سبحانه.

والخشوع في الصلاة يكون إذا كانت الجوارح واللسان متواطئة مع القلب علىٰ ذكر الله والخضوع له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ذكر القلب يُثمر المعرفة، ويُهيِّج المحبَّة، ويثير الحياء، ويبعث علىٰ المخافة، ويدعو إلىٰ المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيِّئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من ذلك الإثمار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرته ضعيفة».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**[2]: «ذكر الله سبحانه، كلَّما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أحبَّ؛ كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين، وهذا أمر إنَّما يُعلم بالخُبر لا بالخَبر.

وفرقٌ بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبُّه جميع قلبه،

---

(١) الوابل الصيب (ص ٢٢١).

(٢) جلاء الأفهام (ص ٦٢١).

ويُثني عليه بها ويُمجِّده بها، وبين من يذكرها إما إثارةً وإما لفظًا لا يدري ما معناه، لا يطابق فيه قلبُه لسانه، كما أنَّه فرق بين بكاء النائحة وبكاء الثكلىٰ».

فانشغال الجوارح بالصلاة مع غفلة القلب هي التي أذهبت الخضوع الحقيقي للعظيم في الصلاة، وفي حديث عثمان بن أبي دهرش – بلاغًا –: ما بال أقوامٍ يُتلىٰ عليهم كتاب الله، فلا يدرون ما يُتلىٰ منه مما ترك، هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل، فشهدت أبدانهم، وغابت قلوبهم[1].

❁ ❁ ❁

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٩٨).

صلاة أهل السماء والأرض

خلق الله ملائكته واصطفاهم لعبادته، ومن أعظم ما اصطفاهم له تسبيحه وتعظيمه وذِكْره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وجعل الله لملائكته كعبة في السماء يتعبَّدون فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾[الطور: ٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يتعبَّدون فيه ويطوفون به، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة؛ ولهذا وُجِد إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور؛ لأنَّه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبَّد فيه أهلها».

ونَعَتَ الله ملائكته بما يدلُّ علىٰ قيامهم بالصَّلاة له سبحانه، فقال سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾﴾ [الصافات: ١]؛ قال ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: الصافات هي الملائكة[2].

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٧، ٤٢٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥).

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الملائكة صفوف في السَّماء[١].

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: «فُضِّلنا علىٰ النَّاس بثلاث: جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجُعلت لنا الأرض كُلُّها مسجدًا، وجُعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء»[٢].

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**ألا تصُفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربِّهم؟**»، قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربِّهم؟

قال ﷺ: «**يُتمُّون الصُّفوف المتقدِّمة، ويتراصُّون في الصفِّ**»[٣].

وفي معنىٰ قول النبيِّ ﷺ: «**ألا تصُفُّون كما تصف الملائكة**»؛ قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يريد الله تعالىٰ بكم هَدْيَ الملائكة»، رواه ابن أبي حاتم.

ومن أعظم الهيئات التي مدح الله بها ملائكته في عبوديتهم له؛ هو السجود، قال تعالىٰ عن ملائكته: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

قال الْحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: له موضع مخصوص في صلاته في

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (ص ٢١٣- رقم ١١٦٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة (ص ١٨٣- رقم ٩٦٨).

السموات، ومقامات العبادات، لا يتجاوزه ولا يتعدَّاه»[١].

ومن أعظم ما ذكرته الملائكة لربِّها من عبوديتها له: تسبيحه وتقديسه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة: ٣٠].

وذكر حال الملائكة في تألهها لربِّها؛ المقصود منه تذكيرنا بعبوديتهم وطاعتهم إن تولينا عن عبادة الله، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾[فُصِّلَت: ٣٨].

فالملائكة أهل ذكر وتسبيح وطاعة وتألُّه لله دائم، قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ٢٠]، والحمد لله في المسلمين الطائعين من لا يفتر عن ذكر الله ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٩١]، وعبوديتهم عن تكليف واختيار، وعبودية الملائكة طبع.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٥).

قبول الأعمال منوط بقبول الصلاة

التوحيد أساس العمل، فمن لم يؤمن بالله ويوحِّده لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾[التوبة: ٥٤]، وقبول الأعمال كلها منوط بقبول الصلاة، فالصلاة أول ما يُنظر من عمل المسلم يوم القيامة، إن صحَّت وقُبلت؛ قُبلت سائر أعماله.

قال النبي ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انْتُقِصَ من فريضته شيء، قال الربُّ عَزَّوَجَلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله علىٰ ذلك»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصلاة[2]: «إنها أساس العمل وأوله».

وقال أيضًا: «إنَّ قبول سائر الأعمال موقوف علىٰ فعلها؛ فلا يقبل الله من

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والنسائي (ص ٦٤، رقم ٤٦٨)، وأبو داود (ص ١٣٣، رقم ٨٦٤)، وابن ماجه (ص ٢٠٤، رقم ١٤٢٥).

(٢) زاد المعاد (ص ٣٢٢).

تاركها صومًا، ولا حجًّا، ولا صدقةً ولا جهادًا، ولا شيئًا من الأعمال»[١].

وقال النبيُّ ﷺ في بيان منزلة الصَّلاة من الدين: «عموده الصلاة»[٢].

قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قِوام الدين الذي يقوم به الدِّين كما يقوم الفسطاط علىٰ عموده؛ فهو الصلاة».

وقال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّ الإنسان الذي لا يصلِّي لا يُقبَل منه: صوم ولا زكاة ولا حجٌّ ولا غيرها من العبادات؛ لأنَّ من لا يصلِّي كافر، والكافر لا تُقبل منه العبادات؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤]، وقد أجمع العلماء علىٰ أنَّ من شرط صحَّة العبادة: أن يكون الإنسان مسلمًا، فإذا كان هذا يصوم ولا يصلي؛ فإن صومه لا ينفعه».

وقال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «أما تركها

---

(١) الصَّلاة (ص ٣٢).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذيُّ (ص ٥٩٤- رقم ٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٥، ١٤٦).

(٤) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٧/ ١٧٧).

(٥) شرح صحيح البخاري (٢/ ١٩٤، ١٩٥).

– الصلاة – بالكلية؛ فإنَّه لا يقبل معه عمل كما لا يقبل مع الشِّرك عمل؛ فإن الصلاة عمود الإسلام؛ كما صحَّ عن النبيِّ ﷺ، وسائر الشرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها، وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم يُنتفع بشيء من أجزائه؛ فقبول سائر الأعمال موقوف علىٰ قبول الصلاة، فإذا رُدت رُدت عليه سائر الأعمال».

❁ ❁ ❁

حافظوا على الصلوات

أمرنا الله بالمحافظة علىٰ الصَّلوات، فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]، **قال العلَّامة هشام بن أحمد الوقَّشِيُّ الأندلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الحفظ رعاية الشيء لئلَّا يذهب ويضيع، ومنه حفظ القرآن، وحفظ العهد.

وأما المحافظة: فملازمة الشَّيء، والغالب عليه أن يُستعمل في ملازمة المأمور ما أُمر به».

وهذه الآية نزلت بسبب تأخُّر النبي ﷺ عن أداء صلاة العصر في غزوة الخندق بسبب انشغاله والصحابة بجهاد الكفَّار.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يأمر تعالىٰ بالمحافظة علىٰ الصَّلوات عمومًا، وعلىٰ الصلاة الوسطىٰ وهي صلاة العصر خصوصًا؛ لفضلها وشرفها وحضور ملائكة اللَّيل والنَّهار فيها، ولكونها

(١) التعليق علىٰ الموطَّأ (١/ ١٢).

(٢) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص ٧٣).

ختام النَّهار، والمحافظة علىٰ الصلوات عناية العبد بها من جميع الوجوه التي أمر الشَّارعُ بها وحثَّ عليها من: مراعاة الوقت، وصلاة الجماعة، والقيام بكل ما به تكمل وتتم، وأن تكون صلاة كاملة تنهىٰ صاحبها عن الفحشاء والمنكر، ويزداد بها إيمانه، وذلك إذا حصل فيها حضور القلب وخشوعه الذي هو لبُّها ورُوحها، ولهذا قال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾؛ أي: مخلصين خاشعين لله، فإن القنوت هو دوام الطاعة مع الخشوع؛ ومن تمام ذلك سكون الأعضاء والسكوت عن كل كلام لا تعلُّق له بالصلاة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال النبي ﷺ: «**خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العبد في اليوم والليلة، من حافظ عليهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد، إنْ شاء عذبه وإن شاء غفر له**»، فذكر المحافظة عليها، ومعلوم أنَّه لا يكون مصلِّيًا لها علىٰ الوجه المأمور إلَّا بالمحافظة عليها، ولكن بيَّن أن الوعيد مشروط بذلك؛ ولهذا لم يلزم من عدم المحافظة أنه لا يصليها بل قد يصليها بعد الوقت، فلا يكون محافظًا عليها؛ إذِ المحافظة تستلزم فعلها في الوقت».

والمحافظة علىٰ الصَّلوات يكون بأدائها تامَّةَ الأركان والواجبات والشروط، وتتميم نوافلها، فمن لم يُصلِّ فهو تارك للصلاة، ومن صلَّىٰ

(١) شرح حديث جبريل (ص٤٨٧، ٤٨٨).

صلاةً لم يقم شروطها وأركانها وواجباتها؛ فهذا لم يصلِّ. والمحافظة علىٰ الصَّلوات: هو ألا يسهو المسلم عنها، ولا يغفل عن أدائها، قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[الماعون: ٤، ٥].

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:«إن هناك سهوًا في الصَّلاة، وهناك سهوًا عن الصلاة، فالسهو عن الصلاة مذموم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾، قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: الحمد لله الَّذي لم يقل: في صلاتهم. بل قال: ﴿عَن﴾، والسهو عن الصلاة الغفلة عنها وعدم المبالاة بها، وأمَّا السَّهو في الصَّلاة فهو الذهول عنها؛ يعني: أن لا يتذكر شيئًا».

وقد أمر الله بإقامة الصلاة وأدائها والمحافظة عليها في حال الحرب فضلًا عن حال الاطمئنان والسلم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾[النساء: ١٠٢]، ثم قال سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[النساء: ١٠٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قد أوجب الله تعالىٰ الصلاة في

(١) التعليق علىٰ صحيح مسلم (٣/ ٤٣٩).

(٢) السياسة الشرعية (ص ٢٢٩-٢٣١).

الوقت علىٰ أي حال أمكن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

فأوجب الله الصلاة علىٰ الآمن والخائف، والصحيح والمريض، والغني والفقير، والمقيم والمسافر، وخفَّفها علىٰ المسافر والخائف والمريض، والفقير الَّذي لا يجد طهورًا أو لا يجد ميسرة، كما جاء به الكتاب والسنَّة.

وأسقط ما يعجز عنه العبد من واجباتها: من الطهارة واستقبال الكعبة، وقراءة الفاتحة وتكميل الركوع والسجود والقيام.

فلو انكسرت سفينة بقوم أو سلبهم المحاربون ثيابهم؛ صلوا عراة بحسب أحوالهم وكان إمامُهم وسطهم؛ لئلَّا يرىٰ الباقون عورته. ولو اشتبهت القبلة اجتهدوا في الاستدلال عليها. فلو عَمِيتِ الدلائل صلوا كيفما أمكنهم، كما قد رُوي أنَّهم فعلوا ذلك علىٰ عهد رسول الله ﷺ. وكذلك لو حُبس بمكان ضَيِّق، أو كان حال مساورة العدوِّ، وغير ذلك».

وقال أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذمَّ عموم الإنسان، واستثنىٰ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾، قال

(١) القواعد النورانية الفقهية (١/ ١٥٧).

تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣]، والسلف من الصحابة ومن بعدهم قد فسَّروا الدَّائمَ علىٰ الصلاة بالمحافظ علىٰ أوقاتها، وبالدائم علىٰ أفعالها بالإقبال عليها، والآية تعم هذا وهذا؛ فإنَّه قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾، والدائم علىٰ الفعل هو المديم له، الذي يفعله دائمًا، فإذا كان هذا فيما يفعل في الأوقات المتفرِّقة: هو أن يفعله كل يوم بحيث لا يفعله تارة ويتركه أخرىٰ، وسُمي ذلك دوامًا عليه، فالدوام علىٰ الفعل الواحد المتصل أولىٰ أن يكون دوامًا وأن تتناول الآية ذلك، وذلك يدل علىٰ وجوب إدامة أفعالها؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذمَّ عموم الإنسان واستثنىٰ المداوم علىٰ هذه الصفة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما الصلاة فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون: ٤-٧]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[مريم: ٥٩]؛ فقد ذم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في كتابه الذين يصلون إذا سهَوْا عن الصلاة، وذلك علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يؤخِّرها عن وقتها.

---

(١) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٧٢، ٧٣).

الثاني: ألا يكمل واجباتها: من الطَّهارة، والطمأنينة، والخُشوع، وغير ذلك، كما ثبت في الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**تلك صلاة المنافق** - ثلاث مرات - **يرقب حتىٰ إذا كانت الشَّمس بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا، لا يذكر الله فيها إلَّا قليلًا**»، فجعل النَّبيُّ ﷺ صلاة المنافقين التأخير، وقلَّة ذكر اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

وأمَّا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]؛ فقد قال بعض السَّلف: إضاعتها: تأخيرها عن وقتها، وإضاعة حقوقها، قالوا: وكانوا يصلون، ولو تركوها لكانوا كفَّارًا؛ فإنَّه قد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ليس بين العبد وبين الشِّرْك إلَّا ترك الصلاة**»، وقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»».

۞ ۞ ۞

صلاة الجماعة

صلاة الجماعة يَحصلُ بها مقصود شعور الأمَّة بالجسد الواحد، ومن مقاصد صلاة الجماعة: ائتلاف قلوب المسلمين وتوادُّهم وتراحمهم، وتربيتهم علىٰ عقيدة الجماعة، ففي أداء الصَّلاة في جماعة لزوم لجماعتهم، وهذا المعنىٰ ظاهر جدًّا في هدم النبيِّ ﷺ مسجد الضِّرار؛ لفساد مقصده؛ فقد بُنِيَ لتفريق جماعة المسلمين والتَّرَبُّصِ بهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧].

وعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما حُصر في داره عن صلاة الجماعة، وافتات علىٰ الإمامة من لم يأمره بالصلاة وليُّ الأمر، قال الصحابة لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنَّك إمام عامَّة، ونزل بك ما نرىٰ، ويُصلِّي لنا إمام فتنة، ونَتَحرَّجُ، فقال: الصَّلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس، فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم»(١).

قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الجماعة إنما شُرعت

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع (ص ١١٤ - رقم ٦٩٥).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٢/ ٣٣٣).

في الصلاة؛ لتآلف القلوب، وجَمْع الكلمة، وإصلاح ذات البَيْن، والتشاور في أمور الإسلام».

وكان النبي ﷺ يأمر بتسوية الصفوف، ويسوِّيها بنفسه، ويقول: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»؛ بيانًا لبعض معاني الأمر بتسوية الصُّفوف، فالمقصود ائتلاف القلوب بلزوم الجماعة وأداء الصلاة بالصفة التي أدَّاها النبيُّ ﷺ.

فلزوم الجماعة ينفي الغل من القلب لجماعة المسلمين، قال النبي ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإنَّ دعوتهم تُحيطُ من ورائهم**»، رواه أحمد، والترمذي، وقال: حديث حسن، وصحَّحه ابن حبَّان، وحسَّنه شيخ الإسلام ابن تيميَّة[1].

وصلاة الجماعة يتحقَّق بها اجتماع المسلمين بالقيام بآكد أركان الإسلام وأعظم شعائره، وتعظيمها، وإظهار الطَّاعة التي أراد الله من المسلمين إظهارها؛ تحقيقًا لإظهار شعار الإسلام في بلاد الإسلام.

ومن فوائدها: إرغام الشَّيطان بالاجتماع علىٰ العبادة والتعاون علىٰ الطَّاعة، ونشاط المتكاسل[2].

---

(١) السياسة الشرعية (ص ٢٣٤).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٣٣).

وصلاة الجماعة ثوابُها عظيم، فمن توضَّأ وخرج إلىٰ المسجد فكل خطوة ترفعه درجة وتحطُّ عنه خطيئة، وكان ممشاه نورًا وطاعة، وغدوه ورواحه سبب لتهيئة مكانه من الجنَّة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعدَّ اللهُ له نزله من الجنة كلما غدا أو راح**».

فالنزل - بضم النون والزاي -: المكان الذي يُهيأ للنزول فيه[1]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «المراد بالغدو الذهاب، وبالرواح الرجوع، والأصل في الغدو المضي من بكرة النهار، وللرواح بعد الزوال، ثم قد يُستعملان في كل ذهاب ورجوع».

وإذا صلَّىٰ المسلمُ في المسجد صلَّتْ عليه الملائكة، ودعت له بالخير، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرَّجُلِ في الجماعة تُضعَّف علىٰ صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفًا، وذلك أنَّه إذا توضَّأَ فأحسن الوضوء، ثُمَّ خرج إلىٰ المسجد لا يُخرْجُهُ إلَّا الصَّلاة، لم يخطُ خطوةً إلا رُفع له بها درجة، وحُطَّ بها عنه خطيئة، فإذا صلَّىٰ؛ لم تزل الملائكة تُصلِّي عليه ما دام في مُصلَّاه: اللَّهُمَّ صلِّ عليه، اللَّهُمَّ ارْحَمْه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**».

(١، ٢) فتح الباري (٢/ ١٤٨).

وقوله ﷺ: «**لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاة**»؛ تنبيه إلىٰ أنَّ الثواب موفور لمن أخلص في خروجه للصَّلاة، يريد الصَّلاة لا الأذية والعدوان علىٰ المصلين.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الجماعة تفضل علىٰ صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجة**»، فقوله ﷺ: «تفضل»؛ لا تنافي وجوب صلاة الجماعة، فأفعل التفضيل ورد استعماله في لغة الشرع في أوجب الواجبات، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٧١][1]، وصلاة الجمعة واجبة، معلومٌ وجوبها للعامِّ والخاصِّ، وقد قال الله في شأنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة: ٩].

وكان النبيُّ ﷺ يزجر عن التَّخلُّف عن صلاة الجماعة زجرًا شديدًا بلغ به أن يتهدد المتخلِّفين بحرق بيوتهم، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**والَّذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحَطَبٍ، فيُحطب، ثمَّ آمر بالصلاة، فيؤذَّنُ لها، ثمَّ آمر رجلًا فيؤمَّ الناس، ثم أخالف إلىٰ رجال، فأُحرِّق عليهم بيوتهم، والَّذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عِرقًا سمينًا، أو مرماتين حسنتين؛ لشهد العِشاءَ**».

وهذا الحديث بوَّب عليه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: باب [وجوب صلاة

(١) أحكام القرآن للقاضي إسماعيل المالكي (ص٢٠٨).

الجماعة][1].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أما حديث الباب فظاهر في كونها فرض عين؛ لأنَّها لو كانت سُنَّة لم يهدد تاركها بالتَّحريق، ولو كانت فرض كفاية لكانت قائمةً بالرسول ﷺ ومن معه».

وتركه ﷺ التحريق لا ينافي الوجوب؛ فقد ترك ذلك لئلا ينال التَّحريق من لم تجب عليه الجماعة من النِّساء والصِّبيان، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «وأما الترك فلا يدل علىٰ عدم الوجوب؛ لاحتمال أن يكونوا انزجروا بذلك، وتركوا التخلُّف الَّذي ذمَّهم بسببه علىٰ أنَّه قد جاء في بعض الطُّرق بيان سبب التَّرك؛ وهو فيما رواه أحمد من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**لولا ما في البيوت من النِّساء والذرِّية لأقمت صلاة العشاء وأمرت فتياني يحرقون**»، الحديث».

وصلاة الجماعة واجبة لا يجوز التخلُّف عنها إلا لعذر، وبالاستقراء لأدلَّة الشريعة فإنَّ بعض العلماء ذكر أنَّ أعذار التخلُّف عن الجماعة عشرة.

قال الحافظ ابن الملقِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر ابن حبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ المنصوص

(١) كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة (ص ١٠٦).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

(٣) فتح الباري (٢/ ١٢٦).

عليه في السُّنَّة منها عشرة: المرض، وحضور الطعام وهو تائق إليه.

الثَّالث: النِّسيان، لحديث الوادي.

الرَّابع: السِّمَن المفْرِط؛ لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الثابت في الصحيحين في قصة الرجل الضخم.

الخامس: مدافعة الأَخْبَثَيْنِ: البول والغائط.

السَّادس: خوف الإنسان علىٰ نفسه وماله في طريقه إلىٰ المسجد؛ لحديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سيلان الوادي.

السَّابع: وجود البرد الشَّديد المؤْلِم.

الثَّامن: المطر المؤذِي.

التاسع: وجود الظُّلمة؛ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

العاشر: أكل الثوم والبصل إلىٰ أن يذهب ريحها، وكذلك ما في معناهما مما له رائحة كريهة كالكراث والبقول المنتنة، وقد ثبت في النهي عن ذلك أحاديث صحيحة تمنع إتيان المساجد حتىٰ يذهب ريحها، سواء كان في جماعة أم لا؛ فإن الملائكة تتأذىٰ مما يتأذَّىٰ منه بنو آدم.

وألحق الفقهاء بهذه المنصوص عليها أعذارًا في معناها»[1].

---

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٢/ ٦٠٤، ٦٠٥)، وتجده مفصَّلًا في «الإحسان بترتيب صحيح

وفقه الصحابة يدلُّ علىٰ أَنَّ صلاة الجماعة واجبة عندهم، وهم الَّذين تلقَّوا معاني الشَّريعة من رسول الله ﷺ مباشرةً، قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا صلاة لجار المسجد إلَّا في المسجد»، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «هو مأثور عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يذكر فقه عموم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في صلاة الجماعة: «إنَّ الله شرع لنبيِّكم ﷺ سنن الهدىٰ، وإنَّ هذه الصَّلوات في جماعة من سنن الهدىٰ، وإنَّكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»، رواه مسلم.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما أعرِفُ من أمَّة محمد ﷺ شيئًا[2] إلَّا

=

ابن حبان» (٣/ ٢٥٢-٢٦١).

(١) القواعد النورانية (١/ ١٢٧).

(٢) التغير مقارنة بالفضل الذي كان في عهد النبوَّة، والنبي ﷺ أثنىٰ علىٰ القرون المفضَّلة، وقال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم**» متفق عليه، وقال بشير بن يسار الأنصاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قدم المدينة، فقيل له: ما أنكرت منَّا منذ يوم عهدت رسول الله ﷺ ؟ قال: ما أنكرتُ شيئًا إلَّا أنكم لا تُقيمون الصفوف. رواه البخاري، كتاب الأذان، باب إثم من لم يُتِمَّ الصفوف (ص ١١٨- رقم ٧٢٤).

أنَّهم يُصلُّون جميعًا»، رواه البخاري[١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «مراد أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ أعمال المذكورين حصل في جميعها النقص والتغيير إلا التجميع في الصلاة، وهو أمر نسبي؛ لأنَّ حال الناس في زمن النبوَّة كان أتمَّ ممَّا صار إليه بعدها، ثم كان في زمن الشيخين أتمَّ ممَّا صار إليه بعدهما وكأن ذلك صدر من أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أواخر عمره، وكان ذلك في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فيا ليت شعري إذا كان ذلك العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلىٰ هذا الزمان؟».

❁ ❁ ❁

(١) كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة (ص ١٠٦ - رقم ٦٥٠).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٣٨).

واجب الولاة إقامة الصلوات

واجب الولاة إقامة شرع الله في المسلمين وفي ديارهم؛ فإنَّ الله خَلَق الخَلْق لعبادته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، والإنسان يقوم بخاصة نفسه بعبادة الله، وكذلك من جعله الله راعيًا يجب عليه أن يأمر رعيته بعبوديَّة الله، ومن آكد ذلك وأوجبه إقامة الصَّلوات.

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ، الإمام راعٍ ومسئول عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجل راعٍ في أهله ومسئول عن رَعِيَّتِهِ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها وهي مسئولة عن رَعِيَّتِهَا، والخادم راعٍ في مال سيِّده، ومسئول عن رَعِيَّتِهِ، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ»**(١).

قال العلَّامة أبو سليمان حَمْدُ بن محمَّد الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أصل الرعاية في الكلام: حفظ الشَّيء، وحُسْنُ التَّعَهُّدِ له، وقد اشترك هؤلاء

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القُرىٰ والمدن (ص ١٤٣- رقم ٨٩٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل (ص ٨٢٠- رقم ٤٧٢٤).

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (١/ ٥٧٩، ٥٨٠).

المذكورون في التسمية، وجرىٰ الاسم عليهم علىٰ سبيل التَّسوية، ومعانيهم في ذلك مختلفة، فأما رعاية الإمام: فإنَّها ولاية أمور الرَّعيَّة، والحِيَاطَة من ورائهم، وإقامة الحدود والأحكام فيهم.

وأمَّا رعاية الرَّجُل أهْلَه: فالقيام عليهم، والسِّياسة لأمرهم، وتوفيتهم الحقَّ في النفقة والعِشْرة.

وأما رعاية المرأة في بيت زوجها: فحُسنُ التَّدبير في أمر بيته، والتَّعهُّد لمن تحت يدها من عياله، وأضيافه وخَدَمه.

ورعاية الخادم: حفظ ما في يده من مال سيِّده والنَّصيحة له فيه، والقيام بما استكفاه من شُغْل وخِدْمة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يجب علىٰ الأولياء أن يأمروا الصبيَّ بالصلاة إذا بلغ سبعًا، ويضربوه عليها لعشر، كما أمر النبي ﷺ؛ قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم علىٰ تركها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»، وكذلك ما تحتاج إليه الصَّلاة من الطهارة الواجبة ونحوها».

واهتمام الولاة بإقامة المسلمين للصلاة؛ من أسباب حفظ الدِّين، ومن أسباب صلاح المسلمين؛ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾

(١) السياسة الشرعية (ص ١٦٥).

[العنكبوت: ٤٥]، وهو من إقامة آكد شعائر الإسلام الظاهرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «متىٰ اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس؛ صلح للطائفتين دينهم ودنياهم؛ وإلا اضطربت الأمور عليهم. وملاك ذلك كلِّه حسن النيَّة للرعية، وإخلاص الدين كلِّه لله، والتوكل عليه؛ فإنَّ الإخلاص والتوكل جِماعُ صلاح الخاصِّة والعامَّة، كما أمرنا أن نقول في صلاتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن النبي ﷺ قال: «**الصلاة عماد الدِّين**»، فإذا أقام المتولي عماد الدين؛ فالصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، وهي التي تعين النَّاس علىٰ ما سواها من الطَّاعات، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾[البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾[البقرة: ١٥٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ لعبده ونبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾[طه: ١٣٢]».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٣]: «المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متىٰ فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا، ولم ينفعهم ما نَعِمُوا به في الدُّنيا».

(١) السياسة الشرعية (ص ١٦٦، ١٦٧).

(٢، ٣) السياسة الشرعية (ص ٣٠).

وقال شيخ الإسلام[١]: «إذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان؛ كان من أفضل أهل زمانه، وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله تعالىٰ».

وأمر الولاة ونوابهم الرعية بالصلاة؛ هو من الأمر بالمعروف الذي هو سبب خيرية الأمة؛ قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف مثل: الصلاة، والزكاة، والصِّيام، والحجِّ، والصدقة، والأمانة، وبر الوالدين، وصِلَة الأرحام، وحسن العشرة مع الأهل والجيران ونحو ذلك.

فالواجب علىٰ ولي الأمر أنْ يأمر بالصَّلوات المكتوبات جميع من يقدر علىٰ أمره، ويعاقب التَّارك، بإجماع المسلمين».

❁ ❁ ❁

---

(١) السياسة الشرعية (ص ٣١).

(٢) السياسة الشرعية (ص ٩٦).

أقيموا الصلاة

أمرنا الله بإقامة الصَّلاة، وإقامتها تكون بحفظها وأدائها ظاهرة في الجماعة، حيثُ يُنادىٰ بها خمس مرات مفروضة، فهذه الإقامة من أعظم معاني الإقامة للصَّلاة المأمور بها؛ لأنَّها من شعائر الإسلام الظَّاهرة التي تتمايز بها دار الإسلام عن دار الكفر.

ومن معاني إقامة الصلاة: الإتيان بكلِّ شروطها وواجباتها وأرْكانها، قال الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ٣]: يقيمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها، وخشوعها، في مواقيتها[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: إقامة الصلاة: المحافظة علىٰ مواقيتها، ووضوئها، وركوعها، وسجودها.

وقال شيخ المفسِّرين الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «يعني بقوله - جلَّ ثناؤُه -: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨]: أدام العملَ بحدودها»، هذا هو مقصود الصلاة، إقامة الصلاة بما تأمر به من توحيد الله وعبوديته وذكره، قال تعالىٰ:

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ص ٩٧- رقم ٥٩) بإسناد لا بأس به.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٤/ ١٩٣).

(٣) جامع البيان (٣/ ٨٤).

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد قال مقاتل بن حيان في «تفسيره» في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥]؛ قَال: إِقَامتها: الْمُحَافظَة عليها وعلىٰ أَوْقَاتها، وَالْقِيَام فِيهَا وَالرُّكوع والسُّجُود، وَالتَّشَهُّد وَالصَّلَاة علىٰ النَّبِي ﷺ فِي التَّشَهُّد الْأَخير».

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾[البقرة: ١١٠].

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ يعني أدوا الصلاة علىٰ وجه الكمال؛ لأن إقامة الشيء جعله قيِّمًا معتدلًا مستقيمًا؛ فمعنىٰ ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي ائتوا بها كاملة بشروطها، وواجباتها، وأركانها، ومكمِّلاتها».

وقال شيخنا ابن عثيمين أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «الإقامة معناها: أن يأتيَ بالصَّلاة مستقيمةً علىٰ الوجه المطلوب».

---

(١) جلاء الأفهام (ص٥٠٦).

(٢) تفسير سورة البقرة (١/ ٣٦٢).

(٣) تفسير سورة الشورىٰ (ص ٢٨٦).

وبعد إقامة الصلاة بالنِّداء فمن إقامتها بعد ذلك تسوية الصفوف وإقامتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «في الصَّحِيحين عن قتادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سووا صفوفكم؛ فإنَّ تسوية الصف من تمام الصلاة**»، وأخرجاه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتموا الصفوف فإنِّي أراكم من خلف ظهري**»، وفي لفظ: «**أقيموا الصفوف**»، وروىٰ البخاري من حديث حميد، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (أقِيمت الصَّلاة، فأقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**أقيموا صفوفكم وتراصُّوا؛ فإنِّي أراكم من وراء ظهري**»، وكان أحدنا يلصق منكبه بمنكب صاحبه وبدنه ببدنه».

وفي الصحيحين من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: كان رسول الله ﷺ يُسوِّي صُفُوفنا، حتىٰ كأنَّما يسوي بها القداح، حتَّىٰ رأىٰ أنَّا قد عقلنا عنه، ثمَّ خرج يَوْمًا فقام، حتَّىٰ كاد يُكَبِّرُ فرأىٰ رجلًا باديًا صَدْرُهُ من الصَّفِّ، فقال: «**عبادَ الله! لَتُسَوُّنَّ صُفُوفكم، أَوْ ليخالفنَّ الله بين وجوهكم**»[٢].

فإقامة الصلاة يشمل معناها: إقامة ندائها، ويراد بها أداء الصَّلاة، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا

(١) الْقَواعد النُّورانيَّة الفقهيَّة(١/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها (ص ١٨٥ - رقم ٩٧٩).

مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣]؛ يعني: إذا ذهب عذر الخوف فأقيموا الصَّلاة أداءً، بكلِّ شروطها وأركانها وواجباتها.

ويشمل معنىٰ إقامة الصلاة أداءها تامَّةً كاملةً.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر في كتابه بإقامة الصَّلاةِ، وذمَّ المصلِّين السَّاهين عنها، المضيِّعين لها؛ فقال تعالىٰ في غير موضع: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وإقامتها تتضمَّن إتمامها بحسب الإمكان، كما سيأتي في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**أقيموا الركوع والسجود فإني أراكم من بعد ظهري**»، وفي رواية: «**أتموا الركوع والسجود**»».

وذكر شيخ الإسلام من أهمِّ أمور إقامة الصَّلاة وإتمامها الطمأنينة في أفعالها؛ حيث قال[2]: «أُمرنا بإقامتها – الصَّلاة –، والإقامة: أن تُجعل قائمة، والشيء القائم: هو المستقيم المعتدل، فلا بُدَّ أن تكون أفعال الصلاة مستقرَّةً معتدلةً، وذلك إنما يكون بثبوت أبعاضها واستقرارها، وهذا يتضمَّنُ الطُّمأنينة».

وأفاد شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأضاف بيان معنًىٰ مهمٍّ

(١) القواعد النورانيَّة الفقهيَّة (١/ ١٤٥).

(٢) القواعد النورانيَّة الفقهية (١/ ١٥٠).

لإقامة الصلاة بما يتمُّها بإقامة نوافلها؛ لأنَّ من ثمراتها إتْمام نقص الفرائض، قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وجوب إقامة الصلاة؛ والصلاة تشمل الفريضة والنافلة، ومن إقامة الفرائض كثرة النوافل؛ لأنَّه جاء في الحديث أنَّ النوافل تُكمَّل بها الفرائض يوم القيامة؛ ما من إنسان إلا وفي فريضته نقص؛ لكن هذه النوافل تكمِّلها».

قال تعالىٰ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هذا الأمر من الله لعباده بالصَّلاة التي أمر بها في آيات متعدِّدةٍ، ويأتي الأمر بها في القرآن بلفظ الإقامة كهذه الآية، ومثل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ونحوها، وهو أبلغ من قوله: (افعلوها)؛ فإنَّ هذا أمر بفعلها، وبتكميل أركانها وشروطها ومكملاتها ظاهرًا وباطِنًا، وبجعلها شريعة ظاهرة قائمة من أعظم شعائر الدِّين».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فأُمرنا بإقامتها، وهو الإتيان بها قائمة تامَّة القيام والركوع والسجود والأذكار».

---

(١) تفسير سورة البقرة (١/ ٣٦٤).

(٢) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص ٦٩).

(٣) الصلاة (ص ١٧٠).

وقال ابن القيِّم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الله سبحانه قد قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنفال: ٣]. وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود: ١١٤]، وقال: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[إبراهيم: ٤٠]، وقال لموسىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[طه: ١٤]، **فلن تكاد تجد ذكر الصَّلاة في موضع من التنزيل إلَّا مقرونًا بإقامتها، فالمصلُّون في النَّاس قليل، ومقيم الصلاة منهم أقلُّ القليل**».

وشأن الصلاة عظيم، فليس إقامتها مجرد انتصاب البدن جهة القبلة، ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾[البقرة: ١٧٧]، فإقبال القلب والوجه والجوارح إلىٰ الله والقيام بتحقيق أركان الصلاة وهيئاتها بأذكارها تدبرًا وتألهًا وما توجبه من بِرِّ المصلي بطاعة الله؛ هو إقامتها الحقيقية.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «البِرُّ ما ثبت في القلوب من طاعة الله».

وكان النبيُّ ﷺ شديد التعاهد لأصحابه في إقامة الصَّلاة بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، وفي إتمام هيئاتها بخشوع وحسن إقبال علىٰ الله.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: صلَّىٰ رسول الله ﷺ يومًا ثم انصرف، فقال:

---

(١) الصلاة (ص ١٧٠).

(٢) جامع البيان (٣/ ٧٤).

«يا فلان! أَلَا تُحْسِنُ صَلاتك؟ ألا ينظُرُ المُصَلِّي إذا صَلَّىٰ كيف يُصَلِّي؟! فإنَّما يُصلِّي لنفسه، إنِّي والله لَأُبْصِرُ من ورائي، كما أَبْصِرُ من بين يدي»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أمر النبيُّ ﷺ من صلىٰ ولم يطمئن أن يعيد الصلاة، وقال: «**ارجع فصلِّ، فإنَّك لم تصلِّ**»، وكذلك من نسي الطهارة وصلَّىٰ بلا وضوء فعليه أن يعيد، كما أمر النبيُّ ﷺ من توضَّأَ وترك لمعة في قدمه لم يمسها الماء أن يعيد الوضوء والصَّلاة».

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها (ص ١٨٢، رقم ٩٥٧).

(٢) الفتاوىٰ العراقيَّة (١/ ٢٦).

يريد الله ليغفر لكم أيُّها المصلُّون

قال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بعد أن روىٰ حديث عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما توضأ عبد فأسبغ الوضوء، ثم قام إلىٰ الصلاة؛ إلا غُفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرىٰ**» -: كنت إذا سمعت الحديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ التمسته في القرآن، فالتمست هذا فوجدته: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ١، ٢]، فقلت: إنَّ الله لم يتمَّ النِّعمة عليه حتَّىٰ غفر له ذنوبه، ثم قرأت هذه الآية: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ فعرفت أنَّ الله لمْ يتمَّ النِّعمةَ عليهم حتىٰ غفر لهم[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أَمَّنَ الإمام فأَمِّنُوا؛ فإنَّه من وافق تأمينه تأمين الملائكة؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»، متفق عليه.

قال العلَّامة أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله:

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٥٩).

(٢) أعلام الحديث (١/ ٥٠٨).

«**فإنَّه من وافق تأمينه تأمين الملائكة**»؛ معطوف علىٰ مُضْمَرٍ وهو الْخبر عن تأمين الملائكة؛ كأنه قال: إذا قال الإمام: آمين، فقولوا: آمين، كما تقوله الملائكة، فإنَّ من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ولولا ذلك لم يصح تعقيبه بما عقَّبه به من حرف الفاء».

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع المؤذِّن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، غفر الله له ذنوبه**»، رواه مسلم.

ومقام الاستغفار بعد الصَّلاة لا يستغني عنه أحد، قام به أعلم الخلق بالله وأتقاهم له، فمن هو دونه من الخلق أولىٰ بهذا المقام، وكلنا نعلم حقيقة صلاتنا، وما يقع فيها من الغفلة في هيئاتها وأذكارها، وما يختلسه الشيطان منها، فهذا التقصير طبيعة المخلوق، ولولا عفو الله ورحمته ومغفرته وما شرعه من أسباب جبر النَّقص في الصَّلوات المفروضة من النَّوافلِ التي لا تخلو أيضًا من النَّقْص؛ لكان أداء الصلوات كما يليق بحقِّ الله ربما لا يحصل لنا منه ركعتان إلا من شاء الله.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إن العباد مقصرون عن

(١) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٥٢٣).

القيام بحقوق الله كما ينبغي، وأدائها علىٰ الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وإنَّما يؤدونها علىٰ قدر ما يطيقونه، فالعارف يعرف أنَّ قَدْرَ الحق أعلىٰ وأجلُّ من ذلك؛ فهو يستحيي من عمله ويستغفر من تقصيره فيه، كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلاته، وكلما كان الشخص بالله أعرف كان له أَخْوَف، وبرؤية تقصيره أبصر؛ ولهذا كان خاتم المرسلين، وأعرفهم برب العالمين ﷺ؛ يجتهد في الثناء علىٰ ربِّه، ثُمَّ يقول في آخر ثنائه: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**».

❁ ❁ ❁

قرة عيون الموحدين

الصلاة مناجاة لله، وذكر وعبودية له، فهي قرة عين الموحِّدين، وزاد المتقين، قال النبيُّ ﷺ: «**وجُعلت قرَّة عيني في الصَّلاة**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «محبةُ الله تعالىٰ ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكُّل والمعاملة؛ بحيث يكون هو وحده المستولي علىٰ هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنَّة الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبِّين، وحياة العارفين.

وإنَّما تَقَرُّ أعين النَّاس بهم علىٰ حسب قرَّة أعينهم بالله عَزَّوَجَلَّ، فمن قرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ به كلُّ عين، ومن لم تقرَّ عينه بالله تقطَّعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الصَّلَاة قُرَّة عُيُون المحبين فِي هَذِه الدُّنْيَا؛ لما فِيهَا من مُنَاجَاة من لَا تقر الْعُيُون، وَلَا تطمئِن الْقُلُوب، وَلَا تسكن

(١) الوابل الصيِّب (ص ١١١).

(٢) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص ٣٧-٣٩).

النُّفُوس إِلَّا إِلَيْهِ، والتنعم بِذكرِهِ والتذلل والخضوع لَهُ، والقرب مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي حَال السُّجُود، وَتلك الْحَال أقرب مَا يكون العَبْد من ربه فِيهَا، وَمن هَذَا قَول النَّبِيِّ ﷺ: «**يَا بِلَال! أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»، فَأعْلم بذلك أَن رَاحَته ﷺ فِي الصَّلَاة، كَمَا أخبر أَن قُرَّة عينه فِيهَا، فَأَيْنَ هَذَا من قَول الْقَائِل: نصلي ونستريح من الصَّلَاة!

فالمحبُّ راحته وقرَّةُ عينه فِي الصَّلَاة، والغافل المعرض لَيْسَ لَهُ نصيب من ذَلِك، بل الصَّلَاة كَبِيرَة شاقة عَلَيْهِ، إِذا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ علىٰ الْجَمْر حَتَّىٰ يتَخَلَّص مِنْهَا، وَأحب الصَّلَاة إِلَيْهِ أعجلها وأسرعها؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُرَّة عين فِيهَا، وَلَا لِقَلْبِهِ رَاحَة بِهَا، وَالْعَبْد إِذا قرت عينه بِشَيْء واستراح قلبه بِهِ فأشق مَا عَلَيْهِ مُفَارقَته، والمتكلِّف الفارغ الْقلب من الله وَالدَّار الْآخِرَة الْمُبْتَلىٰ بمحبة الدُّنْيَا؛ أشقُّ مَا عَلَيْهِ الصَّلَاة، وأكره مَا إِلَيْهِ طولهَا مَعَ تفرغه وَصِحَّته وَعدم اشْتِغَاله!».

فأوامر الله كلُّها عبوديَّة له، وهي قرة عيون الموحدين، وتزكية لنفوسهم، وهداية لهم لكل خير.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأوامر الإلهيَّة[1]: «قرَّة العيون، وسرور القلوب، ولذات الأرواح، وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله،

(١) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٨٥).

والإنابة إليه وذكره، والتوجُّه إليه؛ فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبدًا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]».

❁ ❁ ❁

قرة عين المؤمنين ثقيلة على المنافقين

الصلاة من أحبِّ الأعمال للمؤمنين، يناجون بها ربهم؛ فتقرُّ بها أعينهم، ويذكرون الله فيها فتنشرح صدورهم، وترتاح نفوسهم ابتهاجًا بذكره.

وأما المنافقون فالصَّلاة ثقيلةٌ عليهم، يتثاقلون عن القيام إليها، ويتثاقلون عن القيام فيها، والصلوات كلها ثقيلة علىٰ المنافقين، وأثقلها عليهم الْفجر والْعشاء، كل هذا سببه ما انطوت بواطنهم عليه من الكفر، والرَّغبة عن طاعة الله إلىٰ طاعة الشياطين، والغفلة واللهو عن ذكر الله إلىٰ اللغو بالباطل، وإيثار عاجل الراحة علىٰ خيري الدُّنيا والآخرة؛ جهلًا بما يجب عليهم من حق الله عليهم، وجهلهم بما يفوتهم من خيري الدُّنيا والآخرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أثقل صلاة علىٰ المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما؛ لأتوهما ولو حَبْوًا**»، متَّفقٌ عليه.

قال العلامة عمر بن علي الفاكهاني رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إنَّما كانت هاتان الصَّلاتان أثقل علىٰ المنافقين من غيرهما؛ لقوَّة الدَّاعي إلىٰ ترك حضور

(١) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٢/ ٧٢٩، ٧٣٠).

الجماعة فيهما، وقوَّة الصارف عن الحضور.

أما العشاء فلأنَّها وقت الإِيوَاءِ إلىٰ البيوتِ، والاجتماع مع الأهل، واجتماع ظلمة الليل، وطلب الراحة من مباعث السَّعي بالنَّهار.

وأمَّا الصبح فلأنها في وقت لذة النوم، فإن كانت في زمن البرد ففي وقت شدَّتِهِ؛ لبعد العهد بالشمس لطول الليل، وإن كانت في زمن الحر فهو وقت البرد والرَّاحة من أثر حر الشمس؛ لقرب العهد بها.

فلما قوي الصارف عن الفعل؛ ثقلت علىٰ المنافقين، وأمَّا المؤمن الكامل الإِيمان؛ فهو عالم بزيادة الأجر لزيادة المشقَّة، لا سيَّما إنِ استحضر حديث: «**بَشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلىٰ المساجد بالنُّور التَّام يوم القيامة**»، ونحو ذلك من الأحاديث؛ فتصير هذه الأمور الشَّاقة علىٰ المنافقين سائقة للمؤمن وداعية له إلىٰ الفعل، كما كانت صارفة للمنافِقِ؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ولو يعلمون ما فيهما** – أي: من الأجر والثواب –؛ **لأتوهما ولو حبوًا**»».

❁ ❁ ❁

حتى تكون الصلاة قرة عين

كُلُّنا يريد أنْ تقرَّ عينه بصلاته؛ لأنَّ من قرَّت عينه بصلاته؛ قرَّت عينه بربِّه، وقُرَّةُ العين بالله هي الفوز العظيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «مِمَّا يَنْبَغِي أَن يُعلم: أَنَّ الصَّلَاة الَّتِي تقرُّ بِهَا الْعين، ويستريح بِهَا الْقلب، هِيَ الَّتِي تجمع سِتَّة مشَاهد:

المشهد الأول: الْإِخْلَاص؛ وَهُوَ أَن يكون الْحَامِل عَلَيْهَا والداعي إِلَيْهَا رَغْبَةُ العَبْد فِي الله، ومحبته لَهُ، وَطلب مرضاته والقرب مِنْهُ، والتودد إِلَيْهِ، وامتثال أمره، بِحَيْثُ لَا يكون الْبَاعِثُ لَهُ عَلَيْهَا حظًّا من حظوظ الدُّنْيَا، الْبَتَّة بل يَأْتِي بِهَا ابْتِغَاء وَجه ربه الْأَعْلَىٰ؛ محبَّة لَهُ، وخوفًا من عَذَابه، ورجاءً لمغفرته وثوابه.

المشهد الثَّانِي: مشْهد الصِّدْق والنُّصح؛ وَهُوَ أَن يفرِّغ قلبه لله فِيهَا، ويستفرغ جهده فِي إقباله فِيهَا علىٰ الله، وَجمع قلبه عَلَيْهَا، وإيقاعها علىٰ أحسن الْوُجُوه وأكملها ظَاهرًا وَبَاطنًا؛ فَإِنَّ الصَّلَاة لَهَا ظَاهر وباطن؛ فظاهرها الْأَفْعَال الْمُشَاهدَة والأقوال المسموعة، وباطنها الْخُشُوع والمراقبة

(١) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص٣٩-٥٢).

وتفريغ الْقلب لله، والإقبال بكليته علىٰ الله فِيهَا، بِحَيْثُ لَا يلْتَفت قلبه عَنهُ إِلَىٰ غَيره؛ فَهَذَا بِمَنْزِلَة الرُّوح لَهَا، وَالْأَفْعَال بِمَنْزِلَة الْبدن، فَإِذا خلت من الرُّوح كَانَت كبدن لَا روح فِيهِ، أَفلا يستحي العَبْد أَن يواجه سَيِّدَه بِمثل ذَلِك؟! وَلِهَذَا تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْب الْخَلِق وَيُضْرب بِهَا وَجه صَاحبهَا، وَتقول: ضيعك الله كَمَا ضيعتني.

وَالصَّلَاة الَّتِي كمل ظَاهرهَا وباطنها تصعد وَلها نور وبرهان، كنور الشَّمْس، حَتَّىٰ تُعرض علىٰ الله فيرضاها ويقبلها، وَتقول: حفظك الله كَمَا حفظتني.

المشهد الثَّالِث: مشْهد الْمُتَابَعَة والاقتداء؛ وَهُوَ أَن يحرص كلَّ الْحِرْص علىٰ الِاقْتِدَاء فِي صَلَاته بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَيُصلي كَمَا كَانَ يُصَلِّي، ويُعْرِض عَمَّا أحدث النَّاس فِي الصَّلَاة من الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان، والأوضاع الَّتِي لم يُنْقَل عَن رَسُول الله ﷺ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَا عَن أحد من أصحابه.

وَلَا يقف عِنْد أَقْوَال المرخِّصين الَّذين يقفون مَعَ أقل مَا يَعْتَقِدُونَ وُجُوبه، وَيكون غَيرهم قد نازعهم فِي ذَلِك وَأوجب مَا أسقطوه، وَلَعَلَّ الْأَحَادِيث الثَّابِتَة وَالسُّنَّة النَّبَوِيَّة من جَانِبه وَلَا يلتفتون إِلَىٰ ذَلِك، وَيَقُولُونَ: نَحن مقلدون لمَذْهَب فلَان. وَهَذَا لَا يُخلِّص عِنْد الله، وَلَا يكون عذرًا لمن تخلف عَمَّا علمه من السُّنَّة عِنْده؛ فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَمر بِطَاعَة رَسُوله

واتِّباعه وَحْدَهُ، وَلم يَأْمر بِاتِّبَاع غَيره، وَإِنَّمَا يُطاعُ غَيره إِذا أَمر بِمَا أَمر بِهِ الرَّسُول ﷺ، وكل أحد سوىٰ الرَّسُول ﷺ فمأخوذ من قَوْله ومتروك.

وَقد أقسم الله سُبْحَانَهُ بِنَفسِهِ الْكَرِيمَة أَنَّا لَا نؤمن حَتَّىٰ نُحَكِّمَ الرَّسُول ﷺ فِيمَا شَجَر بَيْننَا، وننقاد لحكمه ونُسَلِّمَ تسليمًا.

فَلَا ينفعنا تحكيم غَيره والانقياد لَهُ، وَلَا ينجينا من عَذَاب الله، وَلَا يُقبل منَّا هَذَا الْجَواب إِذا سمعنَا نداءه سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة: ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصص: ٦٥]، فَإِنَّهُ لَا بُد أَن يسألنا عَن ذَلِك، ويطالبنا بِالْجَوَابِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٦]، وَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أُوحِي إِلَيَّ أَنكُمْ بِي تُفتنون، وعني تُسْأَلُون**»؛ يَعْنِي: الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر. فَمن انْتَهَت إِلَيْهِ سنة رَسُول الله ﷺ وَتركهَا لقَوْل أحد من النَّاس؛ فسَيرِدُ يَوْم الْقِيَامَة وَيعلم.

المشهد الرَّابِع: مشْهد الْإِحْسَان؛ وَهُوَ مشْهد المراقبة، وَهُوَ أَن يعبد الله كَأَنَّهُ يرَاهُ وَهَذَا المشهد إِنَّمَا ينشأ من كَمَال الْإِيمَان بِالله وأسمائه وَصِفَاته، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يرىٰ الله سُبْحَانَهُ فَوق سمواته، مستويًا علىٰ عَرْشه، يتكَلَّم بأَمْره وَنَهْيه، وَيُدَبِّرُ أَمر الخليقة؛ فَينزل الْأَمر من عِنْده ويصعد إِلَيْهِ، وَتُعْرَض أَعمال الْعباد وأرواحهم عِنْد الموافاة عَلَيْهِ؛ فَيشْهد ذَلِك كُلَّه بِقَلْبِه، وَيشْهد أسماءه وَصِفَاته، وَيشْهد قيومًا حَيًّا سميعًا بَصيرًا، عَزِيزًا حكيمًا آمرًا ناهيًا

يحب وَيبغض، ويرضىٰ ويغضب، وَيفْعل مَا يَشَاء وَيحكم مَا يُرِيد وَهُوَ فَوق عَرْشه، لَا يخفىٰ عَلَيْهِ شَيْء من أَعمال الْعباد، وَلَا أَقْوَالهم وَلَا بواطنهم، بل يعلم خَائِنَة الْأَعْين وَمَا تخفي الصُّدُور.

ومشهد الْإِحْسَان أصل أَعمال الْقُلُوب كلهَا؛ فَإِنَّهُ يُوجب الْحيَاء، والإجلال والتعظيم، والخشية والمحبة والإنابة، والتوكل، والخضوع لله سُبْحَانَهُ والذلَّ لَهُ، وَيقطع الوساوس وَحَدِيث النَّفس، وَيجمع الْقلب والهمَّ علىٰ الله.

فحظُّ العَبْد من الْقُرب من الله علىٰ قدر حَظِّه من مقَام الْإِحْسَان، وبحسبه تَتَفَاوَت الصَّلَاة، حَتَّىٰ يكون بَين صَلَاة الرَّجُلَيْن من الْفضل كَمَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض وقيامهما وركوعهما وسجودهما وَاحِد.

المشهد الْخَامِس: مشْهد الْمِنَّة؛ وَهُوَ أَن يشْهد أَنَّ الْمِنَّة لله سُبْحَانَهُ، كَونه أَقَامَهُ فِي هَذَا الْمقَام، وَأَهَّله لَهُ، ووفقه لِقِيَام قلبه وبدنه فِي خدمته؛ فلولا الله سُبْحَانَهُ لم يكن شَيْء من ذَلِك، كَمَا كَانَ الصَّحَابَة يَحْدون بَين يَدي النَّبِي ﷺ فَيَقُولُونَ:

وَالله لَــوْلَا الله مَــا اهتــدينا وَلَا تــصدقنا وَلَا صــلينَا

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجُرات: ١٧]؛ فَالله سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي

جعل الْمُسلم مُسلمًا، وَالْمُصَلي مُصَليًا؛ كَمَا قَالَ الْخَلِيل ﷺ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وَقَالَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]؛ فالمِنَّةُ لله وَحْدَه فِي أَن جعل عَبده قَائِمًا بِطَاعَتِهِ، وَكَانَ هَذَا من أعظم نِعَمِه عَلَيْهِ.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾[النحل: ٥٣]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾[الحُجُرات: ٧].

وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد، وكلما كان العبد أعظم توحيدًا كان حظُّه من هذا المشهد أتمَّ.

وفيه من الفوائد: أنَّه يحول بين القلب وبين العُجب بالعمل ورؤيته، فإنّه إذا شهد أنّ الله – سبحانه – هو المَانُّ به المُوفِّق له، الهادي إليه، شغله شهود ذلك عن رؤيته، والإعجاب به، وأن يصول به علىٰ الناس، فيرفع من قلبه، فلا يعجب به، ومن لسانه، فلا يَمُنُّ به ولا يتكثر به، وهذا شأن العمل المرفوع.

وَمن فَوَائده: أَنَّه يضيف الْحَمد إِلَىٰ وليه ومستحقه، فَلَا يشْهد لنَفسِهِ حمدًا، بل يشهده كُله لله، كَمَا يشْهد النِّعْمَة كُلَّهَا مِنْهُ، وَالْفضل كُله لَهُ، وَالْخَيْر كُله فِي يَدَيْهِ، وَهَذَا من تَمام التَّوْحِيد؛ فَلَا يسْتَقرُّ قدمه فِي مقَام التَّوْحِيد إِلَّا بِعلم ذَلِك وشُهُودِهِ؛ فَإِذا علمه ورسخ فِيهِ صَار لَهُ مشهدًا، وَإِذا

صَار لِقَلْبِهِ مشهدًا؛ أثمر لَهُ من الْمحبَّة والأنس بِالله، والشوق إِلَىٰ لِقَائِه، والتنعم بِذكرِهِ وطاعته؛ مَا لَا نِسْبَة بَينه وَبَين أَعلَىٰ نعيم الدُّنْيَا الْبَتَّة.

وَمَا للمرء خير فِي حَيَاته إِذا كَانَ قلبه عَن هَذَا مصدودًا، وَطَرِيق الْوُصُول إِلَيْهِ عَنهُ مسدودًا، بل هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحِجر: ٣].

المشهد السَّادِس: مشْهد التَّقْصِير، وَأَنَّ العَبْد لَو اجْتهد فِي الْقيام بِالْأَمر غَايَة الِاجْتِهَاد وبذل وَسعه؛ وَهَذَا المشهد من أعظم الْمشَاهد وأنفعها للْعَبد، وَكلما كَانَ العَبْد أعظم توحيدًا؛ كَانَ حَظُّه من هَذَا المشهد أتم.

وَفِيه مِنَ الْفَوَائِد: أَنَّه يحول بَين الْقلب وَبَين الْعُجب بِالْعَمَلِ ورؤيته؛ فَإِنَّهُ إِذا شَهِد أَن الله سُبْحَانَهُ هُوَ المَانُّ بِهِ، الْمُوَفِّق لَهُ، الْهَادِي إِلَيْهِ؛ شغله شُهُود ذَلِك عَن رُؤْيَته والإعجاب بِهِ، وَأَن يصول بِهِ علىٰ النَّاس؛ فَيُرفع من قلبه فَلَا يُعجَب بِهِ، وَمن لِسَانه فَلَا يَمُنَّ بِهِ وَلَا يتكثر بِهِ، وَهَذَا شَأْن الْعَمَل الْمَرْفُوع، فَهُوَ مُقَصِّرٌ، وَحقُّ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أعظم، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَن يُقَابَل بِهِ من الطَّاعَة والعبودية والخدمة فَوق ذَلِك بِكَثِير، وَأَنَّ عَظمته وجلاله سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي من الْعُبُودِيَّة مَا يَلِيق بِهَا.

وَإِذا كَانَ خدم الْمُلُوك وعبيدهم يعاملونهم فِي خدمتهم بالإجلال لَهُم والتعظيم، والاحترام والتوقير وَالْحيَاء، والمهابة والخشية، والنصح،

بِحَيْثُ يُفَرِّغون قُلُوبهم وجوارحهم لَهُم؛ فمالك الْمُلُوك وَرب السَّمَوَات وَالْأَرْض أولىٰ أَن يُعَامل بذلك، بل بأضعاف ذَلِك.

وَإِذا شهد العَبْد من نَفسه أَنَّه لم يُوَفِّ ربه فِي عبوديته حَقَّه، وَلَا قَرِيبًا من حَقِّه؛ علم تَقْصِيره، وَلم يَسعهُ مَعَ ذَلِك غير الاسْتِغْفَار والاعتذار من تَقْصِيره وتفريطه، وَعدم الْقيام بِمَا يَنْبَغِي لَهُ من حَقه، وَأَنَّه إِلَىٰ أَن يغْفر لَهُ الْعُبُودِيَّة وَيَعْفُو عَنهُ فِيهَا؛ أحْوج مِنْهُ إِلَىٰ أَن يطْلب مِنْهُ عَلَيْهَا ثَوابًا، وَهُوَ لَو وفَّاها حَقَّهَا كَمَا يَنْبَغِي؛ لكَانَتْ مُسْتَحقَّةً عَلَيْهِ بِمُقْتَضىٰ الْعُبُودِيَّة؛ فَإِنَّ عمل العَبْد وخدمته لسَيِّده مُسْتَحقٌّ عَلَيْهِ بِحكم كَونه عَبده ومملوكه، فَلَو طلبَ مِنْهُ الْأُجْرَة علىٰ عمله وخدمته؛ لعدَّه النَّاس أَحمَقَ وأخرقَ، هَذَا وَلَيْسَ هُوَ عَبده وَلَا مَمْلُوكه علىٰ الْحَقِيقَة، وَهُوَ عبد الله ومملوكه علىٰ الْحَقِيقَة من كل وَجه.

فعمله وخدمته مُسْتَحقٌّ عَلَيْهِ بِحكم كَونه عَبده، فَإِذا أثابه عَلَيْهِ؛ كَانَ ذَلِك مُجَرَّد فضل ومِنَّة وإحسان إِلَيْهِ، لَا يسْتَحقُّهُ العَبْد عَلَيْهِ.

ومن هاهُنا يُفهم معنىٰ قَول النَّبِيِّ ﷺ: «لن يدْخل أحدٌ مِنْكُم الْجنَّة بِعَمَلِهِ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «**وَلَا أَنا، إِلَّا أَن يتغمدني الله برحمة مِنْهُ وَفضل**»».

❁ ❁ ❁

أحسن الصلاة

خلقنا الله لعبادته، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وأساس العبودية لله توحيده والصلاة إليه.

والعبادات كُلُّها يجب أداؤها بإحسان، وإلا كانت باطلة مردودة، غير مقبولة.

فيجب علىٰ المسلم إحسان العبادة بإخلاص النيَّة لله في أدائها، ومتابعة النبي ﷺ في فعلها.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»، وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**».

فواجب المسلم تجريد الإخلاص لله في عباداته كلِّها خصوصًا الصلاة، فيكون خشوعه تألهًا لله، لا تصنُّعًا للخلق، فلا يتكلف البكاء، ولا تحسين

الصلاة وهيئاتها رياءً، بل يُصلِّي لله خالصًا من قلبه.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «البكاء عشرة أجزاء، جزء لله، وتسعة لغير الله».

وقال شيخ الإسلام العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «التباكي المصطنع – كما يفعله بعض الناس – غير مشروع، وأما البكاء الذي يأتي من خشوع القلْب، واستحضاره لعظمةِ الرَّبِّ، والخوفِ منه؛ فإن هذا مشروعٌ، وإذا ظهر منه صوت بغير اختياره وبغير تكلُّفٍ منه؛ فلا حرج.

لكن التَّباكي المصطنع هذا أمر لا يُشرع ولا ينبغي، بل الذي ينبغي أنْ يتأمَّلَ الإنسان كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا تأمَّله بصدق ومعرفة للمعنىٰ؛ فإن قلبه يلينُ ويخشع، ويبكي عند ذكر العذاب؛ خوفًا منه، وعند ذكر الثواب طمعًا فيه، وعند ذكر الربِّ تعظيمًا له».

فالشَّأن في عمل القلب وخضوعه وخشوعه لله، فما في القلوب من التألُّه لله والإخبات له وخشيته؛ هو حقيقة البكاء، وإن لم يكن ثمَّ صراخ مصطنع مُتكلَّف.

وواجب المسلم تجريد المتابعة للرسول ﷺ، وحثُّ النبيِّ ﷺ علىٰ

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٨).

(٢) اللقاءات الشهرية (١/ ٨٣).

متابعته في صفة الصلاة في قوله: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي**»، رواه البخاري من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عام للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين كانوا يشاهدون صلاته، وللأمَّة كلها من بعده، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نقلوا لنا صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلىٰ التسليم، مفصلة في بيان هيئاتها وأذكارها ومقاديرها، وتفصيل أنواع ذلك تفصيلًا بالغًا في كل شيء؛ مما دلَّ علىٰ حفظ الله لهذا الدِّين، وشدة عناية الصحابة بالصلاة؛ حيثُ اهتمُّوا بحفظ صلاة النبي ﷺ مفصَّلة؛ ليأتوا بها تامَّة، وليورِّثوا للأمة أداءها كما أداها النبي ﷺ، فجزاهم الله عن الإسلام خيرًا، كما جزىٰ نبينا محمدًا ﷺ كذلك.

وأداء الصلاة كما صلاها النبيُّ ﷺ؛ تحقيق لشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، وسبب لقبول الصلاة وثبوت أجرها.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما كان الإنسان أقوىٰ إيمانًا كان أقوىٰ اتباعًا لرسول الله ﷺ، حتىٰ كأنه يشاهد الرسول ﷺ أمامه فيتبع أثره، وإذا اتَّبع الإنسان هذه الطريقة حصلت له الراحة والطمأنينة وقوة الإيمان، كلما فعل شيئًا كأن الرسول ﷺ أمامه، يرشده بقوله أو بفعله.

وهذه المسألة يجب علينا أن ننتبه لها، حتىٰ لا تضيع علينا أعمالنا سدًىٰ، لأنَّ أكثرنا عندنا الاتباع المطلق - والحمد لله -، لكنَّ الاتِّباع

الخاصَّ في كل فعل يفعله أو يقوله؛ فهذا يُفقد منَّا كثيرًا فلابدَّ من التنبُّه له».

ووصفت عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **صلاة النبيِّ** ﷺ **فقالت:** «لا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ»، متفق عليه، ووصف أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاة النبي ﷺ فقال: «ما صليت وراء إمام قط أخف ولا أتمَّ صلاة من النبي ﷺ»، متفق عليه.

ومن لم يقم الصلاة تامة؛ فهذا لم يُحسن صَّلاته، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلَّىٰ رسول الله ﷺ يومًا، ثم انصرف، فقال: «**يا فلان! أَلَا تُحْسِنُ صلاتك؟ ألا ينظُرُ المُصَلِّي إذا صَلَّىٰ كيف يُصَلِّي؟! فإنَّما يُصَلِّي لنفسه، إني والله لَأُبْصِرُ من ورائي كما أُبْصِرُ من بين يدي**».

وقال النبي ﷺ **لمن أساء في صلاته، ولم يؤدِّها تامَّةً: «إنَّك لم تصلِّ»**، رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما يبطل الصلاة فساد النيَّة أو الابتداع فيها، أو تضييع شروطها أو أركانها وواجباتها خصوصًا الطمأنينة في هيئاتها، أو كثرة الحركة لغير مصلحة الصلاة، وإنما بسبب التفات القلب عن الله.

ورأىٰ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من يُصلِّي ولا يقيم ركوعه وسجوده، فقال له: ما صليت، ولو مُتَّ مت علىٰ غير الفطرة. رواه البخاري.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الحركة الكثيرة

(١) شرح مشكاة المصابيح (٢/ ١٥٦).

المتوالية بغير ضرورة، فهذه محرَّمة وتُبْطِل الصَّلَاة.

مثال ذلك: إنسان صار يعبث في صلاته، أحيانًا يُصْلِح الشماغ أو الغترة، أحيانًا يُخرِج القلمَ ويكتب، أحيانًا ينظر إلىٰ السَّاعة، المُهِمُّ أنَّها حركات كثيرة، والذي يراه يظن أنه ليس في صلاة من كثرة الحركة؛ فهذه الصلاة باطلة؛ لأنَّه أتىٰ فيها بحركة كثيرة متوالية لغير ضرورة».

فمن إحسان الصلاة أن تؤديها بحضور القلب وإقباله والوجه والجوارح علىٰ الله، ولا تكن من الغافلين الذين يؤدون حركة الجوارح مع غفلة القلب، قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥].

قال زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا تكن قائمًا في الصَّلاة، ساهيًا».

فالإقبال علىٰ الله هو جمعية القلب والجوارح علىٰ قصد الله بعبادته، وشغل القلب والجوارح بالوقوف بين يديه ومناجاته، فلا يلتفت القلب إلىٰ غير الله، ولا يسهو ويغفل عن مناجاته، وتدبر ما يذكر الله به، فمن ارتاض علىٰ هذا القيام لله؛ فهذا المطمئن المخبت قلبه وجوارحه لله، ومن شُغل قلبه بذكر الدنيا وحوائجها وغفل عن تدبُّر ما يتلو وما يذكر فليس له من صلاته إلا ما عقل منها.

---

(١) جامع عبد الله بن وهب (١/ ٦٦).

قال العلَّامة أبو الحسن عليُّ بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اعلم أن صلاتك كيلك، فإن شئت فأوفه، وإن شئت فامحقه، والصلاة خير كلها، فإن شئت فاقلل، وإن شئت فأكثر.

والمستصحب فيها العقل وحضور القلب، والمقصود عقد النية عند الدخول فيها، والتمادي علىٰ بقيتها مستصحبًا عقله وقلبه، والنيَّة هي الباعثة التي لولاها لم يتصور وجود العمل، فمن عرف حقيقة النية وعلم أنها روح العمل لم يُتعب نفسه في عمل لا روح له، فإذا لم تكن بهذه الصفة في صلاتك فاعلم أن الشيطان اختلس منك عبادة قلبك التي قليلها – والله – أنفع من كثيرها وأعود عاقبة، فإذا بقلبك الذي هو عماد عبادتك خواء قفر من الذكر، وإذا بك لم تُقبل علىٰ الله تعالىٰ به، فلم يُقبل الله تعالىٰ عليك؛ لأنك خصصت بعبادته ظاهرك دون باطنك، فلما سقط عمل القلب سقط عنه الخشوع، فصرت كأنك في عمل من أعمال الدنيا تكابده بحركة جسمك الظاهر، فلما سقط الخشوع حُرمت النور».

صلاتنا نؤديها علىٰ سبيل إبراء الذِّمَّة في أداء فرضها، وصارت مع الغفلة عادة ضعف فيها تحقيق الإخلاص والخشوع وحضور القلب وتدبُّر الذكر، فهي تحتاج منا إلىٰ تعاهد وإصلاح وحرص علىٰ إقامتها علىٰ أحسن ما يكون.

(١) الزاهر في بيان ما يُجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر (ص ٥٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «انظر وقت أخذك في القراءة إذا أعرضت عن واجبها وتدبرها وتعقلُّها، وفهم ما أُريد بكل آية، وحظك من الخطاب بها، وتنزيلها علىٰ أدواء قلبك والتقيد بها، كيف تدرك الختمة - أو أكثرها، أو ما قرأت منها - بسهولة وخفة، مستكثرًا من القراءة، فإذا ألزمت نفسك التدبر ومعرفة المراد، والنظر إلىٰ ما يخصك منه والتعبد به، وتنزيل دوائه علىٰ أدواء قلبك، والاستشفاء به؛ لم تكد تجوز السورة أو الآية إلىٰ غيرها.

وكذلك إذا جمعت قلبك علىٰ ركعتين أعطيْتَهُما ما تقدر عليه من الحضور والخشوع والمراقبة؛ لم تكد أن تصلِّي غيرهما إلا بجهد، فإذا خلا القلب من ذلك عددت الركعات بلا حساب، فالاستكثار من الطاعات دون مراعاة آفاتها وعيوبها ليتوب منها توبة العامَّة».

فأداء العبادة تألُّهًا لله؛ هو الإخلاص الَّذي نبَّه عليه النبيُّ ﷺ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «القيام بالطاعة لأجل أنَّ الله أمر بها وأحبَّها، لا لمجرَّد العادة أو لعلةٍ باعثةٍ سوىٰ امتثال الأمر».

ثم قال[٣]: «وهذا هو الإيمان والاحتساب المشار إليه في كلام النبيِّ ﷺ؛

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢١٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧١).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٧١، ٣٧٢).

كقوله: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا**»، و«**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له**»، فالصيام والقيام: هو الطاعة، و«الإيمان» مراقبة الأمر، وإخلاص الباعث هو أن يكون الإيمان الآمر، لا شيء سواه، و«الاحتساب» رجاء ثواب الله».

❁ ❁ ❁

الصلاة المقبولة

الصلاة المقبولة: هي التي أقبل فيها المُصلِّي علىٰ ربِّهِ بقلبه وجوارحه، وأقام شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وأتمَّ سننها، وحقَّق فيها المُصلِّي عبوديته لله بالقيام بين يديه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ لله علىٰ العبد عبوديَّتين: عبوديَّة باطنة، وعبوديَّة ظاهرة؛ فله علىٰ قلبه عبوديَّة، وعلىٰ لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تَعَرِّيه عن حقيقة العبوديَّة الباطنة؛ ممَّا لا يُقَرِّبُهُ إلىٰ ربِّه، ولا يُوجب له ثوابه وقبول عمله؛ فإنَّ المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر، فعمل القلب هو رُوح العبودية ولُبُّها، فإذا خلا عملُ الجوارح منه؛ كان كالجسد المَوَات بلا رُوح، والنيَّة هي عملُ القلب الذي هو مَلِكُ الأعضاء والمقصود بالأمر والنهي».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **متممًا**[٢]: «والمقصود بالأعمال كُلِّها، ظاهرها وباطنها إنما هو صلاحُ القلب، وكماله، وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه وإلهه، ومن تمام ذلك قيامه هو وجنوده في حضرة معبوده وربِّه، فإذا

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١٤٦، ١١٤٧).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١١٤٧).

بعث جنودَهُ ورعيته، وتغيَّب هو عن الخدمة والعبودية؛ فما أجدَرَ تلك الخدمة بالرَّدِّ والمقت».

وتجب علىٰ المصلِّي نيَّة العبودية لله، كما تجب عليه نيَّة الصَّلاة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البيِّنة: ٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «عملٌ لا يصحبُه إرادة المعبود؛ غير مقبول، ولا مُعْتَدٌّ به، وكذلك عمل لا تصحبه إرادة التَّعَبُّدِ له والتَّقَرُّبِ إليه؛ غير مقبول ولا معتد به، بل نِيَّةُ التَّقرُّب والتعبُّد جزءٌ من نية الإخلاص، ولا قَوَام لنية الإخلاص للمعبود إلا بنية التعبد، فإذا كانت نِيَّةُ الإخلاص شرطًا في صحَّة كلِّ أداء العبادة؛ فاشتراط نِيَّةِ التَّعَبُّدِ أولىٰ وأحرىٰ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «تنازع الناس في قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧]؛ فعلىٰ قول الخوارج والمعتزلة لا تُقبل حسنة إلَّا ممن اتقاه مطلقًا فلم يأتِ كبيرة، وعند المرجئة إنَّما يتقبل ممن اتقىٰ الشرك؛ فجعلوا أهل الكبائر داخلين في اسم «المتقين»، وعند أهل السُّنَّةِ والجماعة يُتقبَّل العمل ممن اتَّقىٰ الله فيه، فعمله خالصًا لله موافقًا لأمر الله؛ فمن اتقاه في عمل تقبله منه وإن كان عاصيًا في غيره، ومن

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١٤٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٢٢).

لم يَتَّقِهِ فيه لم يتقبَّلْهُ منه، وإن كان مطيعًا في غيره».

ومن قبول الله للصَّلاة وأنواع الطاعات: حفظ ثوابها، وقبولها قبول مضاعفة ثوابها، وحفظ دين مقيمها، وتيسيره لفعل الخيرات وأداء أنواع ما فرضه الله عليه من الطاعات والعبادات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾[البقرة: ١٤٣].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في هذا بشارة عظيمة لمَنْ مَنَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان بأنَّ الله سيحفظ عليهم إيمانهم فلا يضيعه، وحفظه نوعان: حفظ عن البطلان، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، فكما ابتدأكم بما هداكم للإيمان فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره وثوابه».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قال بعض السَّلف: «لا يقل عمل مع تقوىٰ، وكيف يقل ما يُتقبَّل؟!».

يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧]، ولهذا قال من قال من الصَّحابة: لو علمت أنَّ الله قبل مني ركعتين كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٠) باختصار.

(٢) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ٣٥٣).

فمن اتقىٰ الله في العمل؛ قبله منه، ومن لم يتقه فيه؛ لم يتقبله منه.

والتقوىٰ في العمل: أن يأتي به علىٰ وجه إكمال واجباته الظاهرة والباطنة، وإن ارتقىٰ إلىٰ الإتيان بآدابه وفضائله كان أكمل».

والصَّلاة المقبولة: هي التي أخلص المسلم فيها عمله لله، وأحسن أداءها كما صلَّاها النبيُّ ﷺ، وأتم ركوعها وسجودها، وتدبَّر معاني ما يتلىٰ من القراءة والذِّكر فيها، وقام لله بالخضوع والتواضع والخشية؛ فهذا الذي قال فيه السلف: «إنَّه يحسن يصلي».

قال عاصم بن يوسف لحاتم الأصم: تُحسن تصلي؟

قال: نعم.

قال: كيف تُصلِّي؟

قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأُكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأُسلِّم بالنيَّة، وأختمها بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، وأرجع علىٰ نفسي بالخوف، أخاف ألا يُقبل مني، وأحفظه بالجهد إلىٰ الموت.

قال: فتكلم، فأنت تُحسن تصلي[1].

(١) الخشوع في الصَّلاة، لابن رجب (ص ٤٥).

وقد عَظُمَتْ عناية النبيِّ ﷺ وورثتِهِ من العلماء في التنبيه علىٰ الإخلاص في الأعمال كُلِّهَا، خصوصًا الصلاة، فما لم يكن خالصًا لله كان مردودًا.

وعقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب «التوحيد»**[1]: [باب ما جاء في الرياء]، وساق فيه حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أَلَا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟** قالوا: بلىٰ. قال: **الشرك الخفيُّ؛ يقوم الرَّجُلُ فيُصلِّي، فيزين صلاته لما يرىٰ من نظر رجل إليه**»، رواه أحمد.

فنعوذ بالله من تزيين الصلاة رياءً للمخلوقين.

وكان خيار السلف من أحرص الناس علىٰ إخلاص الأعمال، والتباعد عن أسباب الرِّياء؛ فقد كان أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم الليل كلَّه، فيُخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنَّه قام تلك السَّاعة[2].

واحذر أيُّها المسلم تصنُّع الخشوع؛ فهذا من أوجب ما تنبغي محاذرته؛ قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «متىٰ تكلف الإنسان تعاطي

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الخامس والثلاثون (ص ٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٧).

(٣) الخشوع في الصلاة (ص ١٣، ١٤).

الخشوع في جوارحه وأطرافه، مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوه منه؛ كان ذلك خشوع النِّفاق، وهو الذي كان السلف يستعيذون منه؛ كما قال بعضهم: استعيذوا بالله من خشوع النفاق! قالوا: وما خشوع النفاق؟

قال: أن ترىٰ الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع!!

فمن أظهر خشوعًا غير ما في قلبه؛ فإنَّما هو نفاق علىٰ نفاق».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصلاة المقبولة، والعمل المقبول: أن يُصلِّي العبد صلاة تليق بربه عَزَّوَجَلَّ، فإذا كانت صلاةً تصلح لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتليق به؛ كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يُصلِّي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، ذاكر لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الدوام؛ فأعمال هذا العبد تُعرض علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ تقف قبالته، فينظر الله عَزَّوَجَلَّ إليها؛ فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضيَّة، قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عَزَّوَجَلَّ، متقرب إليه، أحبها ورضيها وقبلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال علىٰ العادة والغفلة، وينوي بها

(١) الوابل الصيِّب (ص٤٦-٤٩).

الطاعة والتقرب إلىٰ الله؛ فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رُفعت أعمال هذا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها، ولكن تُوضع حيث تُوضع دواوين الأعمال، حتىٰ تُعرض عليه يوم القيامة، فتُميّز؛ فيثيبه علىٰ ما كان له منها، ويُردُّ عليه ما لم يُرِد وجهه به منها.

فهذا قبوله لهذا العمل؛ إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته: من القصور، والأكل والشرب، والحور العين، وإثابة الأوَّل رضاه العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته؛ فهذا يعطيه بغير حساب؛ فهذا لون، والأول لون».

ومن إحسان الله إلىٰ خلقه وفضله عليهم أن العمل الذي اعتادوا فعله من الطاعات، ولازموا أداءه من العبادات إذا عجزوا عن فعله تامًّا أو منعهم من فعله مرض أو سفر كُتب لهم ما اعتادوه من الخير، فضلًا من الله ومنَّة.

فالله ربنا شكور ذو فضل عظيم.

قال النبيُّ ﷺ لعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ كان مريضًا: «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فجالسًا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب»، رواه البخاري.

وقال النبيُّ ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كُتب له ما كان يعملُ صحيحًا مُقيمًا»، رواه البخاري ومسلم.

قال العلَّامةُ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا من أكبر مِنَن الله علىٰ عباده المؤمنين: أنَّ أعمالَهُمُ المستمرة المعتادة إذا قطعهم عنها مرض أو سفر كتبت لهم كلُّها كاملة؛ لأنَّ الله يعلم منهم أنَّه لولا ذلك المانعُ لفعلوها، فيعطيهم تعالىٰ بنيَّاتهم مثلَ أجور العاملينَ مع أجر المرضِ الخاصِّ، ومع ما يحصل به من القيام بوظيفة الصبر، أو ما هو أكمل من ذلك منَ الرضا والشكر، ومن الخضوع لله والانكسار له».

وصلاة المسلم ثوابها موفور لمن لم يُحدِّث فيها أو يلغو أو يؤذي، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرَّجُلِ في جماعة تُضَعَّفُ علىٰ صلاته في بيته، وفي سوقه، خمسًا وعشرين ضِعْفًا، وذلك أَنَّهُ إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثُمَّ خَرَجَ إلىٰ المسجد، لا يُخْرِجُهُ إلَّا الصَّلاةُ؛ لم يخط خطوة، إلَّا رُفِعَتْ له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلىٰ لم تزل الملائكة تُصَلِّي عليه، ما دام في مصلَّاهُ ما لم يُحْدِث: اللَّهُمَّ صَلِّ عليه، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «نعمة عظيمة أن الله تعالىٰ يُسَخِّر لك الملائكة تدعو لك ما دمتَ تنتظِرُ الصلاة، إلا إذا آذىٰ أو أحدث.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص ١٠٩).

(٢) شرح مشكاة المصابيح (١/ ٥٥٧).

فإذا آذىٰ فإن هذه الأذيَّة تُوقِف الأجرَ، سواء آذىٰ غيرَه بقول أو فعل».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن المراد بالحدث حدث الفرج، لكن يؤخذ منه أنَّ اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولىٰ؛ لأنَّ الأذىٰ منهما يكون أشدَّ، أشار إلىٰ ذلك ابن بطال».

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**صلاة علىٰ إثر صلاة، لا لغو بينهما، كتاب في عليين**»، رواه أحمد وأبو داود.

والنبيُّ ﷺ أخبر أن من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أتىٰ الجمعة، فاستمع وأنصت؛ غُفر له ما بينه وبين الجمعة، ما لم يؤذِ، رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢/ ١٤٣).

يُتمُّ للفرائض من التطوع

الصلوات المندوبة هي صيانة للمفروضة؛ صيانة لها من جهة حفظها، فمن حافظ علىٰ المفروضات وأتىٰ بالمندوبات؛ فإنَّ الشَّيطان لا يأتيه بوسوسته بتضييع الواجبات وهو مقيم للمفروضات والمندوبات، وإنَّما يأتيه من قبل المندوبات أوَّلًا، وإن كان مؤديًا للمفروضات فقط؛ فغزو الشيطان له سهل؛ يأتيه بما يُضيِّع عليه الواجبات مباشرةً.

والصَّلوات المندوبة صيانة للمفروضة من جهة أنَّها تجبر ما فيها من نقص وخلل؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أول ما يُحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة**»، قال: «**يقول رَبُّنَا - جلَّ وعزَّ - لملائكته - وهو أعلم -: انظروا في صلاة عبدي، أتمَّها أم نقصها؟ فإن كانت تامَّةً كُتبت له تامَّة، وإن كان انتقص منها شيئًا؛ قال: انظروا هل لعبدي من تطوُّع. فإن كان له تطوُّع؛ قال: أتمُّوا لعبدي فريضته من تطوُّعِهِ، ثم تُؤخذ الأعمال علىٰ ذاكم**»، رواه أبو داود.

وصلاتنا لا تخلو من نقص في خشوعها وغفلة القلب وسهوه، أو نقص في هيئات الصلاة وأذكارها، فحاجتنا إلىٰ أداء النوافل ضروريَّة لحفظ الفرائض وجبر نقصها.

وقد تكلَّم العلماء فيما تجبره النوافل من نقص الفرائض، هل تجبر الصلاة المقبولة من الفرائض التي نقص العبد من إتمامها، أم يعمُّ جبرها فروضها وواجباتها أيضًا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّه يكمل نقص الفرائض من التطوعات، وهذا لا ينافي ما ورد من «**أنّ الله لا يقبل النافلة حتىٰ تؤدىٰ الفريضة**»».

وقال أيضًا[٢]: «ومعلوم أنّه لا يُثاب علىٰ النافلة حتىٰ تؤدىٰ الفريضة، فإنّه إذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كانت جبرًا له وإكمالًا لها».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٣]: «التطوعات شُرعت لمزيد التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ في الحديث الصحيح: «**ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه**» الحديث، فإذا لم يكن العبد قد أدىٰ الفرائض كما أُمر لم يحصل له مقصود النوافل».

والنوافل إنَّما تجبر نقص الصلاة المفروضة مع السهو والغفلة، أمَّا من تعمد التقصير فيها فهذا صلاته خلاف السنَّة، وقد قال النبي ﷺ: «**من عمل**

---

(١) شرح حديث جبريل (ص ٣٤١).

(٢) شرح حديث جبريل (ص ٣٤٢).

(٣) شرح حديث جبريل (ص ٣٤٤).

عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»، رواه مسلم.

وتعمد المخالفة في الصلاة أو التهاون فيها تضييع للصلاة، قال تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أمَّا إكمال الفريضة من التطوع فإنَّما يكون ذلك - والله أعلم - فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو نسي ثم ذكرها فلم يأتِ بها عامدًا واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه، وهو ذاكر له، فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه».

وكان النبيُّ ﷺ شديد التعاهد للرواتب كتعاهده للفرائض، وهكذا كان هديه ﷺ يحافظ علىٰ نوافله كلِّها الراتبة والمطلقة، فشُغِل مرةً عن راتبة الظهر البعدية فقضاها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل قضاه نهارًا.

ومع تعاهده ﷺ لنوافله كُلِّها خصوصًا الرواتب، فإنَّ تعاهده لراتبة الفجر والوتر كان أعظم وأشد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كان تعاهده ومحافظته علىٰ سنة الفجر أشدَّ من جميع النوافل، ولذلك لم يكن يدعُها هي والوتر سفرًا وحضرًا، وكان

(١) فتح البَرِّ في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر (٤/ ٤٣١).

(٢) زاد المعاد (ص ١٠٠).

في السفر يُواظب علىٰ سنة الفجر والوتر أشدَّ من جميع النوافل دون سائر السنن، ولم يُنقل عنه في السفر أنه ﷺ صلَّىٰ سنة راتبة غيرهما».

❁ ❁ ❁

طبقات المصلِّين

عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرجل ليصلِّي الصلاة، ما يكون له من صلاته إلَّا: عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها**»، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آخر العدد. رواه أحمد.

المسلمون يُصلون، وكلٌّ ثوابه منها بقدر ما أتمَّ من خشوع صلاته وركوعها وسجودها؛ فمنهم من يُكتب له عُشرها، ومنهم من يكتب له أكثر، والله المستعان علىٰ أدائها كما أمر سبحانه.

قال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «الصَّلاة مكيال، فمن أوفىٰ أُوفي له، ومن طفَّف فقد علمتم ما قال الله للمطفِّفين».

نصيبك من صلاتك بقدر ما أحسنت من حقائقها وأعمالها، أعمال القلب والجوارح معًا، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «إنَّ أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الأعمال وظواهرها، ولا يَعْتَدُّونَ إلا بأرواحها وحقائقها، وما يثبته لهم التعرف الإلهي، وهو نصيبهم من الأمر».

---

(١) شرح السنَّة (٣/ ٢٦١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٨٠).

وقال ابن القيم أيضًا[١]: «إنَّ الأمر متوجِّه إلىٰ قلوبهم قبل جوارحهم، وأنَّ علىٰ القلب عبودية في الأمر كما علىٰ الجوارح، وأنَّ تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح، وأنَّ كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده بعبوديته».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**الناس في الصلاة علىٰ مراتب خمسة:**

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المُفَرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ علىٰ مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنَّه قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوسوسة؛ فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ علىٰ حدودها وأركانها؛ وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار؛ فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق منه صلاته؛ فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلىٰ الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يُضَيِّع منها شيئًا، بل همُّه كله

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٨٠).

(٢) الوابل الصَّيِّب (ص٤٩، ٥٠).

مصروف إلىٰ إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأنُ الصلاة، وعبودية ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها.

الخامس: من إذا قام إلىٰ الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عَزَّوَجَلَّ، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته؛ كأنَّه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّتْ تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبُها بينه وبين ربه؛ فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم ممَّا بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عَزَّوَجَلَّ، قرير العين به.

فالقسم الأول معاقَبٌ، والثاني محاسَبٌ، والثالث مُكَفَّرٌ عنه، والرابع مثاب، والخامس مُقَرَّب من ربه؛ لأنَّ له نصيبًا ممن جُعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قَرَّت عينه بصلاته في الدنيا؛ قَرَّتْ عينه بقربه من ربه عَزَّوَجَلَّ في الآخرة».

❁ ❁ ❁

أحوال السَّلف مع الصلاة

سيِّد ولد آدم، نبيُّ الله محمد ﷺ نبيُّ الملحمة والمرحمة، إذا قام بين يدي الله يُصلِّي بكىٰ خشية من الله وإجلالًا لعظمته.

قال عبد الله بن الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يُصَلِّي، ولجوفه أَزِيزٌ كأَزِيز المِرْجَلِ. رواه أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي، وصحَّحه ابن خزيمة[1].

الأزيز: الصوت، يريد: غليان جوفه بالبكاء[2].

وسيِّد السلف بعد النبي ﷺ، وخيرهم وأفضلهم؛ أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كان إذا صلىٰ غلبه البكاء؛ خشوعًا وخشيةً لله، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إن أبا بكر رجل أسيف»[3]، «أسيف» يعني: رقيق القلب رحيم، وفي رواية لمسلم: «لا يملك دمعه».

---

(١) **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناده قوي»، فتح الباري (٢/ ٢٠٦).

(٢) شرح السنَّة (٣/ ٢٤٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم (ص ١١٦، رقم ٧١٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (ص ١٧٨ - رقم ٩٤٠).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: لم أعقل أبَوَيَّ إلَّا وهما يدينان الدِّين، ولم يَمُرَّ علينا يوم إلَّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بُكْرَةً وعَشِيَّةً، ثمَّ بدا لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فابتنىٰ مسجدًا بفناء داره، فكان يُصَلِّي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا بكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين[1].

ومن خشوع الصِّدِّيق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إقباله علىٰ الله في صلاته؛ قال سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يلتفت في صلاته»[2]. وبهذا وغيره من مجموع فضائله استخلفه النبيُّ ﷺ علىٰ الصلاة.

وقال عبد الله بن شداد رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «سمعت نشيج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنا في

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالنَّاس (ص ٨٢- رقم ٤٧٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من دخل ليؤمَّ الناس فجاء الإمام (ص ١١١- رقم ٦٨٤)، ورواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقديم (ص ١٨٠- رقم ٩٤٩)، واللفظ له.

(٣) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأذان، باب إذا بكىٰ الإمامُ في الصلاة (ص ١١٧)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الأثر وصله سعيد بن منصور عن ابن عيينة عن إسماعيل بن =

آخر الصفوف، يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]».

قال ابن فارس: «نشج الباكي ينشج نشيجًا، إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب»[(١)].

ومعيار التقوىٰ والصلاح والخير عند الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ الصلاة، فإذا ذكروا فضائل أحدهم كان أول معيارهم مع التوحيد الصلاة، فيقولون: «فلان لا تخطئه صلاة».

عن أُبَيِّ بْنِ كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ **قال**: كان رجلٌ من الأنصار لا أعلم أحدًا أَبْعَدَ من المسجد منه، وكانت لا تُخْطِئُهُ صلاة!!

فقيل له: لو اشتريت حِمَارًا تَرْكَبُهُ في الظلماء وفي الرَّمْضَاءِ؟

قال: ما يَسُرُّني أنَّ مَنْزِلِي إلىٰ جَنْبِ المَسْجِدِ، إنِّي أُرِيدُ أن يُكْتَبَ لي مَمْشَاي إلىٰ المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلىٰ أَهْلِي. فقال رسول الله ﷺ: «**قد جمع الله لك ذلك كُلَّه**»، رواه مسلم.

وشأن الصلاة عظيم عند النبي ﷺ وعموم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، خصوصًا

=

محمد بن سعد، سمع عبد الله بن شداد بهذا، وزاد: «في صلاة الصبح»، وأخرجه ابن المنذر من طريق عبيد بن عمير عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، بنحوه»، فتح الباري (٢/ ٢٠٦).

(١) فتح الباري (٢/ ٢٠٦).

الخلفاء الأربعة، فالنبيُّ ﷺ في مرضه سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**هل صلَّىٰ الناس؟**»، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاده الصحابة بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، فقال: هل صلىٰ الناس؟ والمريض من الصحابة كان يُؤتىٰ به ويُهادىٰ بين الرجلين في الصلاة. رواه مسلم.

وأبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان تعليمهم الناس الإسلام بالأمر بالتوحيد والصَّلاة، قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «نُبئت أنَّ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا يُعلِّمان الناس الإسلام: تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة التي افترض الله لمواقيتها؛ فإن في تفريطها الهلكة»(١).

وقدر الصلاة في قلوب الصحابة عظيم، علم هذا الكفَّار، فضلًا عمَّا نعتهم الله به في محكم التنزيل.

فقد روىٰ الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي عياش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان، فاستقبلنا المشركون، وهم بيننا وبين القبلة، فصلَّىٰ بنا النبيُّ ﷺ الظهر، فقالوا: لقد كانوا علىٰ حال لو أصبنا غِرَّتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم. فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الآيات، بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢].

(١) رواه محمد بن نصر المروزي، وصححه الحافظ ابن رجب الحنبلي في فتح الباري (٤/ ١٩٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ثمَّ رواه أحمد عن غُنْدَر عن شعبة عن منصور؛ به نحوه.

وهكذا رواه أبو داود عن سعيد بن منصور، عن جرير بن عبد الحميد، والنسائي من حديث شعبة، وعبد العزيز بن عبد الصمد، كلُّهم عن منصور؛ به.

وهذا إسناد صحيح، وله شواهد كثيرة».

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قيامهم بالقرآن تذكرًا وتدبُّرًا، قال مسروق[٢]: قال رجل من أهل مكَّة: هذا مقام أخيك تميم الدَّاريِّ، لقد رأيته ذات ليلة قام حتىٰ أصبح، أو كرَبَ أن يُصبح، يقرأ آيةً من كتاب الله، يركع ويسجد، ويبكي، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١][٣].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يصلِّي من الليل ما شاء الله أن يصلِّي،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٧١، ٧٧٢).

(٢) سنن الصالحين (٢/ ٦٤٦- رقم ٢٨٦٥).

(٣) ومتىٰ قرأ المُصلِّي بتدبر انتفع بصلاته، قال الشَّعبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إذا قرأت القرآن فاقرأ قراءةً تُسْمِعُ أُذُنَيْكَ، وتُفَقِّهُ قلبكَ، فإنَّ الأُذُنَ عَدْلٌ بين اللسان والقلب**». شرح السنة (٣/ ٨٧).

حتىٰ إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصَّلاة، ويقول لهم: الصلاة، الصلاة. ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢][1].

فطاعات الصحابة في الصلاة؛ فهذا شيء سبقوا به من بعدهم، كما سبقوهم بصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله.

عن السَّائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ القرآن ليلةً في ركعة، لم يصلِّ غيرها. رواه محمد بن نصر المروزي[2].

عن سعيد بن المسيب، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا قط إلا علمت أنَّه حقٌّ من الله، ولا كنت في صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتىٰ أقضيها، ولا كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغيرها.

قال سعيد: هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا في نبي[3].

وكانت عناية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأداء الصَّلاة علىٰ الصفة التي أدَّاها

(١) رواه مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... الأثر. ومن طريقه أبو داود في الزهد (ص ١٠١ – رقم ٨١).

(٢) صحح إسناده الصَّنعاني في سبل السلام (ص ٢٧١)، ط: دار الكتاب العربي.

(٣) نزهة الأبصار في فضائل الأنصار (ص ٢٩٢، ٢٩٣).

رسول الله ﷺ شديدة، قال مُطرِّف بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلَّيْتُ خلف عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنا وعمران بن حُصَيْن، «فكان إذا سجد كَبَّر، وإذا رفع رأسه كَبَّر، وإذا نهض من الرَّكعتين كَبَّر»، فلما قضىٰ الصلاة؛ أخذ بيدي عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: قد ذَكَّرَني هذا صلاة محمد ﷺ - أو قال: لقد صلَّىٰ بنا صلاة محمد ﷺ -[1].

وهكذا سائر الصَّحابة، قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «إني لا آلو - أقصر - أن أُصَلِّيَ بكم كما رأيت رسول الله ﷺ يُصلِّي بنا».

وشيخ التابعين، وأعلاهم طبقة، وأكثرهم علمًا، وأفضلهم نسكًا؛ سعيد بن المسيّب، كان شديد العناية بالتأهُّب للصَّلاة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «ما دخل عليَّ وقت الصلاة إلا وقد أخذت أهبتها، وأنا إليها مشتاق».

وكان سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد العناية والاهتمام بحضور الجماعة في المسجد، قال سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «ما فاتتني التكبيرة الأولىٰ منذ خمسين سنة، وما نظرت في أقفية الناس منذ خمسين سنة - يعني: في صلاة الجماعة -».

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأذان، باب إتمام التكبير في السُّجود (ص ١٢٧ - رقم ٧٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان (ص١٣٣ - رقم ٨٢١).

(٣، ٤، ٥) سير السلف الصالحين (٣/ ٧٧٤).

وأمَّا نسكه في تهجده وقيامه الليل؛ فقد قال عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، قال: صلىٰ سعيد الصبح بوضوء العتمة خمسين سنة[١].

وكان كهمس يُصلي كل يوم ألف ركعة، فإذا صلَّىٰ أخذ بلحيته، ثُمَّ يقول لنفسه: قومي يا مأوىٰ كلِّ سوء، فوالله ما رضيتك لله طرفة عين[٢].

وكان عبد العزيز بن أبي رَوَّادٍ إذا جنَّ الليل يأتي فراشه، فيجرُّ عليه يده، ويقول: إنك لَيِّنٌ، وفراش أهل الجنة أليَنُ منك. فلا يزال يصلي الليل كلَّه[٣].

وقال عبد الله بن مسلم بن يسار: إنَّ أباه كان إذا صلَّىٰ كأنَّه وتد، لا يميل هكذا ولا هكذا[٤].

ويعقوب الحضرمي قارئ البصرة، سُرق رداؤه عن كتفه في الصلاة ولم يشعر، ورُدَّ إليه ولم يشعر؛ لشغله بالصلاة[٥].

وكان تعظيم السَّلف الوقوف بين يدي الله كبيرًا، بمقدار ما امتلأت به قلوبهم من توحيد الله وعظمته وإجلاله وخشيته.

كان عليُّ بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا توضَّأ اصفرَّ، فيقول له أهله: ما هذا الذي

(٢) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٥٢٣).

(٣) سنن الصالحين (٢/ ٦٤٧ – رقم ٢٨٧٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٢).

(٥) معرفة القراء الكبار (١/ ١٥٨).

يعتادُكَ عند الوضوء؟ فيقول: ويحكم! أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟[١].

وعناية السلف بتصحيح صلاة المُصَلِّين عظيمة، وذلك لتعظيمهم لقدرها، ولنصيحتهم للمسلمين المصلِّين؛ لأن الصَّلاة مع التوحيد أساس لصحَّة بقية الطاعات.

فقد روىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عن أبي وائل، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّه رأىٰ رجلًا لا يُتمُّ ركوعه، ولا سجوده، فلمَّا قضىٰ صلاته قال له حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما صَلَّيْتَ» قال: وأحسبه قال: «لو مُتَّ مُتَّ علىٰ غير سُنَّة محمد ﷺ»[٢].

هذا حال آحاد الصَّحابة في صلاتهم، وكذلك كانوا جميعًا أهل قيام وتخشع وتأله لله وتهجد.

عن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** أَمَرَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُبَيَّ بنَ كعب وتميمًا الداريَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يقوما للناس بإحدىٰ عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتَّىٰ كُنَّا نعتمد علىٰ العِصِي من طول القيام، وما كُنَّا ننصرف إلا في فروع الفجر[٣].

---

(١) سنن الصالحين (٢/ ٦٧٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا لم يُتِمَّ السجود (ص ٦٩، رقم ٣٨٩).

(٣) رواه مالك في الموطأ (١/ ١١٠- رقم ٢٨٠)، رواية أبي مصعب الزهري.

قال العلَّامة هشام بن أحمد الوقَّشِيُّ الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «مئين: وهي ما ولي الطِّوَالَ، وسُمِّيَتْ (مِئِينَ)؛ لأنَّ في كل سورة مائة آية، أَوْ ما يقْرُبُ منها».

وقال أبو عثمان النَّهديُّ: كان أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقوم ثلث الليل، وامرأته ثلث الليل، وابنه ثلث الليل[٢].

وقد انتفع أبو عثمان النهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سيرة الصحابي أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فكان متنسِّكًا عابدًا.

وقال عبد الله بن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سافرت مع ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من المدينة إلىٰ مكَّة، ومن مكة إلىٰ المدينة، فكان يقوم شطر اللَّيل[٣].

وقال عليُّ بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان بشر بن منصور السَّليميُّ أبو محمد البَصْرِيُّ صيَّر الليل ثلاثة أثلاث؛ ثُلُثًا يُصلِّي، وثُلثًا يدعو، وثُلثًا ينام[٤].

وكان السلف يزجرون الصبيان فضلًا عن الكبار عن تضييع أركان الصلاة وواجباتها.

عن عليِّ بن زيد بن جدعان: قيل لسعيد بن المسيّب: ما بال الحجَّاج لا

(١) التعليق علىٰ الموطَّأ (١/ ١٧١).

(٢) رواه أبو داود في الزهد (ص ٢٧٥ – رقم ٢٩١)، وإسناده صحيح.

(٣) رواه أبو داود في الزهد (ص ٣١٠ – رقم ٣٣٦)، وإسناده لا بأس به.

(٤) تهذيب الكمال (١/ ٣٥٩).

يبعث إليك، ولا يُهيجك ولا يؤذيك؟! قال: والله ما أدري! غير أنَّه صلَّىٰ ذات يوم مع أبيه صلاةً، فجعل لا يتمم ركوعها ولا سجودها؛ فأخذت كفًّا من حصباء فحصبته بها.

قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة[١].

وقيل لعامر بن عبد القيس: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أوَ حديثٌ أحبُّ إليَّ من القرآن حتىٰ أشتغل به[٢]؟!

وكان مسلمُ بن يسار لا يلتفتُ في صلاته، حتىٰ انهدمت ناحيةٌ من المسجد فزعَ لها أهلُ السوق فما التفتَ[٣].

وقال محمد بن أبي حاتم ورَّاق البخاريِّ: دُعي محمَّد بن إسماعيل إلىٰ بستان، فصلىٰ الظهر ثم قام يتطوَّع، فأطال القيام، فلمَّا فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، وقال لبعضهم: انظر، هل ترىٰ شيئًا؟ فإذا زنبور قد أَبَرَهُ في ستَّة عشر أو سبعة عشر موضعًا، وقد تورَّم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة؛ فقال بعضهم: كيف لم تخرج من الصَّلاة في أول ما أَبَرَك؟ فقال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمَّها[٤].

---

(١) سير السَّلف الصالحين (٣/ ٧٧٥).

(٢، ٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٢١٧).

(٤) تحفة الأخباري بترجمة البخاري (ص ٢٠٥).

المُصلِّي في ذِمَّةِ الله

الصَّلاة تحريمها التكبير وتحليلها التَّسليم، والمسلم إذا أخلص لله في تخليه عن الشَّواغل وأقبل علىٰ الله يناجيه في صلاته؛ فهو في ذمَّة الله، قال النبيُّ ﷺ: «**من صلَّىٰ الصُّبْحَ فهو في ذمَّة الله، فلا يطلبنكم الله من ذِمَّتِه بشيءٍ فيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ في نار جهنَّم**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «[الله أكبر]، هذا الباب الذي يدخل منه المصلي، وهو التحريم.

وأما الباب الذي يخرج منه؛ فهو باب السلام المتضمِّن أحد الأسماء الحسنىٰ، فيكون مفتتحًا لصلاته باسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومختتمًا لها باسمه؛ فيكون ذاكرًا لاسم ربِّهِ أوَّل الصَّلاة وآخرها، فأولها باسمه وآخرها باسمه؛ فدخل فيها باسمه، وخرج منها باسمه، مع ما في اسم «السَّلام» من الخاصية والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله تعالىٰ؛ فإنَّ المصلِّي ما دام في صلاته بين يدي ربه؛ فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفره، بل هو في حمًىٰ من جميع الآفات والشرور، فإذا انصرف من بين

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (ص ٢٦٥ - رقم ١٤٩٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٨).

يديه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ابتدرته الآفات والبلايا والمحن، وتعرضت له من كل جانب، وجاءه الشيطان بمصائده وجنده؛ فهو متعرض لأنواع البلايا والمحن، فإذا انصرف من بين يدي الله مصحوبًا بالسلام؛ لم يزل عليه حافظ من الله إلىٰ وقت الصلاة الأخرىٰ، وكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه، ويدوم له، ويبقىٰ معه».

❁ ❁ ❁

متى تكون الصَّلاة صِلَةً بين العبد وربِّهِ

الصلاة صلة بين المصلِّي وربِّهِ، حظُّه من فضل وثمرات هذه الصلة والعبادة العظيمة بقدر ما وفىٰ منها، فمن كانت صلاته تامَّة؛ أتمَّ الله له خيراتها وبركاتها، وتنعَّم المصلِّي بما يكون فيها من قرَّة العين وانشراح الصدر، والطمأنينة بالذكر.

قال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «الصلاة مكيال؛ فمن أَوْفىٰ أُوفي له، ومن طففه فقد علمتم ما قال الله في المطففين».

وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبد ليصلي الصلاة وما كُتب له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خُمسها، حتىٰ بلغ عُشرها**»؛ رواه أحمد وأبو داود، وصحَّحه ابن حبَّان.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «هذا بإجماع السلف؛ أنَّه ليس للعبد من صلاته إلَّا ما عقل منها، وحضره بقلبه، وما أحسن ما قال أبو الفرج ابن الجوزي في بعض وعظه: حضور القلب أوَّل منزل من منازل الصَّلاة، فإذا

---

(١) الصلاة لابن القيم (ص ٨٩).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٨).

نزلته انتقلت إلىٰ بادية المعنىٰ، فإذا رحلت عنها أنخت بباب المناجاة».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أمَّا من أحسن عمله، وأتقنه، وعمله علىٰ الحضور والمراقبة؛ فلا ريب أنه يتضاعف بذلك أجره وثوابه في هذا العمل بخصوصه علىٰ من عمل ذلك العمل بعينه علىٰ وجه السهو والغفلة. ولهذا روي في حديث عمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المرفوع: «**إنَّ الرَّجل ينصرف من صلاته وما كُتِبَ له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، حتَّىٰ بلغ العشر**»؛ فليس ثواب من كُتب له عُشر عمله كثواب من كُتب له نصفه، ولا ثواب من كُتب له نصف عمله كثواب من كُتب له عمله كله».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إذا استشعر – العبد – بقلبه أنَّ الله أكبر من كل ما يخطر بالبال؛ استحيا منه أن يشغل قلبه في الصَّلاة بغيره، فلا يكون موفيًا لمعنىٰ [الله أكبر]، ولا مؤديًا لحقِّ هذا اللفظ».

وقال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الصلاة الحقيقية التي تكون صلة بين الإنسان وربِّهِ، بحيث إذا دخل في صلاته لا يلتفت قلبه إلَّا إلىٰ الله وحده».

---

(١) فتح الباري (١/ ١٦٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٨).

(٣) شرح صحيح البخاري (٧/ ٥١٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الالتفاتُ المنهيُّ عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ غير الله تعالىٰ.

الثاني: التفات البصر.

وكلاهما منهي عنه.

ولا يزال الله مقبلًا علىٰ عبده ما دام العبد مقبلًا علىٰ صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره؛ أعرض الله تعالىٰ عنه.

وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وأبلغ من هذا قوله ﷺ: «**ليس لك من صلاتك إلَّا ما عَقَلْتَ منها**»، فإذا لم يعقل في صلاته إلا في جزء واحد؛ كان له من الأجر بقدر ذلك الجزء، وإن برئت ذمته من الصلاة؛ فهكذا المصلي وحده له جزء واحد من الأجر وإن برئت الذمة.

ومثل هذه الصلاة لا يسميها الشارع صحيحة، وإن اصطلح الفقهاء علىٰ تسميتها صلاة؛ فإنَّ الصحيح المطلق ما ترتب عليه أثره، وحصل به

(١) الوابل الصيِّب (ص ٤٣).

(٢) الصلاة (ص ١٣١).

مقصوده، وهذه قد فات معظم أثرها، ولم يحصل منها جل مقصودها؛ فهي أبعد شيء من الصحة، وأحسن أحوالها أن ترفع عنه العقاب، وإن حصلت شيئًا من الثواب فهو جزء».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الصَّلاة إنَّما تُكَفِّرُ سيِّئات من أدَّىٰ حقَّهَا، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالىٰ بقلبه وقالبه، فهذا إذا انصرف منها؛ وجد خِفَّةً من نفسه، وأحسَّ بأثقالٍ قد وُضِعَتْ عنه؛ فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتَّىٰ يتمنىٰ أنَّه لم يكن خرج منها؛ لأنَّها قرَّة عينه، ونعيم روحه، وجنَّة قلبه، ومُسْتَرَاحُهُ في الدنيا».

فالصلاة التي يُقبل فيها المُصلِّي علىٰ ربِّه بقلبه وجوارحه؛ هي الصَّلاة التي تحصل بها مقاصدها كلها، وتكون صلةً بين العبد وربِّه.

قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «الصَّلاة قربان، إنَّما مثل الصلاة كمثل رجل أراد من إمام حاجة فأهدىٰ له هدية، إذا قام الرجل إلىٰ الصلاة فإنَّه في مقام عظيم، واقف فيه علىٰ الله يناجيه ويرضاه، قائمًا بين يدي الرحمن، يسمع لقيله، ويرىٰ عمله، ويعلم ما يوسوس به نفسه؛ فليُقبل علىٰ الله بقلبه

(١) الوابل الصيِّب (ص ٤٦)، ومدارج السالكين (١/ ٣٣١).

(٢) رواه محمَّد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ص ١٢٦- رقم ١٣٣)، وفي إسناده ابن لهيعة؛ والراوي عنه ابن المبارك، وهذا حُجَّةٌ في باب الآثار، فإسناده حسن.

وجسده، ثم ليرم ببصره قصد وجهه خاشعًا، أو ليخفضه فهو أقل لسهوه، ولا يلتفت ولا يُحرِّك شيئًا بيده ولا برجليه، ولا شيء من جوارحه حتىٰ يفرغ من صلاته، وليبشر من فعل هذا، ولا قوَّة إلا بالله».

فالإقبال علىٰ الله بالقلب والجوارح، وتدبُّر معاني القراءة والتلاوة والأذكار في مقامات الصلاة وهيئاتها؛ هو حقيقة المناجاة لله.

قال العلَّامة أبو عبد الله محمَّد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المصلِّي كأنَّه ليس في الدنيا ولا في شيء منها، إذا كان بجميع قلبه وجميع بدنه في الصلاة؛ فكأنه ليس في الأرض، إلَّا أنَّ ثقل بدنه عليها، وذلك أنَّه يناجي الملك الأكبر؛ فلا ينبغي أن يخلط مناجاة الإله العظيم بغيرها، وكيف يفعل ذلك والنبيُّ ﷺ قد أخبر أنَّ الله مقبل عليه بوجهه، فكيف يجوز لمن صدق بأنَّ الله مقبل عليه بوجهه أن يلتفت أو يعبث أو يتفكر أو يتحرك بغير ما يحب المقبل عليه بوجهه؟! لأنَّ اشتغاله في صلاته بغيرها من الالتفات أو العبث أو التفكر في شيء من الدنيا؛ هو إعراض عمن أقبل عليه، وما يقوىٰ قلب عاقل لبيب أن يقبل عليه من الخلق من له عنده قدر، فيراه يولي عنه بمعنًىٰ من المعاني، وكل مقبل سوىٰ الله لا يطلع علىٰ ضمير من ولىٰ عنه بضميره، والله تعالىٰ مقبل علىٰ المصلِّي بوجهه، يرىٰ إعراضه بضميره،

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ١١٩، ١٢٠).

وبكل جارحة من جوارحه، سوىٰ صلاته التي أقبل عليه بوجهه من أجلها؛ فكيف يجوز لمؤمن عاقل أن يملها أو يلتفت أو يتشاغل بغير الإقبال علىٰ رب العالمين؛ إذ أخبره النبي ﷺ أنَّ الله مقبل عليه بوجهه؟! فهل يفعل ذلك من فعله إلَّا قلة مبالاة بالمقبل عليه، أو كيف يجوز لمن عرف أنَّ الله مقبل عليه وهو مناجٍ له أن يُعرض عنه بما قل أو كثر؟!».

❁ ❁ ❁

الخشوع في الصلاة

الخشوع في الصلاة نعت المؤمنين المفلحين، صلوا لله بخشوع؛ قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصلاة تَخَشُّع وخشوع لله».

وقال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الخشوع لُبُّ الصلاة وروحها، وهو عبارة عن حضور القلب في الصلاة، مع سكون الأطراف؛ أي: عدم تحركها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «و«الخشوع» يتضمن معنيين:

أحدهما: التواضع والذُّلُّ.

والثاني: السكون والطمأنينة؛ وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة؛ فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضًا، ولهذا كان الخشوع في الصَّلاة يتضمن هذا وهذا: التواضع والسكون. وعن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ١٢٩- رقم ١٤٢).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٨٠).

(٣) الإيمان (ص ٢٤، ٢٥).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ٢]، قال: مخبتون أذلاء».

وحضور القلب بالإقبال علىٰ الله في الصلاة؛ هو أعظم ما يجب علىٰ المصلِّي؛ ليكون خاشعًا في صلاته محقِّقًا لمقاصدها، فالتفات القلب وانشغاله بأمور الدنيا، وإن كان ببدنه مستقبل القبلة؛ يفوت به تحقيق مقاصد ومعاني الصلاة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رواية أبي طالب**: الالتفات في الصَّلاة لا يَقطعُ، إنَّما كُره ذلك لأنَّه يترك الخشوع والإقبالَ علىٰ صلاته؛ قال ﷺ: «**هو اختلاس يختلسه الشَّيطان**»، الحديث، فلو كُلِّفَ الإعادة شقَّ؛ إذ المُصلِّي لا يكاد يسلم من اختلاسه[1].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الخشوع في الصلاة إنَّما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عمَّا عداها، وآثرها علىٰ غيرها، وحينئذ تكون راحةً له وقُرَّةَ عين؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**حُبِّبَ إليَّ الطِّيبُ والنساء، وجُعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة**».

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٩٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٥٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا مِسْعَر عن عمرو بن مرَّة، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن رجل من أسلم؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يا بلال! أرحْنا بالصلاة**»».

والخشوع في الصلاة يأتي من الإخلاص في أدائها، والإقبال علىٰ الله في مناجاته، وأدائها بالاتِّباع للنبيِّ ﷺ.

قال شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصَّلاة، فالإخلاص فيها، يرجع إلىٰ إفرادها عما يخالطها كثيرًا: من الرياء، والطبع، والعادة، وغيرها؛ والصدق يرجع إلىٰ إيقاعها علىٰ الوجه المشروع ولو أبغضه الناس لذلك».

والخشوع لله يأتي إذا كان القلبُ ممتلئًا من هيبة الله وتعظيمه وإجلاله، وتعظيم الوقوف بين يديه؛ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يقول – المصلِّي – وهو قائم مع القدرة: [الله أكبر]، لا يجزئه غيرها، والحكمة في افتتاحها بذلك؛ ليستحضر عظمة من يقوم بين يديه فيخشع».

وأحوال السلف في استشعارهم هيبة الله لمناجاته في الصلاة؛ دالة علىٰ عظيم ما امتلأت به قلوبهم من خشية الله ورهبته وتعظيمه وتوحيده، وما

(١) الدرر السنية (٢/ ١٣١).

(٢) آداب المشي إلىٰ الصلاة (ص ١٦).

أورثهم ذلك من الخشوع في الصلاة.

كان منصور بن زاذان إذا فرغ من وضوئه يبكي حتىٰ يرتفع صوته، فقيل له: ما شأنك؟!

فقال: وأيُّ شيء أعظم من شأني، إني أُريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم؛ فلعله يرضىٰ عني[١].

وكان عطاء السليمي إذا فرغ من وضوئه؛ ارتعد وانتفض وبكىٰ بكاءً شديدًا، فقيل له في ذلك؛ فقال: إنِّي أُريد أن أتقدم إلىٰ أمر عظيمٍ، إنِّي أريد أن أقوم بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ[٢].

فالواجب السعي في زكاة القلب وحياته فيما بين الصلوات، فإذا حضرت الصلاة خشع القلب لله، وأقبل إليه، وكانت الجوارح تبعًا لذلك.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «رقة القلوب تنشأ عن الذكر، فإنّ ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته، ويذهب الغفلة عنه».

وقيام من استولت الغفلة علىٰ قلبه عن ذكر الله في سائر أوقاته في الصلاة ضعيف؛ لأن إقبال القلب علىٰ الله في الصلاة بحسب حاله قبلها.

(١، ٢) اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ (ص ٥٢، ٥٣).

(٣) لطائف المعارف (ص ٣٤).

فإذا كان القلب غافلًا عن ذكر الله قبل الصلاة كان قيامه فيها ضعيفًا، إلَّا من استعتب نفسه، وأحيا قلبه، وجعل صلاته توبة عن الغفلة، وأوبة إلىٰ الله بذكره، فاستصحب ذلك بين الصلوات وفي أوقاته كلِّها؛ فذلك الذي خشع قلبه لذكر الله، فعاش بعد أوبته بقلبه وجوارحه ذاكرًا الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنبه، وذكره إذا واطأ القلب اللسان أورثه ذكر أمر الله ونهيه الذي أمر به في كتابه، قال اللهُ ربُّنا: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الحديد: ١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغًا من تخليطاته؛ حيث خلط عملًا صالحًا وآخر سيِّئًا، فإذا تاب من الذنوب تخلَّصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة، واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه، فزكاة القلب بحيث ينمو ويكمل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾[النور: ٢١]».

ومن الأسباب المعينة علىٰ الخشوع: أداء الصلاة كأنَّها آخر عمل يوافي به المسلم ربَّه، فيأتي بها علىٰ أكمل ما يكون، راجيًا من الله أن تكون خير أعماله في خاتمتها.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ المودِّع يستقصي ما لا

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٤).

يستقصي غيره في القول والفعل؛ ولذلك أمر النبيُّ ﷺ أن يُصلي صلاة مودِّع؛ لأنَّه من استشعر أنَّه مودِّع بصلاته؛ أتقنها علىٰ أكمل وجوهها».

وسنَّة النبي ﷺ القوليَّة والفعليَّة في الصَّلاة وصفة أدائها، وأوامره ونواهيه فيها؛ كلُّها تدل علىٰ تحقيق معنىٰ الخشوع في الصلاة الذي تحصل به مقاصدها؛ من الصلة بين العبد وربِّه، ومناجاته، وذكره والإقبال عليه، وتزكية المصلي، وتزوده من قوت الصَّلاة؛ فيكون من الذاكرين.

من أجل ذلك أمر النبيُّ ﷺ المُصلِّي بوضع يده اليمنىٰ علىٰ اليسري؛ خضوعًا لله في الوقوف بين يديه، وأمر المُصلِّي بالنَّظر أمامه أو إلىٰ موضع سجوده، وترك الالتفات، وأُمِر المُصلِّي بالصَّلاة إلىٰ سُترة، وبالسكون في الصَّلاة والطمأنينة فيها، وعدم الحركة لغير صفة الصلاة أو مصلحتها.

وكذلك نهىٰ النبي ﷺ عن زخرفة المساجد؛ لأنَّها تُلهي المصَلِّيَ عن الخشوع في صلاته.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: صلَّىٰ رسول الله ﷺ في خميصة لها أعلام، فلمَّا انصرف قال: «**اذهبوا بخميصتي هذه إلىٰ أبي جهم، وأتوني بأنبجانيَّته؛ فإنَّها ألهتني آنفًا عن صلاتي**»، رواه البخاري ومسلم.

وكذلك أمر النبيُّ ﷺ الجائعَ بتناول الطَّعام؛ ليؤدي الصلاة ونفسه لا تنازعه الحاجة إلىٰ الطَّعام: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا**

وُضِع العَشاءُ وأُقيمت الصَّلاة؛ فابدءوا بالعشاء»، رواه البخاريُّ.

قال العلَّامة أبو سليمان حَمْدُ بن محمَّد الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّما رُخِّصَ في ذلك للصائم الذي تاقت نفسه إلىٰ الطَّعام، أو الجائع الذي قد بلغ منه الجوع الضَّعْفَ؛ لأنَّهما إذا قاما إلىٰ الصَّلاة وفي أنفسهما الحاجة إلىٰ الطعام؛ لم يستوفيا شرائط الصلاة وحُقوقها من الخشوع والإخلاص؛ لمنازعة النَّفس الطَّعام».

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيميَّة ما يشمله معنىٰ الخشوع في الصلاة؛ وهو: خشوع القلب ورهبته إلىٰ الله، وخشوع البصر؛ فلا يلتفت المُصلِّي في صلاتِهِ، وخشوع الجوارح بسكون المصلِّي في صلاته، وسكونه في هيئات الصلاة والطمأنينة فيها؛ فقال[2]: «إذا كان الخشوع في الصلاة واجبًا، وهو متضمن للسكون والخشوع، فمن نَقَر نَقْر الغراب لم يخشع في سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه من الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن؛ لأنَّ السُّكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده، ومن لم يخشع كان آثمًا عاصيًا».

وقال شيخ الإسلام في خشوع البصر: «ويدلُّ علىٰ وجوب الخشوع في

(١) أعلام الحديث (١/ ٤٧٧).

(٢) القواعد النورانية الفقهية (١/ ١٦٥).

الصلاة: أنَّ النبيَّ ﷺ توعَّد تاركيه؛ كالذي يرفع بصره إلىٰ السماء، فإنَّ حركته ورفعه هو ضد حال الخاشع؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم؟!**»، فاشتدَّ قوله في ذلك، فقال: «**لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك أو لتخطَفَنَّ أبصارهم**»»[1].

وبيَّن شيخ الإسلام أنَّ خشوع المصلِّي هو في إقباله علىٰ الله؛ حيث قال[2]: «روىٰ أبو داود والنسائي عن أبي الأحوص، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله مقبلًا علىٰ العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه**»».

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ **معنىٰ الخشوع في الصلاة، فقال:** «الخشوع يتضمن السكينة والتواضع جميعًا.

ومنه حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث رأىٰ رجلًا يعبث في صلاته، فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»؛ أي: لسكنت وخضعت، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]؛ فأخبر أنها بعد الخشوع تهتزُّ، والاهتزاز حركة، وتربو، والربو: الارتفاع.

فعُلم أنَّ الخشوع فيه سكون وانخفاض؛ ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقول في

(١) القواعد النورانية الفقهية (١/ ١٦٦).

(٢) القواعد النورانية الفقهية (١/ ١٦٧).

حال ركوعه: «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعقلي وعصبي**»، رواه مسلم في «صحيحه»؛ فوصف نفسه بالخشوع في حال الركوع؛ لأن الراكع ساكن متواضع».

وقد جاءت صفة الصلاة بما يُحقِّق الخشوع لمن أدَّاها خالصًا لله صوابًا، قال العلَّامة المحدِّث عبد المحسن العباد حَفِظَهُ اللهُ[1]: «وضع اليدين علىٰ الصدر هيئة ذُلٍّ وخضوع لله عَزَّوَجَلَّ، شُرعت في الصَّلاة ولم تُشرع في غيرها؛ فلا يجوز فعلها في غير الصَّلاة، ولا يجوز فعلها أمام أحد من الأحياء، ولا عند زيارة القبور؛ لأنَّها لم ترد إلَّا في الصلاة؛ قال في «الفتح» (٢/ ٢٢٤): «قال العلماء: الحكمة في هذه الهيئة أنَّه صفة السَّائل الذَّليل، وهو أمنع من العبث، وأقرب إلىٰ الخشوع، وكأنَّ البخاري لحظ ذلك فعقَّبه بباب الخشوع».

قوله[2]: [ويُستحب نظره إلىٰ موضع سجوده في كلِّ حالات الصَّلاة، إلَّا في التشهد فينظر إلىٰ سبَّابته].

ثبت عن رسول الله ﷺ النهي عن الالتفات في الصَّلاة، وعن رفع البصر إلىٰ السَّماء؛ فلم يبقَ إلَّا النظر إلىٰ الأمام أو إلىٰ موضع السُّجود، وقد دخل

(١) شرح آداب المشي إلىٰ الصَّلاة (ص٢٠).

(٢) الإمام محمد بن عبد الوهاب.

رسول الله ﷺ الكعبة ما خَلَف بصرُه موضع سجوده حتىٰ خرج منها. رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٩) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصحَّحه ووافقه الذهبي».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قد علَّق الله سبحانه الفلاح بخشوع المصلِّي في صلاته؛ فمن فاته خشوع الصلاة لم يكن من أهل الفلاح، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر قطعًا؛ بل لا يحصل الخشوع قَطُّ إلا مع الطمأنينة، وكلما زاد طمأنينة ازداد خشوعًا، وكلَّما قلَّ خشوعه اشتدَّتْ عجلته، حتىٰ تصير حركة يديه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع ولا إقبال علىٰ العبودية، ولا معرفة حقيقة العبودية».

والحركة لمصلحة الصلاة لا تنافي الخشوع، وليس ذلك مما يُعاب به المصلِّي؛ فهو عمل لحفظ الصلاة؛ لذلك أمر النبيُّ ﷺ المُصلِّي بدفع المارِّ بين يديه، وفي الصحيحين عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقام النبيُّ ﷺ يُصلِّي من الليل، فقُمْتُ أصلِّي معه، فقمت عن يساره؛ فأخذ برأسي، فأقامني عن يمينه.

والحركة اليسيرة لا تنافي الخشوع في الصلاة ولا تبطلها، ففي الصحيحين

---

(١) الصلاة (ص١٧٠).

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا نصلِّي مع النَّبيِّ ﷺ في شدَّة الحرِّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض؛ بسط ثوبه، فسجد عليه.

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إنَّ العمل القليل في الصَّلاة لا يفسدها».

❁ ❁ ❁

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٣/ ٣٩٥).

السعي إلى الصلاة بسكينة ووقار

الحضور إلَىٰ الصَّلاة بطمأنينة ووقار من فقه المصلِّي، فرواحه إلىٰ المسجد للصلاة طاعة، ومن راح بخشوع ووقار وسكينة؛ فحاله أكمل في إجابة نداء الله للصلاة، ومع الخشوع والوقار يستجلب المؤمن بهذه الهيئة أسباب ذكر الله وتسبيحه ومناجاته بتلاوة القرآن، فإذا وصل المسجد؛ كان خشوعه قبل الصلاة من أسباب خشوعه في الصَّلاة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلىٰ الصلاة، وعليكم بالسَّكينة والوقار، ولا تُسرعوا؛ فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا**».

قال شيخنا العلَّامة مُحمَّد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «السَّكينة في القلب، والوقار في الجوارح؛ يعني: أن يكون الإنسان وقورًا، وأن يكون الإنسان ساكنًا مطمئنًا، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]، ومعلوم أنَّ القلب إذا سكن وخشع سكنت الجوارح».

❁ ❁ ❁

(١) شرح صحيح البخاري (٢/ ٢٥٥).

تعظيم الصَّلاة بالشغل لها، لا عنها

الإنسان إذا كان همُّه تحقيق عبوديته لله، وإقامه ذكره، وطاعة ربِّه، والقصد إلىٰ أداء وظائف ما أمره الله من عبوديَّته وذكره والصلاة له؛ أعانه الله علىٰ أمور الدُّنيا والآخرة، وكفاه هَمَّ ما يُشغله عن طاعة الله وعبوديته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا أصبح العبدُ وأمسىٰ، وليس هَمُّه إلا الله وحده؛ تَحَمَّل اللهُ سبحانه حوائجه كلَّها، وحَمَل عنه كلَّ ما أهمَّهُ، وفَرَّغَ قلبه لمحبَّتِهِ، ولسانه لذكرِهِ، وجوارحَه لطاعته.

وإن أصبح وأمسىٰ والدُّنيا همُّهُ؛ حَمَّلَهُ الله همومها وغمومها وأنكادها، وَوَكَلَه إلىٰ نفسه؛ فشغل قلبه عن محبَّتِهِ بمحبَّةِ الخلق، ولسانَهُ عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم؛ فهو يَكْدَحُ كَدْحَ الوحش في خدمة غيره؛ كالكِيرِ ينفُخ بطنَه ويَعصرُ أضلاعه في نفع غيره.

فكل من أعرض عن عبوديَّةِ اللهِ وطاعته ومحبَّتِهِ؛ بُلِي بعبوديَّة المخلوق ومحبَّته وخدمته؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّخرُف: ٣٦]».

---

(١) الفوائد (ص ١٢١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها؛ كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها؛ لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاةً، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيِّ بن خلف**»؛ رواه أحمد، وصحَّحه ابن حبَّان.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «فيه نكتة بديعة، وهو أنَّ تارك المحافظة علىٰ الصلاة إما أن يشغله ماله، أو ملكه، أو رئاسته، أو تجارته؛ فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رئاسة ووزارة فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيِّ بن خلف».

ويجب علىٰ المسلم بذل الأسباب للاستيقاظ للصلاة، من أجل ذلك نهىٰ النبي ﷺ عن النوم قبل العِشاء، ونهىٰ عن السمر بعدها.

عن أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: سرنا مع النبي ﷺ ليلةً، فقال بعض القوم: لو عَرَّسْتَ بنا يا رسول الله. قال: «**أخاف أن تناموا**

(١) الصلاة (ص ٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء (ص ٩٥ - رقم ٥٦٨).

عن الصَّلاة»، قال بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا أوقظكم. فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلىٰ راحلته، فغلبته عيناه فنام؛ فاستيقظ النبيُّ ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «**يا بلال! أين ما قلت؟**»، قال: ما أُلْقِيَتْ عليَّ نومة مثلها قَطُّ. قال ﷺ: «**إنَّ الله قبض أرواحكم حين شاء، ورَدَّهَا عليكم حين شاء، يا بلال، قم فأذِّنْ بالناس بالصَّلاة**».

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إنَّ الإنسان إذا خاف ألا يقوم للصَّلاة إذا نام، وكان الوقت قريبًا؛ فليتصبر حتىٰ يدخل الوقت؛ لقول الرسول ﷺ: «**أخاف أن تناموا عن الصَّلاة**»، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الوقت كان قريبًا من طلوع الفجر، وهو مقتضىٰ كلمة «عَرَّسْتَ»؛ لأنَّ التعريس هو نزول النوم في آخر الليل.

وفيه دليل أيضًا علىٰ أنَّه إذا كان للإنسان ما يوقظه؛ فلا بأس أن ينام، ولو عند قرب الوقت، وجه ذلك: أنَّ بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنا أوقظكم.

وعلىٰ هذا، فإذا كان الإنسان لديه ساعة منبِّهة، وجعل لها معيارًا عند دخول الوقت ونام؛ فلا حرج، ولو غلبته عينه ولم يستيقظ؛ فلا حرج عليه، كما جاء عن بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيه دليل أيضًا علىٰ أنَّ الإنسان إذا لم يقل: إن شاء الله، لشيء يفعله في

(١) شرح صحيح البخاري (٢/ ١٩٢، ١٩٣).

المستقبل؛ فإنه قد يُخذل، ووجهه: أنَّ بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقل: إن شاء الله. فإذا كان أحد الأنبياء الكرام لمَّا ترك التعليق بالمشيئة لم يحصل مراده، فَمَنْ دُونَ الْأنبياء من باب أوْلىٰ؛ فسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أقسم أنْ يطوف علىٰ تسعين امرأة في ليلة، تلد كل واحدة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقيل له: قل: إنْ شاء الله، فلم يقل، فطاف علىٰ تسعين امرأة فلم تلد إلا واحدة منهن شِقَّ إنسان فقط؛ قال النبي ﷺ: «**لو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركًا لحاجته**»، وفي لفظ: «**ولقاتلوا في سبيل الله**»».

❁ ❁ ❁

مواقيت الصلاة

الصلاة عبادة مؤقتة، لابدَّ أن تُؤدىٰ في وقتها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣]، وقد عظَّم الله أمر أدائها لوقتها، فكرَّر الله الأمر بذلك؛ حثًّا للعباد لأدائها في أوقاتها، وتحذيرًا عن تضييعها عن وقتها.

قال الحسن بن سعد: قيل لابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنَّ الله تعالىٰ يُكثر ذكر الصَّلاة في القرآنِ؛ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ [المعارج: ٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [المعارج: ٣٤]، قال عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ذلك علىٰ مواقيتها، قالوا: ما كنا نرىٰ يا أبا عبد الرحمن إلا علىٰ تركها، قال: تركها الكفر[1].

وواجب المسلم الاستعداد للصَّلاة وأخذ أسباب النهوض إليها، وأدائها في أوقاتها جماعة، في الصفوف الأولىٰ، فإنَّ المسلم إذا بادر بالاستعداد للصلاة بالتخلي عن الشواغل في وقتها وقبلها، وأخذ ما يحتاجه من وقت للطَّهارة، ولأخذ جمعية قلبه علىٰ الله؛ أدرك خير الصلاة وفضلها ورواتبها ونوافلها، وإن توانىٰ وتهاون وتكاسل عن المبادرة إليها؛ ربما فاته

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ٥٧٣- رقم ٩٣٧).

إدراك الفريضة فضلًا عن نوافلها.

عن أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ رأىٰ في أصحابه تأخُّرًا، فقال لهم: «**تقدَّموا فأتمُّوا بي، وَلْيَأْتَمَّ بكم مَنْ بَعْدَكُمْ ، لا يزال قوم يَتَأَخَّرون حتىٰ يؤخِّرهم الله**»، رواه مسلم[1].

فاعتياد التأخر عن الصلاة – وهذا ما يفيده لفظ «**لا يزال**» – قد يكون سببًا لخذلان الله للمتأخر؛ فلا يكاد ينهض لطاعة إلَّا متأخرًا ومتثاقلًا ومتكاسلًا، كقوله ﷺ في المقبِل والمُعرِض: «**أما هذا فأقبل فأقبلَ الله عليه، وأما هذا فأعرض فأعرضَ الله عنه**»، رواه البخاري.

مواقيت الصَّلاة هي مواقيت قُرَّة العين، قال النبيُّ ﷺ: «**جُعلت قرَّة عيني في الصَّلاة**»، وهكذا أتباع النبيِّ ﷺ، الصلاة قُرة أعينهم بمناجاة ربهم، وذكره وعبوديَّته، وهي قُرَّة أعينهم في الآخرة بما ينالون من ثوابها، فالله يجازي بالإحسان إحسانًا، فمن أقام هذه الصلوات الخمس في مواقيتها جماعة، فإنَّ الله يكون قِبَلَ وجهه وهو يُصلِّي، رواه البخاري.

وهذا من الفضل الدنيوي، والثواب العاجل في الدنيا، وفي الآخرة قُرَّة العين تكون أعظم، فيرىٰ المؤمنون ربهم خصوصًا في مواقيت الصلاة،

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصُّفوف وإقامتها وفضل الأوَّل (ص ١٨٥ – رقم ٩٨٢).

فالعظيم الذي كان قِبَل وجهك في الدنيا يبرز لعباده المسلمين المصلين ليكرمهم بأعظم النعيم وهو رؤيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يوم القيامة في أوقات صلاتهم في الدنيا.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الأعمال البدنيَّة، فإنَّ لها في الدنيا مقصدين:

أحدهما: اشتغال الجوارح بالطَّاعة، وكدُّها بالعبادة.

والثاني: اتِّصال القلوب بالله، وتنويرها بذكره.

فالأوَّل قد رفع عن أهل الجنَّة؛ ولهذا روي أنَّهم إذا همُّوا بالسجود لله عند تجليه لهم يقال لهم: ارفعوا رءوسكم؛ فإنَّكم لستم في دار مجاهدة.

وأما المقصود الثاني فحاصل لأهل الجنَّة علىٰ أكمل الوجوه وأتمِّها، ولا نسبة لما حصل لقلوبهم في الدنيا من لطائف القرب والأنس والاتصال إلىٰ ما يشاهدونه في الآخرة عيانًا، فتنعم قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم بقرب الله ورؤيته، وسماع كلامه، **لا سيما في أوقات الصلوات في الدنيا**؛ كالجمع والأعياد، والمقرَّبون منهم يحصل ذلك لهم كل يوم مرتين بكرة وعشيًّا في وقت صلاة الصبح وصلاة العصر، ولهذا لما ذكر النبيُّ ﷺ أن

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠١).

أهل الجنة يرون ربهم حضَّ عقب ذلك علىٰ المحافظة علىٰ صلاة العصر وصلاة الفجر؛ لأنَّ وقت هاتين الصلاتين وقت لرؤية خواصِّ أهل الجنَّة ربهم وزيارتهم له، وكذلك نعيم الذكر وتلاوة القرآن لا ينقطع عنهم أبدًا، فيُلهمون التسبيح كما يُلهمون النَّفَس».

والصَّلوات الخمس عبادات مفروضة لأوقات محدَّدة، يجب أنْ تؤدىٰ فيها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «دلَّ ذلك علىٰ فرضيَّتها – الصَّلاة –، وأنَّ لها وقتًا لا تصحُّ إلَّا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقرَّرت عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيِّهم محمد ﷺ بقوله: «**صلوا كما رأيتموني أصلِّي**»».

وقد توارث المسلمون العلم بمواقيت الصَّلاة، قد يجهله آحادهم، إلا أنَّ مجموع الأمة عارفة بمواقيت صلواتها، مقيمة لها في الوقت الذي علَّمه النبيُّ ﷺ أمَّته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾، يعني: صلاة

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٤٨، ٣٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠).

الفجر، وقد ثبتت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ تواترًا من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات علىٰ ما عليه أهل الإسلام اليوم، مما تلقَّوه خلفًا عن سلف، وقَرْنًا بعد قرن».

وفي زماننا هذا خاض البعض في مواقيت الصلاة، وزعم أنَّ الناس يُصلُّون لغير الوقت، فأقام العلَّامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لجنةً درست هذا الموضوع، وانتهوا إلىٰ ما عليه العمل من مواقيت الصَّلاة، والحمد لله ربِّ العالمين.

وأداء الصَّلاة في أوقاتها هو أفضل الأعمال؛ ففي الصحيحين أنَّ عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلىٰ الله؟ قال: «**الصَّلاة علىٰ وقتها**»، قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**»، قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «دلَّ حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا علىٰ أنَّ أفضل الأعمال وأقربها إلىٰ الله وأحبَّها إليه الصلاة علىٰ مواقيتها المؤقَّتة لها».

وأداء الصلاة لوقتها هو من الفضل الواجب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

(١) فتح الباري (٤/ ٢٠٨).

صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ [المعارج: ٣٤]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: علىٰ مواقيتها[١].

وأداء الصَّلاة لأوَّل وقتها أفضل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، قال الحافظ ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «فوجبت المسابقة إليها وتعجيلها، وجوب ندب وفضل».

والتراخي عن أداء الصلاة في أول وقتها؛ قد يكون سببًا للتهاون في فعلها، وربما تكاسل المسلم أو انشغل بسبب توانيه وتفريطه.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «من بدر إلىٰ أداء فرضه في أوَّل وقته؛ كان قد سلم مما يلحق المتواني من العوارض، ولم تلحقه ملامة، وشُكر له بداره إلىٰ طاعة ربِّه».

وقال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «قد رأينا الناس فيما وجب عليهم، وفيما تطوَّعوا به، يؤمرون بتعجيله إذا أمكن، لِمَا يعرض للآدميين من الأشغال والنسيان والعلل، الذي لا تجهله العقول».

والتواني عن أداء الصلاة في أوَّل وقتها؛ تسويف قد يضر بالمتواني إلىٰ

(١) فتح الباري (٤/ ١٩٤).

(٢، ٣) فتح البَرِّ في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر (٤/ ٩٢).

(٤) الرسالة (ص ٢٨٩).

درجة تضييع الصلاة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الجد هو صدق العمل، وإخلاصه من شوائب الفتور، ووعود التسويف والتهاون، وهو تحت السين وسوف، ولعلَّ؛ فهي أضر شيء علىٰ العبد، وهي شجرة ثمرها الخسران والنَّدامات».

وعمل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معلوم في الحثِّ علىٰ أداء الصلاة في أول أوقاتها والمبادرة إليها.

قال أبو المَلِيح: كنَّا مع بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في يوم ذي غيم، فقال: بكِّروا بالصلاة؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر حَبطَ عمله**»، رواه البخاري[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «المراد بالتبكير المبادرة إلىٰ الصلاة في أول الوقت، وأصل التَّبكير فعل الشيء بكرة، والبكرة أول النهار، ثمَّ استُعمل في فعل الشيء في أول وقته».

وقال عديُّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤]: «ما أُقيمت الصَّلاةُ منذ أسلمت، إلا

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب التبكير بالصلاة في يوم غيم (ص ٩٨- رقم ٥٩٤).

(٣) فتح الباري (٢/ ٦٦).

(٤) تهذيب الكمال (٥/ ١٤٥).

وأنا علىٰ وضوء».

وقال عديٌّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «ما جاء وقْت صلاة قط إلَّا وقد أخذتُ لها أهبتها، وما جاءت إلَّا وأنا إليها بالأشواق».

والصَّلوات الخمس كلها مهمَّة؛ لذلك هي فرائض، وإقامتها جميعها في أوقاتها ضرورة ينبني بعضها علىٰ بعض.

والنصوص في ذكر بعض الصَّلوات بفضائلها لا يقتضي الخصوص، وإذا جمعت كل النصوص في فضائل الخمس وجدتها جميعًا عظيمة الفضل كثيرة الأجر، لا يجزئ بعضها إلا بإقامتها كلِّها.

وما من صلاة مفروضة إلا وقد حثَّ الله علىٰ إقامتها، وذكر ما في أدائها من الخير الكثير والفضل العظيم؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم النَّاس ما في النداء والصَّفِّ الأوَّل، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العَتَمَةِ والصُّبْح، لأتَوْهُمَا ولو حَبْوًا**».

فقوله ﷺ: «**ما في الصَّفِّ الأوَّل**»، هذا بيان لفضل المسابقة لأداء الصلوات الخمس كلها جماعة في الصف الأول، ثم أكَّد النبيُّ ﷺ الحث

(١) تهذيب الكمال (٥/ ١٤٥).

والأمر بأداء الصلوات الخمس المفروضة كلها جماعة، ورغَّب في المسابقة إلىٰ أدائها؛ فقال: «**لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه**»، وهذا تأكيد للعموم بعد الأمر به، وهذا غاية في الأمر بتعظيم أداء فرائض الصلوات الخمس جماعة في الصَّفِّ الأوَّل، ثم حثَّ النبي ﷺ علىٰ صلاتي الصبح والعشاء خاصة؛ حيث يتهاون في أدائهما جماعة بعض المسلمين.

فالتهجير في لسان الشرع التبكير للطاعات والمسابقة إليها، ولا يختص ذلك بوقت الظهر، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أراد به التبكير إلىٰ جميع الصلوات، وهو المضي إليها في أوَّل أوقاتها».

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد (١/ ٤٠٥).

خمس صلوات

إذا رأيت فرض الله للصلاة في خمسة أوقات، وعرفت أنَّ المقصود الأعظم من الصلاة إقامة ذكر الله؛ أدركت الحكمة من مواقيت الصَّلاة التي شرعها الله؛ فجرًا وظهرًا وعصرًا ومغربًا وعشاءً، وهي أن تكون ملازمًا لذكر الله في يومك وليلتك، ولا تكون من الغافلين.

وقد ذكر الله حكمة أمره بذكره في أول النَّهار وأوسطه وآخره؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وأمر الله باستيعاب جميع أوقات اليوم والليلة بذكره في قوله تعالىٰ: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الروم: ١٧، ١٨]. وسئل ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: هل تجد في القرآن الصَّلوات الخمس؟ فقال: نعم. وتلا هذه الآية.

فقوله: ﴿تُمۡسُونَ﴾ شمل صلاتي المغرب والعشاء، و﴿تُصۡبِحُونَ﴾ صلاة الصُّبح، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ صلاة العصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ صلاة الظهر.

ومن حكمة الله في فرض مواقيتها الخمس بحيث تستوعب أوقات الليل

والنهار: هو تزكية المصلِّين؛ بحيث تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، قال تعالىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وقد ذكر الله من حكمة أمره بإقامة الصَّلاة في مواقيتها الخمسة: أنَّها تُكفِّر ما بينها من الذُّنوب، فيكون العبد قد أتىٰ بالأسباب المزيلة لسخط الله وعقوبته؛ ففي «صحيح مسلم» أنَّ صحابيًّا أصاب ذنبًا، فأمره النبي ﷺ أن يتوضَّأ ويصلي ركعتين، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤]، فقال الصحابة للنبيِّ ﷺ: أله خاصَّةً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بل للناس كافة**».

أمر الله بإقامة الصلاة لمواقيتها، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[النساء: ١٠٣]، والمسلم من حين يصبح إلىٰ أنْ يمسي يقيم الصلاة لمواقيتها، فيكون من الذاكرين.

وأول صلاة النَّهار الفجْر.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ أول الصلوات هي الفجر، وهي ركعتان؛ لتنتقل النفس منها علىٰ التَّدريج إلىٰ ما هو أكثر».

---

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة (ص ٣٠٨).

وقال شيخ الإسلام[١]: «إنَّ أوَّل النَّهار طلوعُ الفجر؛ فصلاةُ ذلك الوقت تكون أول الصلوات، والإنسان حينئذٍ يكون كالميِّت؛ ولهذا كان النبي ﷺ إذا استيقظَ يقول: «**الحمد لله الذي أحيانَا بعدَما أماتَنا، وإليه النُّشُور**». فكان أوَّل الصلوات هي الفجر، وإذا كانت الفجر أولَها كانت العصر أوسطها».

وجعل الله للصَّلوات مواقيت معلومة محدَّدة، خمس مرات في اليوم والليلة، وهذا التوقيت إعلام من الله لعباده للاستعداد لها، والتخلي عن الشواغل، والتفرُّغ لأدائها.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من فقه المرء إقباله علىٰ حاجته، حتىٰ يقبل علىٰ صلاته وقلبه فارغ»[٢].

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «هذا الذي قاله أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [الشَّرح: ٨]، فأشار الله تعالىٰ إلىٰ أن الإنسان إذا فرغ؛ نصب للعبادة، حتىٰ

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة (ص ٣٠٩، ٣١٠).

(٢) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة (ص ١٠٩)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصله ابن المبارك في كتاب «الزهد»، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب «تعظيم قدر الصلاة» من طريقه»، فتح الباري (٢/ ١٥٩).

(٣) شرح صحيح البخاري (٢/ ٢٩٧).

يكون راغبًا إلىٰ الله تعالىٰ في عبادته».

ونبي الله سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شغلته الخيل عن صلاة العصر، فضرب أعناقها وسوقها بالسَّيف؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ص: ٣٠ - ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ذكر غير واحد من السَّلف والمفسِّرين أنَّه اشتغل بعرضها حتىٰ فات وقت صلاة العصر، والذي يُقطع به أنَّه لم يتركها عمدًا بل نسيانًا، كما شُغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتىٰ صلَّاها بعد الغروب».

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩]، قال عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «هي الصَّلاة المكتوبة».

وقد حذَّرنا النبيُّ ﷺ من الأسباب الشَّاغلة عن أداء الصلوات، فقال: «إن استطعتم ألَّا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٨٠).

(٢) الصلاة لابن القيِّم (ص ٤٢).

فافعلوا»، متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا**»؛ فيه إشارة إلىٰ قطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة؛ كالنوم والشُّغل، ومقاومة ذلك بالاستعداد له».

وقال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «اجتنب الحاجات عند حضور الصَّلوات».

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغنا أنَّ عطاء بن يسار كان إذا مَرَّ عليه بعض من يبيع في المسجد، دعاه فسأله: ما معك؟ وما تريد؟ فإذا أخبره أنه يُريد أن يبيع، قال: عليك بسوق الدُّنيا، وإنَّما هذا هو سوق الآخرة[٣].

والمقصود بمعرفة أوقات الصلاة؛ أن يعرف المسلم ما يجب عليه في خاصَّةِ نفسه من وجوب أدائها، والاستعداد لها، وما يجب عليه نحو المسلمين الذين يجب عليهم أن يأخذوا استعدادهم لأدائها؛ فلا يشغلهم عنها، ويراعي ما يريدونه من الخلوة بمناجاة الله، فلا يُشاغلهم بالحديث عن ذكر الله.

---

(١) فتح الباري (٢/ ٣٣).

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٢٤/ ٣٧٣).

(٣) الموطأ (١/ ٢٢٦- رقم ٥٨٠)، رواية أبي مصعب الزهري.

قال الأسود: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان النبيُّ ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة[١].

وكان السَّلف من الصَّحابة ومن بعدهم يعرفون أنَّ أوقات الصلاة أوقات مناجاة المصلِّي لله؛ فلا يُشاغلونه بالحديث والكلام وذكر الحاجات، بل يعرفون له حقه في رغبته مناجاة الله سبحانه.

قالت أمُّ المؤمنين حفصة بنت الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُصلِّي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر، وكانت ساعة لا أدخل علىٰ النبي ﷺ فيها. رواه البخاري ومسلم.

وقال ابن أبي رواد: رأيت طاوسًا وأَصحابه، إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة، ولم يُكلِّموا أحدًا، وابتهلوا في الدعاء[٢].

ورعاية حقِّ المصلين في مناجاة ربهم واجبٌ؛ ففي الصحيحين من حديث أبي جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم المار بين يدي المصلِّي ماذا عليه من الإثم؛ لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أنْ يمرَّ بين يديه**».

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصَّلاة فخرج (ص ١١٠- رقم ٦٧٦).

(٢) تهذيب الكمال (٣/ ٤٩٨).

قال الحافظ ابن الملقِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فيه النهي الأكيد والزجر الشديد عن المرور بين يدي المصلِّي، إذا لم يكن المصلي متعديًا؛ لما فيه من شغل قلبه عمَّا هو بصدده، والدخول بينه وبين ربِّه».

❁ ❁ ❁

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٣/ ٣٠٤).

صلاة الفجر

صلاة الفجر صلاة أول اليوم وابتداء النهار، يفتتح العبد نهاره بذكر الله وطاعته، فيصبح طيِّب النَّفس نشيطًا.

وكان النبيُّ ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر الرَّاتبة قبل الفريضة بسورتي الإخلاص، فهو عمل المسلم في وقته كلِّه، من أوَّل نهاره، وفي خاتمته في وتره؛ فيستيقظ علىٰ ذكر الله وتوحيده، ويمسي عليه، ويوافي ربَّهُ بِهِ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: سنة الفجر تجري مجرىٰ بداية العمل، والوتر خاتمته، ولذلك كان النبي ﷺ يصلي سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد».

وصلاة الفجر خصوصياتها وفضائلها عظيمة، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الفجر لها خصائص تتميَّز بها عن العصر، مثل كون القراءة فيها طويلةً، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨].

(١) زاد المعاد (ص ١١٣).

(٢) جامع المسائل، المجموعة السادسة (ص ٣٠٩، ٣١٠).

وفي السُّنن عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**تَشهدُه ملائكةُ الليل وملائكةُ النهار**»، وفي روايةٍ: «**يَشهدُه الله وملائكتُه**».

ومن خصائصها: أنَّها لا تُجمَع إلىٰ غيرِها.

ومن خصائصهما: أنَّه يجتمع فيهما ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهار، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، فيَعْرُج الذين باتوا فيكم، فيَسألُهم - وهو أعلمُ منهم -: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلُّون، وتركناهم وهم يُصلُّون**»».

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: ذُكر عند النبيِّ ﷺ رجلٌ، فقيل: ما زال نائمًا حتَّىٰ أصبح، ما قام إلىٰ الصَّلاة، فقال: «**بال الشَّيطان في أذنِهِ**»، رواه البخاريُّ.

وهذا الحديث يدل علىٰ أنَّ النوم عن الصلاة والتثاقل عن ذكر الله؛ من أسباب فساد الحسِّ.

وقال النبيُّ ﷺ في فضل سنة الفجر: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»، رواه مسلم.

قال الحافظُ ابن الملقِّن رَحِمَهُٱللَّهُ: «فضل ركعتي الفجر سيأتي في

البخاريِّ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لم يكن النبيُّ ﷺ في شيء من النَّوافل أشدَّ تعاهدًا منه عليهما.

وصحَّ من حديثها: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»، وفي لفظ: «**هما أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعًا**».

وفي لفظ: ما رأيته في شيء من النوافل أسرع منه إلىٰ الركعتين قبل الفجر، ويروىٰ: ولا إلىٰ غنيمة، رواه ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير، عنها.

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تدع ركعتي الفجر، ولو طردتكم الخيل».

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هما أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ»، وقال إبراهيم: «إذا صلَّىٰ ركعتي الفجر، ثم مات؛ أجزأه من صلاة الفجر».

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألت رسول الله ﷺ عن إدبار النجوم؛ قال: «**ركعتين بعد الفجر**»، قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وأدبار السُّجود ركعتين بعد المغرب»، وروي مثله عن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[1].

ولذكر الله بعد صلاة الفجر شأن عظيمٌ، يتزود المسلم فيه ليومه بذكر الله وطاعته، قال سِمَاك بن حَرْبٍ لجابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكنت تجالس

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ١٣٧، ١٣٨).

رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيرًا، كان لا يقوم من مصلَّاهُ الذي يُصَلِّي فيه الصُّبْحَ حتَّىٰ تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شأن المصلِّي**[٢]: «فإذا فرغ من صلاة الصبح؛ أقبل بكليته علىٰ ذكر الله، والتوجه إليه بالأذكار التي شُرعت أول النهار؛ فيجعلها وردًا له لا يخل بها أبدًا، ثم يزيد عليها ما شاءَ من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتىٰ تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاءَ ركع ركعتي الضحىٰ وزاد ما شاءَ، وإن شاءَ قام من غير ركوع، ثم يذهب متضرعًا إلىٰ ربه، سائلًا له أن يكون ضامنًا عليه متصرِّفًا في مرضاته بقية يومه؛ فلا ينقلب إلا في شيء يظهر له فيه مرضاة ربِّهِ».

ووقت الصبح في أوَّلِه وقت بركة، وقد عرف السَّلف فضل هذا الوقت، فكانوا يستغلونه بذكر الله وطاعته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ومن المكروه عندهم – السلف – النَّوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس؛ فإنه وقت غنيمة، وللسير ذلك الوقت عند

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلَّاه بعد الصبح (ص ٢٧٠- رقم ١٥٢٥).

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢١٤).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٦٩، ٣٧٠)، ط: دار الحديث، القاهرة.

السالكين مَزيَّةٌ عظيمة، حتىٰ لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتىٰ تطلع الشمس، فإنه أول النَّهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه علىٰ حكم تلك الحصَّة».

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله؛ كأنما علىٰ رؤوسهم الطيْر، مقبلين علىٰ أنفسهم، حتَّىٰ لو أنَّ حميمًا لأحدهم غاب عنه حينًا ثم قدم؛ ما التفت إليه، فلا يزالون كذلك حتىٰ يكون قريبًا من طلوع الشَّمس، ثم يقوم بعضهم إلىٰ بعض فيتحلقون، وأول ما يفيضون فيه أمر معادهم، وما هم صائرون إليه، ثم يتحلَّقون إلىٰ الفقه والقرآن».

وشهود الملائكة صلاة الفجر أعظم وأفضل من شهودها لصلاة العصر؛ فشهود الملائكة لصلاة الفجر جاء متَّصلًا بنزولِ الربِّ إلىٰ السماء الدنيا في ثُلث الليل الأخير.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، يشهده الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته؛ ملائكة الليل والنهار.

---

(١) إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذِّكر (ص ٩٥).

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢١٢، ٢١٣).

ففي هذا الحديث أن النزول يدوم إلىٰ صلاة الفجر، وعلىٰ هذا فيكون شهود الله سبحانه لقرآن الفجر مع شهود ملائكة الليل والنهار له، وهذه خاصة بصلاة الصُّبح ليست لغيرها من الصلوات، وهذا لا ينافي دوام النزول في سائر الأحاديث إلىٰ طلوع الفجر، ولا سيما وهو معلق في بعضها علىٰ انفجار الصبح، وهو اتساع ضوئه.

وفي لفظ: «حَتَّىٰ يَضِيءَ الْفَجْرُ»، وفي لفظ: «حَتَّىٰ يَسْطَعَ الْفَجْر»، وذلك هو وقت قراءَة الفجر، وهذا دليل علىٰ استحباب تقديمها، مع مواظبة النبيِّ ﷺ وخلفائه الراشدين علىٰ تقديمها في أول وقتها؛ فكان النبيُّ ﷺ يقرأُ فيها بالستين إلىٰ المائة، ويطيل ركوعها وسجودها، وينصرف منها والنساءُ لا يعرفن من الغلس، وهذا لا يكون إلَّا مع شدة التقديم في أوَّل الوقت؛ لتقع القراءة في وقت النزول، فيحصل الشهود المخصوص، مع أنَّه قد جاء في بعض الأحاديث مصرَّحًا به دوام ذلك إلىٰ الانصراف من صلاة الصبح؛ رواه الدارقطني في كتاب «نزول الرب تعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماءِ الدنيا» من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ينزل الله** عَزَّوَجَلَّ **إلىٰ سماءِ الدنيا لنصف الليل الآخر، أو الثلث الآخر يقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ يطلع الفجر أو**

ينصرف القارئ من صلاة الصبح»؛ رواه عن محمد جماعة، منهم: سليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، والدراوردي، وحفص بن غياث، ويزيد بن هارون، وعبد الوهاب بن عطاء، ومحمد بن جعفر، والنضر بن شميل؛ كلهم قال: «**أو ينصرف القارئ من صلاة الفجر**»».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في وظائف المسلم في يومه وليلته**[1]: «أمَّا الأبرار المقتصدون فقطعوا مراحل سفرهم بالاهتمام بإقامة أمر الله، وعقد القلب علىٰ ترك مخالفته ومعاصيه؛ فهِمَمُهم مصروفة إلىٰ القيام بالأعمال الصالحة واجتناب الأعمال القبيحة، فأول ما يستيقظ أحدهم من منامه يسبق إلىٰ قلبه القيام إلىٰ الوضوء والصلاة كما أمره الله، فإذا أدىٰ فرض وقته؛ اشتغل بالتلاوة والأذكار إلىٰ حين تطلع الشمس فيركع الضحىٰ، ثم ذهب إلىٰ ما أقامه الله فيه من الأسباب، فإذا حضر فرض الظهر؛ بادر إلىٰ التطهر والسعي إلىٰ الصف الأول من المسجد، فأدىٰ فريضته كما أُمر مكملًا لها بشرائطها وأركانها وسننها، وحقائقها الباطنة من الخشوع والمراقبة، والحضور بين يدي الرب؛ فينصرف من الصلاة وقد أثرت في قلبه وبدنه وسائر أحواله آثارًا تبدو علىٰ صفحاته ولسانه وجوارحه، ويجد ثمرتها في قلبه من الإنابة إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، وقلة

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٢٠٣-٢٠٥).

التكالب والحرص علىٰ الدنيا وعاجلها، قد نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر، وحببت إليه لقاء الله، ونفرته من كل قاطع يقطعه عن الله؛ فهو مغموم مهموم كأنَّه في سجن حتىٰ تحضر الصلاة؛ فإذا حضرت قام إلىٰ نعيمه وسروره، وقرة عينه وحياة قلبه؛ فهو لا تطيب له الحياة إلا بالصَّلاة.

هذا وَهُم في ذلك كلِّه مراعون لحفظ السنن، لا يُخِلُّون منها بشيء ما أمكنهم؛ فيقصدون من الوضوء أكمله، ومن الوقت أوله، ومن الصفوف أولها عن يمين الإمام أو خلف ظهره، ويأتون بعد الفريضة بالأذكار المشروعة؛ كالاستغفار ثلاثًا.

وقول: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**».

وقول: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**».

ثم يُسبِّحون ويحمدون ويكبِّرون تسعًا وتسعين، ويختمون المائة بـ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير.

ومن أراد المزيد قرأ آية الكرسي والمعوذتين عقيب كل صلاة؛ فإنَّ فيها أحاديث رواها النسائي وغيره، ثم يركعون السنَّة علىٰ أحسن الوجوه، هذا

دأبهم في كل فريضة.

فإذا كان قبل غروب الشمس توافروا علىٰ أذكار المساء الواردة في السُّنَّة نظير أذكار الصباح الواردة في أول النهار، لا يخلون بها أبدًا.

فإذا جاء الليل؛ كانوا فيه علىٰ منازلهم من مواهب الرب سبحانه التي قسمها بين عباده، فإذا أخذوا مضاجعهم؛ أتوا بأذكار النوم الواردة في السُّنَّة، وهي كثيرة تبلغ نحوًا من أربعين؛ فيأتون منها بما علموه وما يقدرون عليه من قراءة سورة الإخلاص والمعوِّذتين ثلاثًا، ثم يمسحون بها رؤوسهم ووجوههم وأجسادهم ثلاثًا، ويقرءون آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، ويسبحون ثلاثًا وثلاثين، ويحمدون ثلاثًا وثلاثين، ويكبرون أربعًا وثلاثين، ثم يقول أحدهم: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**»، وإن شاء قال: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»، وإن شاء قال: «**اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربي ورب كل شيء، فالق الحب والنوىٰ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر**

فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر».

وبالجملة فلا يزال يذكر الله علىٰ فراشه حتىٰ يغلبه النوم وهو يذكر الله؛ فهذا منامه عبادة، وزيادة له في قربه من الله.

فإذا استيقظ عاد إلىٰ عادته الأولىٰ، ومع هذا فهو قائم بحقوق العباد من عيادة المرضىٰ، وتشييع الجنائز، وإجابة الدعوة، والمعاونة لهم بالجاه والبدن والنفس والمال، وزيارتهم وتفقدهم، وقائم بحقوق أهله وعياله؛ فهو متنقل في منازل العبودية كيف نقله فيها الأمر، فإذا وقع منه تفريط في حق من حقوق الله؛ بادر إلىٰ الاعتذار والتوبة والاستغفار، ومحوه ومداواته بعمل صالح يزيل أثره؛ فهذا وظيفته دائمًا».

❁ ❁ ❁

صلاة الظهر

صلاة الظهر من أعظم الفرائض، عظيمة في وقتها حيث تكون بعد زوال الشمس، وهذا وقت عظيم لاستغفار الله والأوبة إليه من نار جهنَّم بالصَّلاة، فانتصاف الشمس في كبد السماء وقتٌ تُسجَّر فيه جهنَّم، ووقت نهي عن الصلاة.

ولا توجد فريضة اختُصَّت بأنَّ لها راتبة قبليَّة وبعدية إلَّا صلاة الظهر؛ أربع ركعات قبلية، ركعتان ركعتان، ثم الصلاة المفروضة أربع ركعات تامَّة متَّصلة، ثم ركعتان بعد الظهر راتبة، ثمَّ إذا صلىٰ المسلم ركعتين بعدها نافلة غير راتبة فقد أتىٰ بأسباب النجاة من النَّار.

عن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: قال رسول الله ﷺ: «**من حافظ علىٰ أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها؛ حرَّمه الله علىٰ النار**»، رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وبعد الزوال، وزوال وقت النهي عن الصلاة، فإنَّ هذه الساعة تُفتح لها أبواب السماء، فالعمل الصالح في هذه الساعة أرجىٰ في القبول والرحمة من الله؛ عن عبد الله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يُصلِّي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إنها ساعة تُفتح فيها أبواب

السَّماء، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لي فيها عمل صالح»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وهذه الأربع ركعتان ركعتان وِرد مُسْتقلٌّ غير الأربع الراتبة في قول بعض العلماء.

وأوقات الصلوات المفروضة هي أفضل الأوقات لطاعة الله وذكره وعبوديته ودعائه، قال العلَّامة أبو عبد الله محمَّد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فضَّل الله ساعات الصَّلوات علىٰ سائر الساعات، اختارها ليناجيه عباده فيها لصلاتهم».

فصلاة الظهر ونوافلها أمرها عظيم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا فضيلة هذا الوقت والعبودية فيه بالصلاة[2]: «إنَّ سائر الصلوات سنتُها ركعتان ركعتان، والفجر مع كونها ركعتين، والناس في وقتها أفرغ ما يكونون، ومع هذا سنَّتُها ركعتان، وعلىٰ هذا، فتكون هذه الأربعُ التي قبل الظهر وِردًا مُستقِلًّا سببه انتصافُ النهار وزوالُ الشمس.

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُصلِّي بعد الزوال ثمان ركعات،

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ٢٢٦).

(٢) زاد المعاد (ص ٩٨).

ويقول: «إنَّهن يعْدِلْنَ بمثلهن من قيام الليل». وسِرُّ هذا- والله أعلم - أنَّ انتصافَ النهار مقابل لانتصاف الليل، وأبواب السماء تُفتح بعد زوال الشمس، ويحصل النزول الإلهي بعد انتصاف الليل، فهما وقتا قرب ورحمة، هذا تُفتح فيه أبوابُ السماء، وهذا ينزل فيه الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ سماء الدنيا».

وكلَّما قربت الصلاة من انتصاف الشمس في كبد السماء – وقت تسجير جهنم –؛ كان أداؤها أفضل؛ لأنَّه بعبودية الله وطاعته والصلاة له يُتقىٰ سخطه، وهذا معنًىٰ معلوم كما أمر النبيُّ ﷺ أن يُصلىٰ لله إذا كُسفت الشمس.

وفي «صحيح مسلم» من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الأوَّابين حين تَرْمَضُ الفِصَالُ**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله: «**تَرْمَضُ الفِصَالُ**»؛ أي: يشتد حر النهار، فتجد الفِصال حرارة الرمضاء».

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد (١١١).

صلاة العصر

صلاة العصر عظَّم الله شأنها علىٰ وجه الخصوص من بين سائر الصَّلوات، فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وهي إحدىٰ الصلاتين اللتين قال فيهما النبيُّ ﷺ: «**من صلىٰ البردين دخل الجنَّة**»، وهي صلاة تحضرها الملائكة، ويرفعون إلىٰ ربهم أعمال العباد، فيقولون له في حال عباده المصلين: «**أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يُصلون**»، وصلاة العصر هي آخر عمل النهار؛ لذلك من ضيَّعها فقد ضيَّع عمل نهار ذلك اليوم، قال النبيُّ ﷺ: «**من نام عن صلاة العصر فقد حبط عمله**»، رواه البخاري.

ووقت صلاة العصر وقت ذكر، فرضه الله ليكون هذا قوت المسلم إلىٰ غروب الشمس؛ لأنه لا صلاة بعد العصر حتىٰ تغرب الشمس، فمن لم يُصلِّ العصر كان من الغافلين، قال النبي ﷺ: «**من نام عن صلاة العصر، فكأنَّما وُتر أهله وماله**»، رواه البخاري.

وصلاة العصر هي ﴿ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ باعتبار وقتها، وهي الفضلىٰ باعتبار معناها.

قال عبد الرحمن بن نافع: إنَّ أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ سُئل عن الصلاة

الوسطىٰ وهو شاهد، فقال للذي سأله: أنت تقرأ القرآن؟ قال: بلىٰ. فقال: إنِّي سأقرأ عليك بها القرآن حتىٰ تفهمها، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، قال: هي الظهر. ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، قال: المغرب. قال: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨]، قال: العتمة. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[الإسراء: ٧٨]، قال: الغداة. قال: و﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: هي العصر، رواه مسدد[1].

وفي جواب أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيان ما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من المنهج في الفتوىٰ، جمع نصوص المسألة الواحدة؛ لئلا يكون الجواب خاطئًا بسبب اجتزاء النصوص.

وكان من فقه الصحابة إذا سُئلوا عن تعيين الصلاة الوسطىٰ أجابوا بالحث علىٰ الصلوات المفروضة كلها، وهذا من تمام فقههم ونصيحتهم في الجواب، فالأمر ليس في التعيين؛ فإنَّ الله عظَّم كل الصلوات وأمر بالمحافظة عليها، فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (١/ ٤٤١- رقم ٨١٦).

قال هشام بن سعد: كنَّا عند نافع مولىٰ ابن عمر، ومعنا رجاء بن حيوة، فقال لنا رجاء: سلوا نافعًا عن الصلاة الوُسْطىٰ، فسألْنَاه، فقال: قد سأل عنها عبدَ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجل، فقال: هي فيهن، فحافظوا عليهن كلِّهنَّ[1].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «يأمر – الله – بالمحافظة علىٰ الصلوات عمومًا وعلىٰ الصلاة الوسطىٰ، وهي العصر خصوصًا، والمحافظة عليها أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة علىٰ الصلوات تحصل المحافظة علىٰ سائر العبادات، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر خصوصًا إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾، أي: ذليلين خاشعين».

❁ ❁ ❁

(١) جامع عبد الله بن وهب (١/ ١٠٦- رقم ٢٤١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص ٩٧).

صلاة المغرب

صلاة المغرب أهمِّيتها عظيمة، في وقت غروب الشمس، يقيم الموحدون عبوديتهم لله، فله يُصلون ويركعون ويسجدون، في حين يُصلِّي ويركع ويسجد المشركون للشَّمس.

والنبي ﷺ من حين ما تغرب الشمس ويدخل وقت المغرب يُصليها مبادرًا إلىٰ إقامتها من غير تراخٍ ولا توانٍ ولا تهاون.

وجاءت فريضة المغرب بعد إجمام النفس وراحتها، فقد نهىٰ النبي ﷺ عن الصلاة بعد العصر حتىٰ تغرب الشمس، متَّفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالمسلم يُقبل علىٰ صلاته نشيطًا، إقبال من يريد مناجاة ربِّه، وحياة قلبه بذكر ربه.

وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في اليومين اللذين صلىٰ فيهما بالنبيِّ ﷺ، صلىٰ كل الفروض في اليوم الأول في أول الوقت، وفي اليوم التالي في آخر الوقت، إلَّا المغرب صلاها في اليومين في وقت واحد حين غربت الشمس.

وفي الصحيحين من حديث رافع بن خديج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** «كنَّا نُصَلِّي

المَغْرِبَ مع رسول الله ﷺ، فينصرفُ أَحَدُنَا وإنَّه لَيُبْصِرُ مواقع نبله».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «معناه أنَّه يُبكِّر بها في أول وقتها بمجرد غروب الشمس حتىٰ ننصرف، ويرمي أحدنا النبل عن قوسه ويبصر موقعه لبقاء الضوء.

وفي هذين الحديثين أنَّ المغرب تُعجل عقب غروب الشمس، وهذا مجمع عليه، وقد حُكي عن الشيعة فيه شيء لا التفات إليه ولا أصل له».

وقال الحافظ النووي أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هذا الحديث إخبار عن عادة رسول الله ﷺ المتكرِّرة التي واظب عليها، إلَّا لعذر، فالاعتماد عليها، والله أعلم».

علىٰ كل حال: وقت المغرب من غروب الشمس إلىٰ ذهاب الشفق الأحمر، لكن جرت عادة النبي ﷺ المبادرة بأدائها من حين غروب الشمس؛ لأنَّها وتر النَّهار، فلها شأن آخر يختلف عن سائر الصلوات؛ لذلك السنَّة المبادرة في أدائها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ويُكرَه تأخيرُها - المغرب -

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (ص ٤٥٧).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (ص ٤٥٧).

(٣) جامع المسائل المجموعة السادسة (ص ٢٨٩).

عن أوَّلِ وقتِها من غيرِ عُذْرٍ، بخلافِ غيرِها من الصلوات. وقد روىٰ الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «**المغربُ وِتْرُ النهار، فأوتروا صلاةَ الليل**». فإذا كانت وِتْرَ صلاة النهار كان تعجيلُها مع عمل النهار هو السنَّة».

❁ ❁ ❁

صلاة الْعِشاء

بصلاة العشاء يختتم المصلِّي يومه بطاعة، وبما هو سبب لتكفير ذنوب اليوم، وهذا من معاني نهي النبيِّ ﷺ عن السَّمر بعد العشاء.

ففي الصحيحين من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «كان رسول الله ﷺ يؤخِّرُ العشاء، ويكره النَّوْم قبلها والحديث بعدها».

قال العلَّامة أبو العبَّاس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وأمَّا كراهة الحديث بعدها؛ فلما يؤدِّي إليه من السَّهَر، ومخافة غَلَبة النوم آخر الليل، فينام عن قيام آخر الليل، وربما ينام عن صلاة الصبح.

قلت: ويظهر لي: أنَّ كراهة ذلك إنَّما هو لَمَّا أنَّ الله جعل الليل سكنًا - أي: يُسْكن فيه -، فإذا تحدَّثَ الإنسان فيه فقد جعله كالنَّهار الذي هو مُتَصَرَّف المعايش، فكأنه قصد إلىٰ مخالفة حكمة الله تعالىٰ التي أجرىٰ عليها وجوده، وقيل: يُكره ذلك؛ لئلَّا نلغو في كلامنا، أو نخطئ فيه، فيُخْتَم عملنا بعمل سيِّئ، أو بقول سيِّئ».

وفي نهي النبي ﷺ عن النوم قبل صلاة العشاء حثٌّ علىٰ الاستعداد لها وأخذ أسباب أدائها في وقتها؛ خشية التفريط فيها بالنوم أو التكاسل أو

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٢٧١).

التشاغل عنها بغير ذلك من الأسباب.

ومن عظيم فضل صلاة العشاء في جماعة قوله ﷺ: «من صلَّىٰ العشاء في جماعة فكأنَّما قام نصف اللَّيل»، رواه مسلم من حديث عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن عظيم الحثِّ علىٰ أداء صلاة العشاء في جماعة، والتحذير من التثاقل عنها؛ قوله ﷺ: «**أثقل صلاة علىٰ المنافقين العشاء والفجر**»، متَّفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما في فضل صلاة العشاء جماعة والخير والثواب أعظم مما يتخلَّف عنه من آثر الكسل والراحة أو الشواغل، قال النبي ﷺ عن صلاتي الفجر والعشاء: «**لو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله: «**لو يعلمون ما فيهما**»، أي: من مزيد الفضل، «**لأتوهما**»، أي: الصلاتين، والمراد: لأتوا إلىٰ المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد.

قوله: «**ولو حبوًا**»، أي: يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير، ولابن أبي شيبة من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ولو حبوًا علىٰ المرافق والركب**»».

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٤١).

صفة الصلاة

صفة الصلاة بيانها جاء في أعلىٰ وأرفع أنواع التعليم، صلَّىٰ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالنبي ﷺ يومين تامَّين، كل صلاة في أوَّل وقتها، وفي اليوم التَّالي في آخر مواقيتها؛ فأخذ النبيُّ ﷺ صفة الصَّلاة، وصلَّىٰ النبيُّ ﷺ بالصَّحابة، فتعلموا منه صفتها بالسُّنَّة الفعليَّة، مع ما كان في سنَّته القوليَّة من تمام التعليم والبيان؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي**»؛ رواه البخاري من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد أمرنا الله في القرآن بإقامة الصَّلاة، فقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وبيان ذلك مفصَّلًا مرجعه إلىٰ سنَّة النبيِّ ﷺ؛ فهو المُبلِّغ عن الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ قد فرض الرُّكوع والسُّجود له في كتابه، كما فرض أصل الصلاة؛ فالنبيُّ ﷺ هو المبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، وسنته تُفسِّر الكتاب وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه.

وفعله إذا خرج امتثالًا لأمر، أو تفسيرًا لمجمل؛ كان حكمه حكم ما امتثله وفسَّره.

---

(١) القواعد النورانية الفقهية (١/ ١٧٧، ١٧٨).

وهذا كما أنه ﷺ لما كان يأتي في كل ركعة بركوع واحد وسجودين؛ كان كلاهما واجبًا، وكان هذا امتثالًا منه لما أمَر الله به من الركوع والسجود، وتَفْسيرًا لما أجمل ذكره في القرآن، وكذلك المرجع إلىٰ سُنَّتِهِ في كيفية السجود».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نقلوا صلاة النبي ﷺ تامَّة مفصَّلة، من التكبير إلىٰ التسليم، ونقلوا هيئاتها وأذكارها، وما أسرَّ فيها النبيُّ ﷺ وما أعلن من أقوالها.

عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قرأ النبيُّ ﷺ فيما أُمر، وسكت فيما أُمر، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. رواه البخاريُّ.

قال العلَّامة أبو سليمان حَمْدُ بن محمَّد الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «معنىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾، وتمثُّله به في هذا الموضع: هو أنه لو شاء أن يُنْزِل ذِكْر بيان أفعال الصَّلاة وأقوالها وهيئاتها حتىٰ يكون قرآنًا متلوًّا؛ لفَعَل، ولم يترك ذلك عن نِسْيان، لكنَّه وَكَلَ الأمر في بيان ذلك إلىٰ رسوله ﷺ، ثم أمر بالاقتداء به والائتساء بفعله، وذلك معنىٰ قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

(١) أعلام الحديث (١/ ٥٠٢، ٥٠٣).

وهذا في نوع ما أُنزل من القرآن مجملًا؛ كالصَّلوات التي أجمل ذكر فَرْضها، ولم يُبَيِّن عدد ركعاتها، وكيفية هيئاتها، وما تُجهر القراءة فيه مما تُخافت؛ فتولَّىٰ النبيُّ ﷺ بيان ذلك؛ فاستند بيانه إلىٰ أصل الفَرْض الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ، ولم تختلف الأُمَّة في أنَّ أفعال رسول الله ﷺ التي هي بيان مجمل الكتاب؛ واجبة».

وصفة الصلاة تفصيلها وبيانها من تكبيرة الافتتاح إلىٰ التسليم؛ قد يسَّر الله شرحه في «شرح عمدة الأحكام الكبرىٰ»، وحسبي هنا أن أذكر حديثًا واحدًا فيه بيان ذلك.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: «كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع؛ لم يسجد حتىٰ يستوي قائمًا، وكان إذا رفع رأسه من السجدة؛ لم يسجد حتىٰ يستوي قاعدًا، وكان يقول في كل ركعتين التحية، وكان يفرش رجله اليسرىٰ وينصب رجله اليمنىٰ، وكان ينهىٰ عن عقبة الشيطان، وينهىٰ أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم»، متفق عليه.

❁ ❁ ❁

هيئات الصلاة وأذكارها

الصلاة عبودية القلب والجوارح كلها؛ فالتكبير تعظيم لله، وهو أول ما يفتتح به المصلِّي صلاته، وبقية هيئات وأذكار الصلاة تفصيل وتحقيق لمعنىٰ «الله أكبر».

والمُصلِّي قيامه قنوت طاعة، وتلاوة قرآن، وحمد وثناء وتعظيم لله، وركوعه وسجوده خضوع لله وتعظيم له، وجلوسه استكانة لله؛ والاستكانة تأتي بعد ركن القيام؛ حيث ألانت تلاوة القرآن قسوة القلب، فخضع المُصلِّي لله راكعًا وساجدًا، فختم صلاته بالجلوس مستكينًا لله بعد خضوع القلب قبل الجوارح لله، فسبحان من سجدت لعظمته القلوب والوجوه، وخضعت لعزَّته الرقاب؛ فلا إله إلا الله العزيز الحكيم، الذي أعز خلقه في عبوديتهم له.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصَّلاة مؤلفة من أقوال وأعمال، وأفضل أقوالها القراءة، وأفضل أعمالها السُّجود، والقراءة أول أقوالها المقصودة، وما بعده تبعٌ له».

---

(١) شرح حديث جبريل (ص ٥٤٣).

فأول مقامات المُصلِّي في صلاته قيامه لله بين يدي الله، فيُقبل بقلبه ووجهه وجوارحه إلىٰ الله تعالىٰ، فيتوجه إلىٰ الله مطيعًا له في أداء الصَّلاة؛ ولذلك يستفتح المصلِّي صلاته بعد أن يُحرم بها بقوله: «**وجهت وجهي للذي فطر السَّموات والأرض، حنيفًا وما أنا من المشركين**».

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «السَّعْيُ بالقلوب والإرادة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إخلاص الإرادة[٢]: «هي أساس العمل»، وقال[٣]: «إنَّ الدين والإيمان قول وعمل، وأوَّله قول القلب وعمله، فمن لم ينقد بقلبه ولم يَذِلَّ لله لم يكن مؤمنًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، وتوجيه الوجه كقول الخليل: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، وكذلك كان النبيُّ ﷺ يقول في

(١) جامع عبد الله بن وهب (١/ ٨٧- رقم ١٩٦)، بإسناد صحيح.

(٢، ٣) الاستقامة (ص ١٢٣).

(٤) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٣٠٤، ٣٠٥).

دعاء الاستفتاح في صلاته: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين**». وفي الصَّحيحين عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ممَّا يقول إذا أوىٰ إلىٰ فراشه: «**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك**»، فالوجه يتناول المتوجِّه والمتوجَّه إليه، ويتناول التوجُّه نفسه؛ كما يُقال: أيُّ وجه تريد؟ أي: أيُّ وجهة وناحية تقصد؟ وذلك أنَّهما متلازمان؛ فحيث توجه الإنسان توجه وجهه، ووجهه مستلزم لتوجهه، وهذا في باطنه وظاهره جميعًا؛ فهذه أربعة أمور.

والباطن هو الأصل، والظاهر هو الكمال والشعار، فإذا توجه قلبه إلىٰ شيء تبعه وجهه الظاهر، فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلىٰ الله؛ فهذا صلاح إرادته وقصده، فإذا كان مع ذلك محسنًا؛ فقد اجتمع له أن يكون عمله صالحًا وأن يكون لله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]، وهو قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا».

والعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، وهو ما أمر الله به، والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

ومقام المسلم في صلاته كله قنوت وخضوع لله تعالىٰ، وهذا ما أَمرنا الله بتحقيقه في عبادتنا وصلاتنا له، قال تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وسُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**»، رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المراد بالقنوت: كثرة الخضوع والخشوع؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزُّمَر: ٩]، فسمَّاه قانتًا في حال سجوده وقيامه.

وقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، والخشوع: الخضوع؛ وهو القنوت، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٦]؛ أي: خاضعون خاشعون لعظمته وكبريائه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله تعالىٰ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]؛ أمر بالقنوت في القيام لله، والقنوت: دوام الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان في حال الانتصاب أو في حال السجود، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا

(١) الأحكام الكبير (٢/ ٢٧٣).

(٢) القواعد النورانية الفقهية (١/ ١٥٢، ١٥٣).

يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣١]، وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٦].

فإذا كان ذلك كذلك؛ فقوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] إما أن يكون أمرًا بإقامة الصلاة مطلقًا؛ كما في قوله: ﴿۞ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]؛ فيعم أفعالها، ويقتضي الدوام في أفعالها؛ وإما أن يكون المراد به: القيام المخالف للقعود؛ فهذا يعم ما قبل الركوع وما بعده، ويقتضي الطول، وهو القنوت المتضمن للدعاء».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «القنوت يُطلق علىٰ معنيين؛ معنًىٰ عام وخاص؛ «المعنىٰ الخاص» هو: قنوت العبادة، والطاعة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣]. و«المعنىٰ العام» هو: قنوت الذل العام، وهذا شامل لكل من في السموات والأرض؛ كما في هذه الآية: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ

(١) تفسير سورة البقرة (٢/ ١٩، ٢٠).

قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ [الروم: ٢٦]؛ حتىٰ الكفار بهذا المعنىٰ قانتون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يخرجون عن حكمه الكوني».

وهيئات الصلاة وأذكارها جمعت العبودية لله، وتوحيده، والتوكُّل عليه، وشكره وحمده، والاستغفار له.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «توحيده، والتوكل عليه وحده، والشكر له وحده، والاستغفار من الذنوب، وهذه الأمور كان النبي ﷺ يجمعها في الصلاة؛ كما ثبت عنه في «الصحيح»: أنه ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**ربنا ولك الحمد، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد**»؛ فهذا حمد، وهو شكر لله تعالىٰ، وبيان أنَّ حمده أحقُّ ما قاله العبد. ثم يقول بعد ذلك: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»؛ وهذا تحقيق لوحدانيته: لتوحيد الربوبية خلقًا وقدرًا وبداية وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لما منع.

ولتوحيد الإلهية - شرعًا وأمرًا ونهيًا -، وهو أنَّ العباد وإن كانوا يُعطون

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ١٠٦٣، ١٠٦٤) باختصار.

ملكًا وعظمة وبختًا ورياسة في الظاهر أو في الباطن كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة «**فلا ينفع ذا الجد منك الجد**»؛ أي: لا ينجيه ولا يخلصه من سؤالك وحسابك حظه وعظمته وغناه، ولهذا قال: «**لا ينفعه منك**»، ولم يقل: (لا ينفعه عندك)؛ فإنه لو قيل ذلك؛ أوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره، فيقول صاحب الجد: إذا سلمت من العذاب في الآخرة فما أبالي؛ كالذين أوتوا النبوة والملك لهم ملك في الدنيا وهم من السعداء في الآخرة، فقد يظن ذو الجد - الذي لم يعمل بطاعة الله من بعده - أنه كذلك. فقال: «**ولا ينفع ذا الجد منك**»، ضَمَّن «ينفع» معنىٰ «ينجي ويخلص»؛ فبيَّن أن جدَّه لا ينجيه من العذاب؛ بل يستحق بذنوبه ما يستحقه أمثاله، ولا ينفعه جده منك؛ فلا ينجيه ولا يخلصه، فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد وتحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزَّمل: ٨، ٩]. فقوله: «**لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**»، توحيد الربوبية الذي يقتضي: أنه سبحانه: هو الذي يُسأل ويُدعىٰ ويتوكل عليه، وهو سبب لتوحيد الإلهية ودليل عليه».

وقال العلامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا عمل بعد توحيد

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ١٨٤).

الله أفضل من الصلاة لله؛ لأنه افتتحها بالتوحيد والتعظيم لله بالتكبير، ثم الثناء علىٰ الله، وهي قراءة فاتحة الكتاب، وهي حمد لله وثناء عليه، وتمجيد له ودعاء، وكذلك التسبيح في الركوع والسجود والتكبيرات عند كل خفض ورفع، كل ذلك توحيد لله وتعظيم له، وختمها بالشهادة له بالتوحيد، ولرسوله بالرسالة، وركوعها وسجودها خضوعًا له وتواضعًا، ورفع اليدين عند الافتتاح والركوع، ورفع الرأس تعظيمًا لله وإجلالًا له، ووضع اليمين علىٰ الشمال بالانتصاب لله تذللًا له، وإذعانًا بالعبوديَّة».

وواجب المسلم في صلاته أن يُقبل إلىٰ الله بكليته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل: ٨].

قال العلامة الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨١٧ هـ)**[1]: «التَّبَتُّل» يجمع أَمرين: اتِّصالًا وانفصالًا، لا يصحّ إِلَّا بهما.

فالانفصال انقطاع قلبه عن حظوظ النَّفس المزاحِمة لمراد الربِّ منه، وعن التفات قلبه إِلىٰ ما سوىٰ الله خوفًا منه، أَو رغبةً فيه، أَو مبالاةً وفِكرًا فيه، بحيث يشتغل قلبهُ عن غير الله تعالىٰ. والاتِّصال لا يصحُّ إِلَّا بعد هذا الانفصال؛ وهو اتِّصال القلبِ باللهِ، وإِقبالُه عليه، وإِقامة وجهه له حُبًّا وخوفًا ورجاءً وإِنابةً وتوكلًا.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤).

وهذا إِنَّما يحصل بحَسْم مادة رجاء المخلوقين من قلبك، وهو الرِّضا بحكم الله وقَسْمه لك، وبِحَسْم مادة الخوف وهو التسليم لله؛ فإِنَّ مَنْ سلَّم لله واستسلم له؛ علم أَنَّ ما أَصابه لم يكن ليُخطئه، فلا يبقىٰ للمخلوقين في قلبه موقع؛ فإِنَّ نفسه الَّتي يَخاف عليها قد سلَّمها إِلىٰ مولاها وأَودعها عنده، وجعلها تحت كَنَفه، حيث لا يناله يَدُ عادٍ ولا بغيُ باغٍ، وبحَسْم مادَّة المبالاة بالنَّاس.

وهذا إِنَّما يحصل بشهود الحقيقة، وهو رؤية الأَشياءِ كلِّها من الله، وبالله، وفي قبضته، وتحت قهر سلطانه، لا يتحرَّك منها شيء إِلَّا بحَوْله وقوَّته، ولا ينفع ولا يضرُّ إِلَّا بإِذنه ومشيئته، فما وجه المبالاة بالخلق بعد هذا الشهود».

ولعظم أمر الإقبال علىٰ الله في الصَّلاة، ولشأن مناجاته فيها؛ فهي الصلاة حقًّا؛ أمر النبيُّ ﷺ بمدافعة وقتال من يحول بين المصلِّي وبين مناجاة ربِّه أو يشوِّش عليه؛ ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا صلىٰ أحدكم إلىٰ شيء يستره من النَّاس، فأراد أحدٌ أن يَجْتَاز بين يديه؛ فليدفعه، فإن أبىٰ فليقاتله؛ إنَّما هو شيطان**».

قال الحافظ ابن الملِّقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه التنبيه علىٰ عظم رتبة الصلاة،

ومناجاة الرَّبِّ تعالىٰ، واحترام المصلِّي، وعدم تعاطي أسباب تهويش قلبه وشغله عما هو بصدده؛ فإنَّها حالة عظيمة، ومقام كريم خاص بالله تعالىٰ»[١].

والصلاة أولها القراءة، ولا تصح صَلاة بغير قراءة فاتحة الكتاب، والتسليم تحليلها، وهو جزء منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال الله تعالىٰ: في أم القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]، وهذه السورة هي أمُّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات، لا صلاة إلَّا بها، وهي الكافية؛ تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها عنها. والصلاة أفضل الأعمال، وهي مؤلفة من كلم طيب وعمل صالح؛ أفضل كلمها الطيب وأوجبه: أم القرآن، وأفضل عملها الصالح وأوجبه: السجود؛ كما جمع بين الأمرين في أول سورة أنزلها علىٰ رسوله؛ حيث افتتحها بقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، وختمها بقوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق: ١٩]؛ فوُضعت الصلاة علىٰ ذلك: أولها القراءة، وآخرها السجود؛ ولهذا قال سبحانه في صلاة الخوف: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾

---

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٣/ ٣١٣).

(٢) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٩٦، ٤٩٧).

[النساء: ١٠٢]، والمراد بالسجود الركعة التي يفعلونها وحدهم بعد مفارقتهم للإمام، وما قبل القراءة من تكبير واستفتاح واستعاذة؛ هي تحريم للصلاة، ومقدمة لما بعده؛ أول ما يبتدئ به كالتقدمة، وما يُفعل بعد السجود من قعود، وتشهد فيه، والتحية لله والسلام علىٰ عباده الصالحين والدعاء، والسلام علىٰ الحاضرين؛ فهو تحليل للصلاة ومعقبة لما قبله، قال النبي ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم**»».

وقراءة الفاتحة فيها الحمد لله، وتوحيده، ودعاؤه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أم القرآن: فأولها التحميد، وأوسطها التوحيد، وآخرها دعاء؛ كما في قوله: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥]».

أول مقامات الصلاة التألُّه لله بطاعته بأداء هذا الرُّكن، والقيام بأداء شروطها، وأولها الطهارة لها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[المائدة: ٦]، وأول ما يكون من هيئات المسلم إذا قام يصلِّي؛ إقباله بقلبه ووجهه إلىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ١٠٨٨).

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾[الروم: ٣٠، ٣١].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يأمرُ تعالىٰ بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه، فقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ أي: انصبه ووجِّهْه ﴿لِلدِّينِ﴾ الذي هو الإسلام والإيمانُ والإحسان؛ بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبَدَنِكَ إلىٰ إقامة شرائع الدين الظاهرة؛ كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها، وشرائعه الباطنة؛ كالمحبَّة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة؛ بأن تعبد الله فيها كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك.

وخصَّ الله إقامة الوجه؛ لأنَّ إقبال الوجه تَبَعٌ لإقبال القلب، ويترتَّب علىٰ الأمرين سَعْيُ البدن؛ ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مقبلًا علىٰ الله في ذلك، معرضًا عمَّا سواه.

وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾».

وقال العلامة السعدي أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **متممًا معاني قصد الله بالطَّاعات خصوصًا الصلاة**[2]: «﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾: وهذا تفسير لإقامة الوجه

(١، ٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (٣/ ١٣٣٥).

للدين؛ فإنَّ الإنابة إنابةُ القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالىٰ، ويلزم من ذلك عمل البدن بمقتضىٰ ما في القلب، فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتمُّ ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة؛ فلذلك قال: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾؛ فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخصَّ من المأمورات الصلاة؛ لكونها تدعو إلىٰ الإنابة والتقوىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ فهذا إعانتها علىٰ التقوىٰ.

ثم قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فهذا حثُّها علىٰ الإنابة».

الصلاة في أذكارها وهيئاتها كلها؛ هي تحقيق وتفصيل لتكبيرة الإحرام - الله أكبر-؛ فهي توحيد لله وتكبير وذكر له، وتعظيم له في هيئات الصَّلاة وأذكارها؛ يقوم القلب متوجهًا لله، والجوارح تخضع لعظمة الله، فتُصلِّي لله وحده لا شريك له، وتتلو القرآن فتناجي ربَّها، لا إله إلا هو.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «التكبير يتضمَّنُ تفاصيل أفعال الصلاة وأقوالها وهيئتها؛ فالصلاة من أولها إلىٰ آخرها تفصيل لمضمون «الله أكبر»».

المُصلِّي في صلاته قيامه قنوت طاعة، ووقوفه لله ذلٌّ بين يدي عزيز،

(١) الصلاة (ص ١٨٥).

وركوعه وسجوده خضوع لله، وجلوسه استكانة لله وحده لا شريك له.

قال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزُّمَر: ٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هو في الصلاة يُسمىٰ قانتًا؛ لكونه مطيعًا عابدًا».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يأخذ – المصلِّي – في مناجاة ربه بكلامه، واستماعه من الإمام بالإنصات، وحضور القلب وشهوده.

وأفضل أذكار الصلاة ذكر القيام، وأحسن هيئة المصلِّي هيئة القيام، فخُصت بالحمد والثناء والمجد، وتلاوة كلام الرب جَلَّجَلَالُهُ؛ ولهذا نُهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود؛ لأنَّهما حالتا ذل وخضوع وتطامن وانخفاض؛ ولهذا شُرع فيهما من الذكر ما يناسب هيئتهما؛ فشُرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه وخضوعه، وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضاد كبرياءه وجلاله وعظمته، فأفضل ما يقول الراكع علىٰ الإطلاق: «سبحان ربِّي العظيم»؛ فإنَّ الله سبحانه أمر العباد بذلك».

---

(١) الجامع لتفسير الإمام ابن تيميَّة (١/ ٣٢٠).

(٢) الصلاة (ص ١٧٦).

الصلاة قيامها قنوت طاعة لله، وقيامها إنَّما يكون بتلاوة القرآن، والقلوب الطاهرة الزكيَّة لا تشبع من تلاوة القرآن والقيام به واستماعه، قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من القرآن»، وإنما يمل طول القيام بين يدي الله من لم يألف الطاعات، أو القاسية قلوبهم، أو المعذورون من المرضىٰ أو كبار السنِّ، أما من قرَّت عينه بمناجاة الله؛ فلا يجد مشقة في القيام لله، بل يجد فرحًا وسرورًا وانشراحًا في صدره، وإخباتًا لله، ينصرف من صلاته ولسان حاله أو مقاله وهو يناجي ربَّه: «سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك».

ومن بُلي بقسوة القلب فليُقبل علىٰ الله، وليترك فضول الكلام، وليتجنب اللغو والسماع المحرَّم، وليأخذ بسير الصَّحابة في الصَّلاة، خصوصًا قيام الليل، وليُشغل وقته بتلاوة القرآن وتفهمه والعمل به.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أمَّا مزيلات القسوة فمتعددة أيضًا؛ فمنها: كثرة ذكر الله الذي يتواطأ عليه القلب واللسان؛ قال المعلَّىٰ بن زياد: إنَّ رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بالذِّكر.

وقال وهب بن الورد: نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئًا أرق لهذه

(١) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ٢٦٣).

القلوب، ولا أشد استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبَّره.

وقال يحيىٰ بن مُعاذ وإبراهيم الخوَّاص: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرُّع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

والأصل في إزالة قسوة القلب بالذكر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد: ٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[الزُّمَر: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[الحديد: ١٦]».

ومن أراد الاستطالة علىٰ من قام بالسنَّة في الصلاة؛ ردُّوه إلىٰ صفة صلاة النبيِّ ﷺ، وكانت هي اللازمة والحكم الفصل علىٰ المخالفين لها.

عن جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أهل الكوفة شكوا سَعْدًا إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكروا من صلاته؛ فأرسل إليه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقدم عليه، فذكر له ما عابوه به من أمر الصَّلاة؛ فقال: إِنِّي لَأُصَلِّي بهم صلاة رسول الله ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، إِنِّي لَأَرْكُدُ بهم في الأوليين وَأَحْذِفُ في الأخريين، فقال: ذاك الظَّنُّ بك أبا إسحاق(١).

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصَّلوات كلِّها (ص ١٢٢ - =

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «علىٰ إمام الصلاة أن يُصلِّي لهم صلاةً كاملةً، ولا يقتصر علىٰ ما يجوز لمنفرد الاقتصار عليه من قدر الإجزاء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يجب علىٰ الولاة تعاهد مساجد المسلمين وأئمتهم، وأَمْرِهِمْ بأن يصلُّوا بهم صلاة رسول الله ﷺ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **متحدِّثًا عن اشتمال الصلاة علىٰ أفضل أنواع الذكر**[٣]: «أفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنىٰ به علىٰ نفسه، وبما أثنىٰ به عليه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حَمْدٌ، وثناء، ومَجْدٌ؛ فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع محبته والرضاء به، فلا يكون المُحِبُّ الساكت حامدًا، ولا المثني بلا مَحَبَّةٍ حامدًا؛ حتىٰ تجتمع له المحبة والثناء. فإن كرَّر المحامد شيئًا بعد شيء كانت ثناءً، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والمُلْك كان مَجْدًا.

وقد جمع الله تعالىٰ لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، فإذا قال

=

رقم ٧٥٥)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب القراءة في الظهر والعصر (ص ١٩١ - رقم ١٠١٦).

(١، ٢) السياسة الشرعيَّة (ص١٦٦).

(٣) الوابل الصيِّب (ص ٢١٩).

العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]؛ قال الله تعالىٰ: **حمدني عبدي**. وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]؛ **قال: أثنىٰ عليَّ عبدي**، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] قال: **مجَّدَني عبدي**».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولمَّا كان حمده والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة، التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات؛ شُرع في أولها ووسطها وآخرها وجميع أركانها؛ ففي دعاء الاستفتاح يحمد ويثنىٰ عليه ويمجد، وفي ركن القراءة يحمد ويثنىٰ عليه ويمجد، وفي الركوع يثنىٰ عليه بالتسبيح والتعظيم، وبعد رفع الرأس منه يحمد ويثنىٰ عليه ويمجد؛ كما كان النبي ﷺ يقول: «**ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، وفي السجود يُثنىٰ عليه بالتسبيح المتضمن لكماله المقدس، والعلو المتضمن لمباينته لخلقه، وفي التشهد يثنىٰ عليه بأطيب الثناء من التحيات، ويختم ذلك بذكر حمده ومجده».

وقد سمَّىٰ الله الصلاة بالقراءة فيها؛ وهذا دالٌّ علىٰ أنَّ القراءة ركن فيها، وأنَّها من آكد أركانها وأعظمها وأهم أذكارها.

---

(١) الصواعق المرسلة علىٰ الجهميَّة والمعطِّلة (٤/ ١٤٧٤، ١٤٧٥).

قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فيها: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القرآن فيها، وأنَّ القراءة فيها ركن؛ لأن العبادة إذا سُميت ببعض أجزائها دلَّ ذلك علىٰ فضله وركنيته، وقد عبَّر الله عن الصلاة بالقراءة وبالركوع وبالسجود وبالقيام، وهذه كلها أركانها المهمَّة».

وكان خيار الصحابة وأفضلهم يطيلون القراءة في الصلاة، خصوصًا الفجر؛ تحقيقًا لمقصودها، وهو إقامة ذكر الله، فقد صلىٰ أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الفجر، وقرأ بهم بالبقرة، وقال: «لو طلعت الشمس ما وجدتنا غافلين».

والمُصلِّي إذا تغذَّىٰ بقراءة القرآن وتدبُّر معاني ما قرأ؛ أورثه ذلك حياةً لقلبه وتزكية له، وتصحيحًا لإراداته واعتقاداته، وأزال ما فيه من الشبهات والشهوات الباطلة، وانتفع بما في آيات القرآن من المواعظ والترغيب في الخير، والتحذير من الشَّرِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «القرآن شفاء لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات؛ ففيه من البينات ما يزيل الحق

(١) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص ٧٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٥، ٩٦).

من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرىٰ الأشياء علىٰ ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره، فيبقىٰ القلب محبًّا للرشاد مبغضًا للغي، بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد.

فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، حتىٰ يصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلىٰ فطرته التي فُطر عليها كما يعود البدن إلىٰ الحال الطبيعي، ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقومه؛ فإن زكاة القلب مثل نماء البدن.

و«**الزكاة**» في اللغة: النماء والزيادة في الصلاح؛ يقال: زكا الشيء: إذا نما في الصلاح؛ فالقلب يحتاج أن يتربىٰ فينمو ويزيد حتىٰ يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يربىٰ بالأغذية المصلحة له، ولا بد مع ذلك من منع ما يضره؛ فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره وكذلك الزرع لا يزكو إلَّا بهذا».

وأوَّل ما يستفتح به المسلم صلاته بعد تكبيرة الإحرام من أدعية الاستفتاح؛ دعاء ربه أن يكون مخلصًا في صلاته وعبوديته وقيامه بين يدي

الله، وهو تذكير للمصلِّي بأن يقصد بقيامه طاعة الله وإخلاص الدين له، وأداء فرض الله في الصلاة له.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ إذا استفتح الصَّلاة كبَّرَ ثم قال: «**وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، قل: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أُمرت**».

قال الحافظ الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله: «**وجَّهت وجهي**» أي: قَصدتُ بعبادتي وتوحيدي إليه، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، أي: أقِمْ قصْدَك.

قوله: «**حنيفًا**»، قال أبو عُبَيْد: الحنيف عند العرب: من كان علىٰ دين إبراهيم، وقيل: الحَنَف: الاستقامة.

وقيل: معنىٰ الحنيفية في الإسلام: المَيْلُ إليه، والإقامة علىٰ عَقْدِه.

وقوله: «**إن صلاتي ونُسُكي**» : كلُّ ما يُتَقَرَّبُ به إلىٰ الله تعالىٰ، فيُقال: فلان ناسك من النُّسَّاك، أي: عابدٌ من العُبَّاد، يؤدِّي المناسك، وما يُتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، ويُقال: النُّسُكُ: ما أمرت به الشريعة، والورع: ما نُهي عنه».

(١) شرح السنة (٣/ ٣٦، ٣٧) باختصار.

وفي دعاء الاستفتاح في أول الصلاة يقول المُصلِّي: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جَدُّكَ، ولا إله غيرك» - رواه الترمذي من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا -؛ حمدًا لله علىٰ تيسيره للمُصلِّي القيام بين يدي الله والصلاة إليه.

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: «**وبحمدك**»، قيل: معناه: وبحمدك أبتَدئُ، وكذلك الباء في «بسم الله»، معناه: أبدأ باسم الله، وقيل: معناه: وبحمدك سَبَّحْتُكَ، أي: لك الحمد علىٰ ما وفقتني تسبيحك».

ودعاء الاستفتاح قبل القراءة بـ«سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جَدُّكَ، ولا إله غيرك»، كان يستفتح به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويُعلِّمه الناس، رواه مسلم، واختاره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسبب ذلك أنه اشتمل علىٰ أفضل الكلام بعد القرآن؛ فإن أفضل الكلام بعد القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وهذا الاستفتاح ثناء علىٰ الله، وغيره متضمن للدعاء، والثناء أفضل من الدعاء، وهو متضمن للإخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله[2].

---

(١) شرح السنة (٣/ ٣٨).

(٢) زاد المعاد (ص ٦٦).

وأنواع أدعية الاستفتاح معانيها ثلاثة: ثناء علىٰ الله، واعتراف بما يجب لله، ودعاء[١].

والسنَّة أن يأتي المصلِّي أحيانًا بنوع وأحيانًا أخرىٰ ببقية الأنواع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فعله أحيانًا أفضل من المداومة علىٰ نوع، وهجر نوع، وذلك أنَّ أفضل الهدي هدي محمَّد ﷺ، ولم يكن يداوم علىٰ استفتاح واحد قطعًا».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «لكل استفتاح حاجة ليست لغيره، فيأخذ المؤمن بحظه من كل ذكر».

وأول مقامات الصلاة بعد تكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح: الاستعاذة من الشَّيطان الرجيم؛ ليؤدي المسلم صلاته تامَّة، وليستعين بالله عليه في حفظ صلاته من وساوسه ومن السَّهو فيها.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إذا قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»؛ فقد آوىٰ إلىٰ ركنه الشَّديد، واعتصم بحوله وقوته من عدُّوِهِ الذي يريد أن

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٤٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٤٣)، باختصار.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٤٦).

(٤) الصلاة (١٧٢).

يقطعه عن ربِّه، ويباعده عن قربه؛ ليكون أسوأ حالًا».

وفي الاستعاذة من الشيطان تطهير وتطييب للفم قبل القراءة، قال الْحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من لطائف الاستعاذة أنَّها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانةٌ بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر علىٰ منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه».

وتلاوة فاتحة الكتاب في كل ركعة تذكير بمعانيها، وإذا تلاها المصلِّي بتدبُّر وتفهُّم، وعمل بما فيها؛ أورثه ذلك خيري الدنيا والآخرة؛ فالفاتحة هي أمُّ القرآن التي يرجع إليها معاني القرآن كله.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «سمَّاها النبيُّ ﷺ «**أمَّ القرآن**»؛ لأنَّ أمَّ الشيء ما يُرْجع إليه، وهذه الكلمة «الهمزة والميم» كلها تدل علىٰ تقدم وإمامة، فـ«أُمُّ القرآن» يعني: الجامعة الحاوية لمعاني القرآن».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «وتُسمىٰ أم القرآن؛ لأنَّ فيها الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القدر؛ فالآيتان الأوليان يدلان

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣).

(٢) التعليق علىٰ صحيح مسلم (٣/ ٤٢).

(٣) آداب المشي إلىٰ الصلاة (ص ٢٥).

علىٰ الإلهيات، و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] يدل علىٰ المعاد، و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] يدل علىٰ الأمر والنهي والتوكل وإخلاص ذلك كلِّه لله، وفيها التنبيه علىٰ طريق الحق وأهله المقتدىٰ بهم، والتنبيه علىٰ طريق الغي والضَّلال».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهَّاب أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية؛ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ فيها توحيد الألوهية، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ فيها توحيد الربوبية. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾؛ فيها الرد علىٰ المبتدعين.

وأما الآيتان الأخيرتان ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس؛ قسمهم الله تعالىٰ ثلاثة أصناف: مُنْعَمٌ عليه، ومغضوب عليه، وضال.

فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معهم عمل، والضالون أهل عبادة ليس معهم علم، وإن كان سبب النُّزول في اليهود والنصارىٰ؛ فهي لكل من اتصف بذلك. الثالث: من اتصف بالعلم والعمل، وهم المنعم عليهم.

وفيها من الفوائد: التبرؤ من الحول والقوة».

والمهتدي بتكراره دعاء الله وسؤاله الهداية يزيده الله هدًىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) بعض فوائد سورة الفاتحة، مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٥٧).

ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، ومقصود تكرار المسلم هذا الدعاء استصحاب هذه الهداية في يومه كلِّه، وسائر أيامه، حتىٰ يوافي ربَّه وقد أتىٰ بأسباب الفوز العظيم: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال الْحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾؛ أي: استمرَّ بنا عليه، ولا تعدِلْ بنا إلىٰ غيره، ولا تُضِلَّنا عنه».

وقال العلامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «هذا من باب الافتقار إلىٰ الله، وطلب الثبات علىٰ هذا الصراط، وطلب المزيد من البصيرة فيه، والفقه فيه؛ فكل إنسان بحاجة إلىٰ أن يثبت علىٰ هذا الصراط، وأن يستقيم عليه، وأن يثبت عليه، وأن يزداد علمًا فيه وبصيرة؛ فإنه ذو شعب، وأقوال، وأعمال؛ فعلًا وتركًا؛ فالعبد في حاجة إلىٰ المزيد من العلم والبصيرة في هذا الصِّراط، مع الثبات عليه، والبقاء عليه، والاستمرار عليه؛ ولهذا شَرع الله لنا طلب الهداية دائمًا لهذا الصِّراط؛ نسأله الثبات عليه والإرشاد إلىٰ ما قد يخفىٰ علينا منه، وأن يستمر بنا عليه، وأن لا يزغ قلوبنا عن هذه الهداية؛ فالعبد في أشد الحاجة دائمًا إلىٰ طلب هذه الهداية».

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤).

(٢) التعليق علىٰ تفسير ابن كثير لسورة الفاتحة (ص ١٩٢).

والصلاة في حقيقتها دعاءٌ، فالمسلم يتألَّه الله بأداء صلاته؛ عبوديةً لله وأداءً لحقه، سائلًا الله بلسان المقال والحال أن يتقبل طاعته، ويُدخله الجنَّة، وينجيه من النار.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ ﴾ [الفرقان: ٧٧]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قيل: لولا دعاؤكم إياه، وقيل: دعاؤُه إيَّاكم إلىٰ عبادته. فيكون المصدر مضافًا إلىٰ المفعول، وعلىٰ الأول مضافًا إلىٰ الفاعل، وهو الأرجح من القولين، وعلىٰ هذا فالمُرادُ به نوعا الدعاء، وهو في دعاء العبادة أظهر؛ أي: ما يعبأ بكم ربي لولا أنكم تعبدونه، وعبادته تستلزم مسألته؛ فالنوعان داخلان فيه».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وَالصَّحِيح من الْقَوْلَيْنِ: لَوْلَا أَنَّكُمْ تدعُونَهُ وتعبدونه؛ أَيْ: أَيُّ شَيْء يعبأُ بكم لَوْلَا عبادتكم إِيَّاه؟ فَيكون الْمصدر مُضافًا إِلىٰ الْفَاعِل.

ونعت الله صفوة خلقه من النبيِّين- عليهم السلام – بأداء العبادة؛ رغبةً ورهبةً وخشوعًا لله، وقنوتًا وخضوعًا له؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾[الأنبياء: ٩٠]».

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٨٣٧).

(٢) جلاء الأفهام (ص ٢٥٤).

وقد ذكر الله سبب دخول المؤمنين الجنَّة ونجاتهم من النَّار، فقال المؤمنون: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الطور: ٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا دعاء العبادة المتضمِّن للسؤال رغبة ورهبة، والمعنىٰ: إنَّا كنا من قبل نُخلِصُ له العبادة، وبهذا استحقوا أن وقاهم عذاب السَّمُوم، لا بمجرَّد السُّؤال المشترك بين الناجي وغيره؛ فإن الله سبحانه يسأله من في السَّموات ومن في الأرض، والفوز والنجاة إنَّما هي بإخلاص العبادة لا بمجرَّد السُّؤَال والطَّلَب».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا[٢]: «إنَّ المُصلِّي من أوَّل صلاته إلىٰ آخرها لا ينفكُّ عن دُعاء عبادةٍ وثناء، أو دعاءِ طلب ومسألة، وهو في الحالين داعٍ، فما خرجت الصلاة عن حقيقة الدعاء».

وقد سمَّىٰ الله ما يتلوه المصلِّي في قراءته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] من سورة الفاتحة دعاءً؛ ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل**».

إلىٰ أن قال: «**وإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]؛ **قال**

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٨٤١).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٨٤٢).

الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل».

وكذلك قال في تلاوة المصلِّي لسورة الفاتحة في صلاته في قراءته: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾[الفاتحة: ٦]: «**قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**».

وهذا أجمع دعاء؛ فإنَّه جمع الخير كُلَّه.

وقد قال إماما التفسير من الصَّحابة ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في معنىٰ «الصراط المستقيم»: هو الإسلام[1].

وكذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ممن تلقَّىٰ التفسير عن أبيه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ومن أعظم وأفضل وأهم الدعاء في الصلاة؛ دعاء سورة الفاتحة، التي لا تصح الصلاة إلا بها في كل ركعة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾[الفاتحة: ٦، ٧]، آمين.

وتكرار هذا الدُّعاء الذي افترضه الله علىٰ عباده وجوبًا في الصلوات المفروضة في اليوم والليلة؛ دليل علىٰ أهميته، وعظم حاجة المسلم إليه، وأنَّه لا ينفك في ليله ونهاره عن سؤال الله الهداية بنوعيها: هداية العلم وهداية العمل.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «السائر إلىٰ الله تعالىٰ والدار الآخرة، بل كل سائر إلىٰ مقصد؛ لا يتم سيره ولا يصل إلىٰ مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية، فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك، فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل، فقوته العلمية كنور عظيم بيده يمشي به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة؛ فهو يبصر بذلك النور ما يقع الماشي في الظلمة في مثله من الوهاد والمتالف، ويعثر به من الأحجار والشوك وغيره، ويبصر بذلك النور أيضًا أعلام الطريق، وأدلتها المنصوبة عليها، فلا يضل عنها؛ فيكشف له النور عن الأمرين: أعلام الطريق، ومعاطبها.

وبالقوة العملية يسير حقيقة، بل السير هو حقيقة القوة العملية؛ فإنَّ السير هو عمل المسافر، وكذلك السائر إلىٰ ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها، وأبصر المعاثر والوهاد والطرق الناكبة عنها؛ فقد حصل له شطر السعادة والفلاح، وبقي عليه الشطر الآخر؛ وهو أن يضع عصاه علىٰ عاتقه، ويُشمر مسافرًا في الطريق، قاطعًا منازلها منزلة بعد منزلة».

والدعاء في قراءة سورة الفاتحة جاء بعد حمد الله والثناء عليه، وهذا من أسباب إجابة الدعاء.

---

(١) طريق الهجرتين (ص ١٨٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا أكمل أحوال السائل: أنْ يمدح مسؤوله، ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾؛ لأنَّه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة؛ ولهذا أرشد الله إليه؛ لأنَّه الأكمل».

وهيئات الصلاة كلها دعاء إلا هيئة القيام للقراءة، وهو قنوت بالذكر بأفضل أنواعه، وهو تلاوة القرآن؛ ليكون الدعاء بعده أرجىٰ في الإجابة؛ فإنه جاء بعد قنوت وطاعة وذكر لله.

وقراءة الفاتحة والتأمين هو دعاء، والصلاة في معناها اللغوي هي الدعاء، ومن هنا قال العلماء: الدعاء في الصلاة أرجىٰ للإجابة، وكان النبيُّ ﷺ يُعلِّم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الدُّعاء كما يُعَلِّمُهم السورة من القرآن، رواه مسلم من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ: عَلِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال ﷺ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذُّنوب إلَّا أنت؛ فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني؛ إنَّك أنت الغفور الرحيم**»، رواه البخاري.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الصلاة في اللغة معناها الدعاء، والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والعابد داعٍ، كما أنَّ السائل داعٍ، وبهما فُسر قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ قيل: أطيعوني أثبكم، وقيل: سلوني أعطكم، وفُسر بهما قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فعلىٰ هذا تكون الصلاة باقيةً علىٰ مسمَّاها في اللغة، وهو الدعاء، والدعاء: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والمصلي من حين تكبيره إلىٰ سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فهو في صلاة».

فإذا كان الدعاء هو العبادة، كما قال النبيُّ ﷺ؛ فإن الصلاة دعاء بقنوت وحمد لله وتسبيح له، وتلاوة قرآن، وخضوع له بركوع وسجود؛ فدل ذلك علىٰ أنَّها أفضل العبادات.

ومواطن الدعاء في الصلاة التي جاءت بعد ذكر الله وحمده، والثناء عليه، والصلاة علىٰ النبي ﷺ؛ تضمنت أسباب الإجابة، فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أُصَلِّي والنبيُّ ﷺ، وأبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا معه، فلمَّا جلست بدأتُ بالثناء علىٰ الله، ثم الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي؛ فقال

(١) جلاء الأفهام (ص٢٥٤).

(٢) جلاء الأفهام (ص٢٥٥).

النبيُّ ﷺ: «**سل تُعْطه، سل تُعْطه**»؛ رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

والدعاء بعد الانتهاء من الصلاة وقبل السَّلام؛ أرجىٰ المواضع بالإجابة؛ لأنها جاءت بعد أن استكمل المصلِّي كل أذكار وهيئات الصَّلاة، وما تضمنته من ذكر الله وتعظيمه، والثناء عليه، وإجابة أمره بإقامة الصلاة كما أمر، والصلاة علىٰ النبي ﷺ.

وقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّه ﷺ علمه التَّشهُّد، ثم قال: «**فإذا فعلت ذلك فقد قضيت صلاتك**»، رواه البخاري، لا يُراد به تمام الانتهاء من الصَّلاة، وإنَّما يُراد به تمام أجزائها كلِّها التي قبل التسليم.

ومواضع الدعاء في الصلاة استقرأها العلماء، فقال الحافظ ابن المُلقِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «محل الدعاء من الصلاة مواطن، منها: بين التشهد والتسليم، وسيأتي، ومنها: دعاء الاستفتاح بين تكبيرة الإحرام وقبل قراءة الفاتحة، وقد سلف، ومنها الدعاء في الركوع والسجود، وسيأتي، ومنها الدعاء في الجلوس بين السجدتين؛ وحديثه مشهور، ومنها الدعاء في تلاوته فيها؛ وهو إذا مرَّ بآية فيها سؤال سأل، وإذا مرَّ بآية فيها تعوُّذ تعوَّذ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ الصلاة المشروعة هي

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٣/ ٤٣٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٣١، ٥٣٢)، باختصار.

دعاء كلها، فإنَّ الدعاء هو قصد المدعو تارة لذاته وتارة لمسألته أمرًا منه، والصلاة تتضمَّن هذين النوعين عبادة الله والثناء عليه والسؤال له وقد ذكر النبي ﷺ النوعين في الحديث الذي في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، **قال الله: أثنىٰ علي عبدي، فإذا قال العبد:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، **قال الله: مجَّدني عبدي، أو قال: فوَّض إليَّ عبدي، فإذا قال العبد:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **قال الله: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل**».

فأخبر النبيُّ ﷺ عن ربِّه أنه قال: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**»، ومسمىٰ الصلاة في اللغة قد قالوا: إنه مسمَّىٰ الدعاء، والدعاء نوعان كما تقدم، والنصف الذي للرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا هو الثناء عليه، والمقصود بذلك نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو بذلك معبود مقصود مدعو لنفسه، والنصف الآخر الذي للعبد هو السؤال والطلب منه».

والدعاء في الصلاة أرجىٰ في الإجابة؛ لأنه في مقام العبودية لله والخضوع

له، وهو مقام مناجاة وذكر لله، فالقلب أكثر إقبالًا علىٰ الله، ومقام الطاعة بل أفضل الطاعات أحرىٰ للإجابة.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد قالوا: إنَّ الدعاء مع العبادة؛ لأن فيها الإخلاص والضراعة، والإيمان والخضوع».

وكما أنَّ الدعاء في الصلاة أرجىٰ ما يكون في الصلاة، فهو في السجود أرجىٰ مواضعه؛ لأن هيئة السجود أعظم هيئات الصلاة خضوعًا لله، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العَبْدُ من رَبِّه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»، رواه مسلم.

والتسبيح هو ذكر الصَّلاة التي تُسمَّىٰ به، فالركوع والسجود ذكره التسبيح، والصلاة كلها تسبيح إذا أخلص المصلي عبوديته فيها لله، فقد أدىٰ حق الله في الصلاة له وحده لا شريك له، وهذا تنزيه له عن الشرك.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أن رسول الله ﷺ كان يُسبِّح علىٰ ظهر راحلته حيث كان وجهه، يُومِئُ برأسه.

قال العلامة عمر بن عليٍّ الفاكهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «معنىٰ «**يسبح**» هنا:

---

(١) ترتيب التمهيد (٤/ ٧٨٣).

(٢) رياض الأفهام (٢/ ٧٨٦، ٧٨٧).

يصلي النافلة، وربما أطلق التسبيح علىٰ مطلق الصلاة، وقد فُسِّر قوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، بصلاة الصبح وصلاة العصر.

والسبحة: التطوع من الذكر والصلاة، تقول: قضيت سبحتي.

وروي أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «جلد رجلين سبَّحَا بعد العصر»؛ أي صَلَّيَا.

وقد يعبر عنها أيضًا بالسجود كما قالت حفصة في الصبح: «كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر»، تعني: ركعتي الفجر.

وكذلك قوله ﷺ: «**من أدرك من الصلاة سجدة**»، يعني: ركعة بسجدتيها.

كما عبر عنها أيضًا بالقرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، أي: صلاة الفجر، والله أعلم.

وعبَّر عنها أيضًا بالدُّعاء في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]؛ أي: صلاتكم.

والتسبيح حقيقة: التنزيه، وهو قول: سبحان الله. فإطلاق التسبيح علىٰ الصلاة؛ إما من إطلاق البعض علىٰ الكل، وإما لأن المصلي منزِّهٌ لله عَزَّوَجَلَّ بإخلاص العبادة له وحده».

وتسمية الصلاة تسبيحًا لا شك أنه اصطلاح الشرع، وتسمية النبي ﷺ،

واستعمال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «تفسير «التسبيح» بالصلاة فيها أحاديث صحيحة وآثار كثيرة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا ما بين الذكر والتسبيح والصلاة من العموم والخصوص من الأسماء والمعاني[٢]: «لفظ «التسبيح» يُراد به: جنس الصلاة، وقد يُراد به: النافلة خصوصًا؛ فإنَّ الفرض لما كان له اسمٌ يخصُّه جعل هذا اللفظ للنافلة، كما في الحديث: «كان رسول الله ﷺ يُسبِّح علىٰ راحلته حيث توجَّهت به»، و«كان يُصلِّي سُبْحَةَ الضحىٰ»، ومنه ما رواه مسلم في «صحيحه» عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ صلَّىٰ في سبحته قاعدًا حتىٰ كان قبل وفاته بعام، وفي رواية: «أو اثنين»، فكان يُصلي في سبحته قاعدًا، وكان يقرأ بالسُّورة فيُرَتِّلُهَا حتىٰ تكون أطْوَلَ من أطول منها.

ومنه أيضًا: ما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يُصلِّي سُبْحَةَ الضُّحَىٰ قَطُّ، وإنِّي لأُسَبِّحُهَا، وإنَّ رسول الله ﷺ ليدعُ العملَ وهو يُحِبُّ أن يعمل به؛ خشية أن يعمل به الناس

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٤٩).

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٥٣-٥٥).

فيُفْرَض عليهم».

لكن هذا يُوجَد في كلام الصحابة تسمية التطوع سُبْحة خصوه بذلك، وأما في كلام النبي ﷺ فيحتاج إلىٰ نقل عنه.

ويُراد بـ«التسبيح»: جنس ذكر الله تعالىٰ، يقال: «فلان يُسبِّح» إذا كان يذكر الله، ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سُميت السبَّاحة للأصبع التي يُشِيرُ بها، وإن كان يشير بها في التوحيد.

ويُراد بـ«التسبيح»: قول العبد: «سبحان الله»، وهذا أخصُّ به.

وفي «السنن»: لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال: «**اجعلوها في رُكُوعكم**»، ولما نزل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلىٰ: ١]، قال: «**اجعلوها في سجودكم**».

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن، خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**من قال في يوم مائة مرة: سبحان الله وبحمده؛ حُطَّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البَحْر**».

وقد قيل: إنَّ الصلاة إنَّما سُمِّيت تسبيحًا لاشتمالها علىٰ التسبيح، كما

سُميت قيامًا وقرآنًا لاشتمالها علىٰ القيام والقراءة.

وتُسمَّىٰ ركعةً وسجدةً لاشتمالها علىٰ الركعة والسجدة».

وهيئات وأذكار الصلاة المفاضلة بينها إنَّما هي من جهة استظهار معاني أحكام الله فيها، وما كان منها من الأركان والواجبات فيجب الإتيان بها جميعًا؛ لتصح الصلاة ويتحقَّق فضل إقامتها بمجموع أركانها وواجباتها ومستحباتها.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الركوع والسجود أفضل هيئة في الصلاة؛ فالركوع أفضل هيئة من القيام؛ والسجود أفضل منه؛ والقيام أفضل من الركوع والسجود بما يُقرأ فيه؛ ولهذا نُهي المصلي أن يقرأ القرآن راكعًا، أو ساجدًا؛ فإنَّ ذِكْر القيام كلام الله؛ وهو أفضل من كل شيء؛ وذكر الركوع والسجود هو التسبيح؛ وهو أقل حرمة من القرآن؛ ولذلك حلَّ الذكر للجنب دون قراءة القرآن، ويجوز مس الورقات التي فيها الذكر بغير وضوء دون مس المصحف؛ فالله سبحانه حكيم؛ جعل لكل ركن من أركان الصلاة ميزة يختص بها؛ فالقيام اختصه بفضل ذكره؛ والركوع والسجود بفضل هيئتهما».

والنَّبيُّ ﷺ سمَّىٰ الصَّلاة بما يُقرأ فيها، قال الله في الحديث الْقدسيِّ:

---

(١) تفسير سورة البقرة (٢/ ٥٠).

«**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: ٢]، **قال الله: حمدني عبدي**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فضل هيئة القيام بذكره مستدلًّا بهذا الحديث**(١): «أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ أي بقراءتك، كما جاء مُصَرَّحًا به في الصحيح عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهكذا قال في هذا الحديث: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل**»، ثمَّ بيَّن تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة؛ فدل علىٰ عظمة القراءة في الصلاة، وأنَّها من أكبر أركانها، إذ أُطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة».

والركوع تعظيم المُصلِّي للرب في هيئته وذكره، قال الحكيم أبو عبد الله محمد بن عليٍّ الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «خضعت له بالركوع، فثنيت له صلبك، ووضعت له قامتك، مراقبًا لعظمته، تتصاغر له».

وقال الحكيم الترمذي متمِّمًا(٣): «ألا ترىٰ أنَّك تؤمر أن تقول: «سمع

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨).

(٢، ٣) الصلاة ومقاصدها (ص ٣٣).

الله لمن حمده»، عند خروجك من – الركوع – ذاك مقام الحمد، كأنك تحمده بأن ثنيت له صلبك، وخضعت بذلك كله».

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: «إنَّ الركوع موضع تعظيم لله بالتَّسبيح والتقديس، ونحو ذلك من الذكر».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يشعر – الإنسان – بأنَّه إذا ركع ففوقه ربٌّ يُعظِّمُهُ».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «تحنِي ظَهْرَك تعظيمًا لله راكعًا؛ ولهذا قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فأمَّا الركوع فعظِّموا فيه الرَّبَّ** عَزَّوَجَلَّ»، فتكون مُعَظِّمًا لله عَزَّوَجَلَّ: بهيئتك وفعلك وقولك.

بهيئتك لأنَّ هيئة الركوع تعظيم، وفعلك لأنَّ الركوع والانحناء فعْلٌ، وقولِكَ لأنَّك تقول في الرُّكوع: سبحان ربِّيَ العظيم».

والسجود من أعظم هيئات الصلاة؛ فقد سمَّىٰ النبيُّ ﷺ الصلاة به؛ بيانًا وتعظيمًا لشأنه، وسمىٰ الله الصلاة بذكره وهو التسبيح.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إن استطعت أن لا تُصَلِّي صلاةً إلا سجدت

---

(١) ترتيب التمهيد الفقهي (٤/ ٧١٧).

(٢) تفسير سورة الشورىٰ (ص ٢٨٨).

(٣) اللقاءات الشهرية (١/ ١٨).

بعدها سجدتين»، رواه ابن أبي شيبة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّما أراد به ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الركعتين بعد الفريضة جابرتين لما يكون من الفريضة من خلل، والركعة تسمىٰ سجدة، وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «حفظت عن رسول الله ﷺ سجدتين قبل الصبح وسجدتين قبل الظهر، وسجدتين بعدها» الحديث، وهو كثير في الأحاديث والآثار إطلاق اسم السجدتين علىٰ الركعتين».

فالسجود أعظم هيئة يخضع بها المسلم لله ربِّ العالمين، وهي غاية في العبودية لله وحده لا شريك له.

ولذلك كانت توبة سحرة فرعون بالسجود لله؛ قال تعالىٰ: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأعراف: ١١٧، ١٢٢].

وجعل الله السجود سببًا لتوبته علىٰ بني إسرائيل، في أعظم ذنب وهو الشرك بالله بما صنعوه من العجل وعبدوه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٤٠٣).

خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩].

فأمرهم الله بالخضوع له والتواضع بالركوع أو السجود، وأن يقولوا: (حطة)؛ أي: احطط عنا خطايانا، فاستكبروا عن التَّوبة باللسان وبالسجود، وحرَّفوا الكلم عن مواضعه، وقالوا: حنطة. واستنكفوا عن السُّجود.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: عن رسول الله ﷺ: «**قال الله لبني إسرائيل**: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ **فبدَّلوا، ودخلوا الباب يزحفون علىٰ أستاههم، فقالوا: حبة في شعرة**».

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولىٰ وأحرىٰ، ولهذا دخلوا يزحفون علىٰ أدبارهم، وكان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم».

فالسجود أعظم هيئات الصلاة، وهو أعظم هيئة يخضع بها ملائكة الله له؛ تعظيمًا وإجلالًا وخوفًا وخشوعًا وخضوعًا له، قال العلَّامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يُروىٰ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا نزل إلىٰ السماء الدنيا نادىٰ منادٍ: ألا نزل الخالق العليم، فيسجد أهل السماء، فلا يمر بأهل سماء

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٠).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (ص ١٧٦).

إلا وهم سجود، وعن النبي ﷺ أنه قال: «**ما منها أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد**»؛ يخبرك أن جميع أهل السموات ليس شيء عندهم أعظم من السجود، إذا علموا أن الله تعالىٰ قد تجلىٰ للسموات اعتصموا بالسجود تعظيمًا وإجلالًا له».

وروىٰ البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله**»، وفي حديث النَّواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلَّم الله بالوحي، سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرُّوا لله سجدًا»، رواه ابن أبي عاصم في «السنَّة».

والسجود أعظم هيئة خضع فيها النبيون توبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ كما فعل نبيُّ الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سجدها داود عَلَيْهِ السَّلَامُ توبةً، ونسجدها شكرًا»[1].

وقال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «عبَّر عن السُّجود

(١) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ١٨١٦)، والدارقطني (١/ ٤٠٧)، وهو مرسل، واعتضد بالقرآن الذي يدل علىٰ أنه سجود توبة، لقوله تعالىٰ عن سجدة داود: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص:٢٥]، واعتضد سجودنا له شكرًا بسجود النبيِّ ﷺ فيها، رواه البخاري.

(٢) رموز الكنوز (٦/ ٤٧٧).

بالركوع لما يشتركان فيه من معنىٰ الانحناء والخضوع».

قال العلَّامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هي مفزع كلِّ منيبٍ».

الملائكة تصعق من خشية الله، والسموات العظيمة تكاد تتفطر من خشية الله وعظمته، قال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورىٰ: ٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، والضحاك وقتادة، والسُّدِّي، وكعب الأحبار: أي: فَرَقًا من العظمة».

قلوبنا قاسية، استولت عليها الغفلة والجهل بعظمة الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، فمن القلوب ما هو أشدُّ قسوةً من الحجارة؛ ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ [البقرة: ٧٤].

ودلَّ علىٰ فضل السجود؛ إتيان النبي ﷺ به بين يدي الله في الشفاعة العظمىٰ.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٩).

قال العلامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيِّنًا فضل السجود من بين سائر هيئات الصلاة**[١]: «النبي ﷺ يبتهج ويخبر أمته تعظيم نعمة الله عليه، مما يخصه به يوم القيامة بأن يجعله أول مأذون له بالسجود يوم القيامة، وأخبر أنه إذا قصد إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ليشفع لأهل التوحيد خر ساجدًا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يزال كذلك حتىٰ يؤمر برفع رأسه، ويجاب إلىٰ ما سأل».

ومن الأدلَّة علىٰ فضل السجود علىٰ سائر هيئات الصلاة ما رواه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**حرَّم الله علىٰ النار أن تأكل أثر السُّجود**»، وبوَّب عليه البخاريُّ: [باب فضل السجود][٣].

وأماكن الصلاة ومحالها سُمِّيت مساجد؛ تسميةً لها بأعظم الأركان وأفضل الهيئات فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّ السجود فيه غاية الخضوع

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص ١٨٤، ١٨٥).

(٢) كتاب الأذان، باب فضل السجود (ص ١٣٠، ١٣١- رقم ٨٠٦).

(٣) صحيح البخاري (ص ١٣٠).

(٤) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص ٣٥٨).

والتواضع، وهو أفضل أركان الصلاة الفعلية وأكثرها، حتىٰ إن مواضعَ الصلاة سُمِّيتْ به، فقيل: «مسجد»، ولم يُقَل: «مقام» ولا «مركع»، لوجهين:

أحدهما: أنه أفضل وأشرف وأكثر.

والثاني: أنَّ نصيب الأرض منه أكثر من نصيبها من جميع الأفعال، فإنَّ العبد يسجد علىٰ سبعة أعضاء، وإنَّما يقوم علىٰ رِجلين. وأما الركوع فسِيَّانِ نسبةُ الأرض إليه وإلىٰ القيام، فلهذا قيل: «مسجد»، وهو موضع السجود دون موضع الركوع».

ومن أعظم ما نعت الله به عباده المتقين من الصفات: إقامة الصلاة، وقد ذكرها الله بأعظم هيئاتها: وهو الركوع والسجود، قال تعالىٰ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّـٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

والسجود أعظم الهيئات في الصلاة؛ لأنَّ المصلي حال هذه الهيئة أقرب ما يكون إلىٰ ربه، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧، ٢١٩].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٣٣).

وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾؛ أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راكعًا وساجدًا، خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه؛ خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها يكمل سائر عمله، ويستعين بها علىٰ جميع أموره».

وليس الشَّأن في سجود الجوارح لله، مع غفلة القلب عن تألهه بالخضوع لله في هذه الهيئة تعبُّدًا ورقًّا للعزيز العلي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا سجد القلب لله - هذه السجدة العظمىٰ - سجدت معه جميع الجوارح، وعَنَا الوجه حينئذ للحيِّ القيوم، وخشع الصوت والجوارح كلها، وذل العبد وخضع واستكان، ووضع خده علىٰ عتبة العبودية، ناظرًا بقلبه إلىٰ ربِّه ووليِّه نظر الذليل إلىٰ العزيز الرحيم، فلا يرىٰ إلا متملقًا لربِّه، خاضعًا له، ذليلًا مستعطفًا له، يسأله عطفه ورحمته».

فالخشوع حقيقته في القلب والجوارح تبعٌ له، هكذا كان خشوع السابقين الأوَّلِين الصادقين، أما الخشوع المصطنع في الجوارح بلا حقيقة في القلب؛ فهذا يُفسد العبادة ويُبطلها أو يُنقص أجرها بسبب شوائب الرياء المضادَّة للإخلاص.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٥)، ط: دار الحديث - القاهرة.

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ [الأنفال: ٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الوجل: رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو رؤيته».

فالسلف خشوع ظاهرهم كان تبعًا لخشوع قلوبهم، والمتصنِّعون للخشوع من الخَلَف لا يتجاوز بكاؤهم المصطنع حناجرهم، قال العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الخشوع: قيام القلب بين يدي الرب: بالخضوع، والذل، والجمعية عليه».

وهيئة الركوع والاعتدال بعد الرفع منه، وكذلك هيئة السجود والجلوس بين السجدتين؛ وقع فيها تفريط بل وتضييع، يؤديها بعض المصلين بسرعة لا يطمئن فيها، ولا يُتِمُّ أذكارها، فضلًا عن أن يستشعر قربه من الله وهو ساجد، فهذا أتىٰ بمجرد الخفض والرَّفع، لا بحقيقة الركوع والسجود.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤١١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤١٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن الركوع والسجود في لغة العرب لا يكون إلَّا إذا سكن حين انحنائه، وحين وضع وجهه علىٰ الأرض، فأمَّا مجرد الخفض والرفع عنه فلا يُسمىٰ ذلك ركوعًا ولا سجودًا».

وقال شيخ الإسلام[٢]: «إنَّه ﷺ لما كان يأتي في كل ركعة بركوع واحد وسجودين كان كلاهما واجبًا، وكان هذا امتثالًا منه لما أمر الله به من الركوع والسجود، وتفسيرًا لما أجمل ذكره في القرآن، وكذلك المرجع إلىٰ سنته في كيفية السجود، وقد كان يصلي الفريضة والنافلة، والناس يصلون علىٰ عهده، ولم يصل قط إلا بالاعتدال في الركوع والسجود، وبالطمأنينة في أفعال الصلاة كلها».

وهيئة الركوع والسجود فيها انخفاض بعد قيام، وهذه الهيئة يناسبها التسبيح، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «التكبير مشروع في الأماكن العالية، والتسبيح عند الانخفاض، كما في «السنن» عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنَّا مع رسول الله ﷺ إذا عَلَوْنَا كبَّرنا، وإذا هَبَطْنَا سَبَّحْنا»، فوُضعت الصلاة علىٰ ذلك، والمُصَلِّي في ركوعه وسجوده يُسبِّح، ويُكبِّر في الخفض

(١) القواعد النورانية (١/ ١٨٠).

(٢) القواعد النورانية (١/ ١٧٧، ١٧٨).

(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص ٢١).

والرَّفْعِ؛ كما جاءت الأحاديث الصحيحة بمثل ذلك عن النبيِّ ﷺ».

وفي مسمَّىٰ الركوع والسجود وما بينهما من العموم والخصوص قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كل ساجد راكع، وليس كل راكع ساجدًا؛ فإنه إذا سجد من قيام انحنىٰ انحناء الراكع وزاد، فإنَّه يصير ساجدًا، ولو صلىٰ قاعدًا أيضًا انحنىٰ انحناء الركوع وزاد، فإنَّه يصير ساجدًا، فالسَّاجد راكع وزيادة؛ فلهذا جاز أن يُسمَّىٰ راكعًا، وأن يُجعل الركوع نوعين: ركوعًا خفيفًا، وركوعًا تامًّا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن الركوع يسمىٰ سجودًا والسجود ركوعًا، بدليل حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «صلىٰ النبي ﷺ الكسوف ركعتين، في كل ركعة سجدتين» تريد: ركوعين، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من أدرك من العصر سجدة**»، يريد ركعة، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤]؛ يريد: ساجدًا».

وهيئة السجود من أعظم هيئات الصلاة؛ لأنَّه مقام قرب من الله وخضوع له، قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «إن الإنسان

(١) جامع الرسائل، المجموعة الأولىٰ (١/ ٣٤)، تحقيق: د: محمد رشاد سالم.

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٤٤٩).

(٣) التعليق علىٰ صحيح مسلم (٣/ ٢٤٠).

إذا أدَّىٰ الصَّلاة بخشوع وحضور قلب؛ فإنه يجد من نفسه وهو ساجد، أو يشعر وهو ساجد أنه قريب من الله؛ يدعوه ويناجيه، وهو – أيضًا – يشعر بأنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فوق كل شيء؛ أنه قريب منه، وأنه فوق كل شيء.

فإذا قال قائل: ما الحكمة في أنَّه أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد؟

فالجواب: الحكمة ظاهرة؛ لأنَّه لمَّا تواضع لله فأنزل أشرف ما فيه من الأعضاء، وأعلىٰ ما فيه من الأعضاء علىٰ الأرض التي هي موطئ الأقدام، حتىٰ ساوت جبهته قدمه؛ كان في ذلك قريبًا من الله عَزَّوَجَلَّ».

وهذا المعنىٰ الذي ذكره شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ دلَّ عليه معنىٰ الذكر في هذه الهيئة، ذكر يناسب علو الله وخضوع خلقه له، قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من تمام خشوع العبد لله عَزَّوَجَلَّ، وتواضعه له في ركوعه وسجوده؛ أنه إذا ذلَّ لربه بالركوع والسجود وصف ربَّه حينئذ **بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو**، فكأنَّه يقول: الذلُّ والتَّواضع وصفي، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك، ولهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلىٰ.

وكان النبيُّ ﷺ أحيانًا يقول في سجوده: «سبحان ذي الملك والملكوت،

(١) الخشوع في الصلاة (ص ٤٢، ٤٣).

والجبروت، والكبرياء، والعظمة»».

والجلوس بعد تمام القيام والركوع والسجود هو آخر هيئات المصلِّي في صلاته؛ جلوس سكينة وإخبات لله، وهذا الإخبات تمَّ للمصلي بسبب قيامه لله بتلاوة كتابه، وخضوعه لله وتعظيمه في الركوع والسجود، فجلس بعد ذلك مستكينًا لله متواضعًا له، يدعوه ويستغفره، ويعظمه ويحييه بما يليق بكماله سبحانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بيان معاني هذه الهيئة**[1]: «فيقعد فعل العبد الذليل جاثيًا علىٰ ركبتيه كهيئة الملقي نفسه بين يدي سيده راغبًا راهبًا، معتذرًا إليه، مستعديًا إليه علىٰ نفسه الأمارة بالسوء.

ثم شُرع له تكرير هذه العبودية مرة بعد مرَّة إلىٰ إتمام الأربع، كما شرع له تكرير الذكر مرة بعد مرَّة؛ لأنَّه أبلغ في حصول المقصود، وأدعىٰ إلىٰ الاستكانة والخضوع، فلمَّا أكمل ركوع الصلاة وسجودها وقراءتها وتسبيحها وتكبيرها؛ شرع له أن يجلس في آخر صلاته جلسة المتخشع المتذلل المستكين جاثيًا علىٰ ركبتيه، ويأتي في هذه الجلسة بأكمل التحيَّات وأفضلها».

---

(١) الصلاة (ص ١٨٢).

والهيئة الأخيرة من الصلاة؛ هيئة التحيَّات والسلام والتشهُّد، يُسلم المُصلِّي فيها علىٰ النبي ﷺ، ويُسلِّم علىٰ نفسه، وعلىٰ عباد الله الصالحين.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وفي تفسير «السلام علىٰ فلان»؛ قولان:

أحدهما: أن المراد بالسلام اسم الله تعالىٰ، فكأنه يقول: اسم الله عليه.

والثاني: أن المراد: سلَّم الله عليك تسليمًا وسلامًا، ومن سلم الله عليه فقد سلم من الآفات كلها، ثم أقرَّهم أن يسلموا علىٰ النبي ﷺ بخصوصه ابتداءً؛ فإنه أشرف المخلوقين وأفضلهم، وحقه علىٰ الأمة أوجب من سائر الخلق؛ لأن هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة كان علىٰ يديه بتعليمه وإرشاده ﷺ تسليمًا، وجزاه عنا أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أمته».

والدعاء بالتسليم في الصلاة في التشهد ورد بصيغة من أجمع صيغ العموم، لتعمَّ كل عباد الله الصالحين من الملائكة والنبيِّينَ وصالحي الإنس والجنِّ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: «**وعلىٰ عباد الله الصالحين**»؛ هو كما قال - ﷺ -: «**فإنكم إذا قلتم ذلك أصابت كل عبد لله**

(١) فتح الباري (٧/ ٣٢٨).

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٣٠).

صالح في السماء والأرض»، فيغني ذلك عن تعيين أسمائهم؛ فإن حصرهم لا يمكن، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها النبيُّ - ﷺ -».

وفي تسليم المصلِّي في التشهد علىٰ عباد الله الصالحين عمومًا والدعاء للنبي ﷺ خصوصًا؛ أداء لحقهم بالدعاء والاستغفار لهم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله سبحانه شرع للمسلمين أن يدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض، ويترحَّم عليه في حياته وبعد موته، وشرع لنا أن نصلي علىٰ النبي ﷺ في حياته وبعد موته، فالدعاء حق للمسلمين، والصلاة حق لرسول الله ﷺ».

ومقام التشَهُّد يدعو فيه المصلي بالبركة للنبي ﷺ، فيكون ذلك من أسباب البركة عليه؛ فإن الله يجازي بالإحسان إحسانًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أنَّها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره، وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داعٍ ربه أن يبارك عليه وعلىٰ آله، وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه».

ومقام التشهد هو المقام الأخير للمسلم في صلاته قبل التسليم والتحلل

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٦٤١، ٦٤٢).

(٢) جلاء الأفهام (ص ٦١٥).

من الصلاة، فالمنصرف من صلاته لا ينصرف حتىٰ يحيي ربَّه تحية عظيمة تليق بجلاله سبحانه، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن الله تعالىٰ هو السلام؛ لأنه القُدُّوس المبَرَّأُ من الآفات والنقائص كلها، وذلك واجب له لذاته، ومنه تُطلب السلامة لعباده؛ فإنهم محتاجون إلىٰ السلامة من عقابه وسخطه وعذابه.

وفي قولهم هذا الكلام قبل أن يعلموا التحيات: دليل علىٰ أنهم رأوا أن المنصرف من صلاته لا ينصرف حتىٰ يحيِّي الله تعالىٰ وخواصَّ عباده بعده، ثم ينصرف، ثم يسلم؛ لأن المُصَلِّي يناجي ربَّه ما دام يصلي، فلا ينصرف حتىٰ يختم مناجاته بتحية تليق به، ثم يحيي خواصَّ خلقه، ثم يدعو لنفسه، ثم يسلم علىٰ الحاضرين معه، ثم ينصرف».

وكما افتتح المسلم صلاته بتعظيم الله وتكبيره وتوحيده؛ فإنه يختتم صلاته بما يجمع حقيقة الدين كلِّه، وهو الشهادتان: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أمرهم أن يختموه بالشهادتين، فيشهدون لله بتفرده بالإلهية، ويشهدون لمحمد بالعبودية

(١) فتح الباري (٧/ ٣٢٦).

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٣٠، ٣٣١).

والرسالة؛ فإن مقام العبودية أشرف مقامات الخلق؛ ولهذا يسمِّي الله محمدًا - ﷺ - في أشرف مقاماته وأعلاها بالعبودية، كما قال تعالىٰ في صفة ليلة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، وقال في حقه في مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

ولهذا المعنىٰ لما سلم علىٰ الصالحين في هذا التشهد سماهم: «عباد الله الصالحين»، والصالحون هم القائمون بما لله عليهم من الحقوق له ولخلقه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الشهادتان اللتان هما أصلا الدين وجِماعُهُ؛ فإن جميع الدين داخل في «الشهادتين» إذ مضمونهما ألا نعبد إلا الله وأن نطيع رسوله، و«الدين» كله داخل في هذا، في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وكل ما يجب أو يُستحبُّ داخل في طاعة الله ورسوله، وقد روي أنه يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**»، وهذا كفارة المجلس، فقد شُرع في آخر المجلس وفي آخر الوضوء، وكذلك كان النبي ﷺ يختم الصلاة».

وأعجب مقامات وأحوال وهيئات الصلاة أذكارها التي بعد انقضائها، فقد كان المصلي في ذكر ومناجاة لله في صلاته، فإذا أتمَّها ذكر الله أيضًا،

---

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ٥٨٧، ٥٨٨).

يريد الله أن نستصحب ذكره في أوقاتنا كُلِّها.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وكان النبيُّ ﷺ إذا قضىٰ صلاته استغفر ثلاثًا، وسبَّح وحمد الله وكبَّره ثلاثًا وثلاثين، وهلل تمام المائة في الظهر والعصر والعشاء، وكان تهليله في الفجر أول النهار وفي المغرب بعد غروب الشمس عشرًا.

وروىٰ مسلم عن كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**مُعَقِّبَات لا يخيب قائلهن** – أو: **فاعلهن** – **دبر كل صلاة مكتوبة، ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة**»، فهؤلاء هم المفلحون الفائزون، وهذا معنىٰ: «**لا يخيب قائلهن**»؛ كقوله ﷺ: «**سبق المفرِّدُون**»، قالوا: وما المفرِّدون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا، والذاكرات**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلَّامة أبو العبَّاس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ أدبار الصلوات أوقات فاضلة للدعاء والأذكار، فيرتجىٰ فيها القبول، ويُبْلَغُ ببركة التفرغ لذلك إلىٰ كل مأمول، وتسمىٰ هذه الأذكار: معقِّبات؛ لأنها تقال عَقِيب الصلوات، كما قال في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**دبر كل صلاة**» ؛ أي : آخرها.

(١) المُفهم (٢/ ٢١٥).

ويقال : دُبر بضمِّ الدال، وحكىٰ أبو عمر المطرِّز في «اليواقيت»: دَبْر كل شيء بفتح الدال: آخر أوقات الشيء؛ الصلاة وغيرها. قال: وهذا هو المعروف في اللغة، قال: وأما الجارحة فبالضم. وقال الداودي عن ابن الأعرابي: دُبُر الشيء ودَبْرُهُ، بالوجهين: آخر أوقات الشيء، والدِّبار جمعه، ودابر كل شيء: آخره أيضًا».

والذكر بعد الصلاة نظائره الذكر بعد إتمام نسك الحجِّ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة: ٢٠٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قيَّد الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأيُّ لحظةٍ خلا فيها العبد عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كانت عليه، لا له، وكان خُسرانُه فيها أعظم ممَّا ربح في غفلته عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ».

ومن صلَّىٰ، وأتمَّ صلاته بأذكارها بعدها؛ فقد أتىٰ بأسباب دخول الجنَّة، فلو وافته منيته علىٰ هذه الحال كان من أهل الجنَّة، فقد روىٰ النسائي في «السنن الكبرىٰ» عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة؛ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن**

(١) الوابل الصيِّب (ص ٨٩).

يموت»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يعني: لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت».

والذكر بعد الصلاة مما يستبق الإتيان به الصالحون، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء الفقراء إلىٰ النبي ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا، والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدَّقون. قال: «**ألا أُحَدِّثُكُم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم إلا من عمل مثله؟**

(١) في إسناده محمد بن حِمْيَر، قال يعقوب بن سفيان: ليس بقوي، ومن أجل هذا ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، قال الحافظ ابن حجر: «سلمنا، لكنَّه لا يستلزم أن يكون ما رواه موضوعًا، وقد أنكر الحافظ الضياء هذا على ابن الجوزي، وأخرجه في الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين، وقال ابن عبد الهادي: لم يصب أبو الفرج، والحديث صحيح.

قلت: لم أجد للمتقدمين تصحيحًا لتصحيحه، وقد أخرجه ابن حبان في كتاب الصلاة المفرد من رواية يمان بن سعيد عن محمد بن حمير، ولم يخرجه في كتاب الصحيح». نتائج الأفكار (٢/ ٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) الوابل الصَّيِّب (ص ٢٧٥).

تسبِّحون وتحمدون وتُكبِّرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الفقراء دلهم النبي ﷺ علىٰ عمل يستصحبونه في مدَّة عمرهم، وهو ذكر الله الكثير في أدبار الصلوات، وهذا أفضل من جهاد يقع في بعض الأحيان، ينفق صاحبه فيه ماله.

فالناس منقسمون ثلاثة أقسام: أهل ذكر يدومون عليه إلىٰ انقضاء أجلهم، وأهل جهاد يجاهدون، وليس لهم مثل ذلك الذكر، فالأولون أفضل من هؤلاء.

وقوم يجمعون بين الذكر والجهاد، فهؤلاء أفضل الناس».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد، والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد؛ أفضل من المجاهد الغافل عن ذكر الله تعالىٰ.

فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون».

والذكر بعد الصلاة أوله الاستغفار، وهذا المقصود منه نفي العجب عن المُصلِّي والمتعبِّد، والمقصود منه كذلك جبر النقص الواقع في الصلاة

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤٠٧).

(٢) الوابل الصَّيِّب (ص ٨٨، ٨٩).

بالاستغفار.

والمسلم المصلِّي يستغفر الله في صلاته بين السجدتين وفي المواضع التي يكون فيها الدعاء، وبعد الصَّلاة مباشرة، وفي أول ما يستفتح يومه ونهاره في صلاته، وفي آخر صلاته في وتره بالليل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا حال العبد مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفي هذا المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل، وكان النبيُّ ﷺ إذا سلَّم من الصلاة استغفر الله ثلاثًا، وقال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨]. قال الحسن: مدوا الصلاة إلىٰ السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم.

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩]، فأمر سبحانه بالاستغفار بعد الوقوف بعرفة والمزدلفة، وشرع للمتوضئ أن يقول بعد وضوئه: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِين**»، فهذه توبة بعد الوضوءِ، وتوبة بعد الحجِّ، وتوبة بعد الصلاة، وتوبة بعد قيام الليل، فصاحب هذا المقام مضطر إلىٰ التوبة والاستغفار كما تبين، فهو لا يزال مستغفرًا تائبًا، وكلَّما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره».

(١) طريق الهجرتين (ص ٢١٤، ٢١٥).

فأحوال الصلاة ومقاماتها كلها استغفار لله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كان النبيُّ ﷺ يَطلُب من الله المغفرة في أول الصلاة في الاستفتاح، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصحيح، وحديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصحيح في أوَّل ما يُكبِّر، ثم يطلب الاستغفار بعد التحميد إذا رفعَ رأسَه، ويطلب الاستغفار في الركوع والسجود كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الصحيح، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه. وروىٰ مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللَّهمَّ اغفِرْ لي ذنبي كُلَّه، دِقَّهُ وجِلَّهُ وأوَّلَه وآخرَه وعلانيتَه وسِرَّه**».

فلم يَبقَ حالٌ من أحوال الصلاة ولا ركنٌ من أركانِها إلَّا استغفرَ الله فيه، فَعُلِمَ أنَّه كان اهتمامُه به أكثرَ من اهتمامِه بسائرِ الأدعية».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: فَقَدْتُ رسول الله ﷺ ذات ليلة، فلمسْتُ المسجد، فإذا هو ساجد وقدماه منصوبتان، يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**»، رواه مسلم.

قال العلَّامة أبو سليمان حَمْدُ بن محمد الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «معنىٰ

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة (ص ٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) معالم السنن (١/ ٢٧٠).

ذلك الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حقِّ عبادته والثناء عليه».

وقال العلَّامة أبو المظفر ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُجمِلًا معاني هيئات وأذكار الصلاة من التكبير إلىٰ التسليم[1]: «أما الصلاة من حيث إنها شعار المؤمنين الدال علىٰ إيمانهم بربهم، الذي يصلون له، وينقطعون عن الخلق في صلاتهم إليه، ويمتنعون في كلام الأغيار في حالة وقوفهم بين يديه، مستقبلي كعبته بوجوههم زحًا - مائلين - علىٰ المشرق والمغرب، اللذين هما خافقا الشمس التي كانت تعبد من دون الله، عن يمين وشمال، مفتتحي صلاتهم بتكبير الله عن أن يعبدوا غيره، أو يتوجهوا لسواه، ثم متبعي ذلك باستعاذتهم ربهم من الشيطان الحاسد لهم علىٰ صلواتهم؛ كما حسد أباهم علىٰ رفع الله سبحانه له عليه، ثم التحصن بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، متلقين بشراه سبحانه الذي يفصح عنها نطق «بسم الله الرحمن الرحيم»، من كون الرحمة أتت في الصيغة بكلا النطقين المشتملين علىٰ أبعد غايات الرحمة في الكثرة والرأفة، ثم ذكر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم الإيمان بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رب العالمين، وأنه جَلَّ جَلَالُهُ علىٰ كونه رب العالمين، فإنه الرحمن الرحيم، فكان يعيد ذكر الرحمة مسكنًا للناطق عما كان يستدعيه من استشعار الهيبة.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٣٨٠- ٣٨٢).

ثم ذكر ﴿**ملك يوم الدين**﴾، فأشعر بإيمانه بيوم الحساب، وأن الملك يومئذ لله وحده، ولما تكررت هذه الأوصاف التي تناهت في التعريف، انتقلت حالة الناطق بها عن المغايبة إلىٰ المشاهدة فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بكاف الخطاب، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ علىٰ عبادتك؛ إذ لولا إعانتك علىٰ عبادتك لم يقم بها أحد، ثم طلب بعد ذلك الهداية لطريق الحق، وهي: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، والمستقيم الأقرب، ثم ذكر ما يدل علىٰ أنه سأل توفيقه للاتباع في أن يسلك صراط الذين سبقت إليهم المنَّة، وتمت لديهم النعمة، فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم عرف أنه بعد السؤال تعرض عوارض الغضب والضلال، وأن ذلك قد جرىٰ علىٰ من كان قد تقدم، فاستثنىٰ بـ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، ثم ختم بعد ذلك بـ(آمين).

ثم يقرأ شيئًا من القرآن، ثم ركع ليعبد الله عَزَّوَجَلَّ راكعًا كما عبده قائمًا، فيخضع بالركوع لعظمة ربه، ويمد عنقه بين يديه، ثم يعيد بعد ذلك ذكر التكبير مجدِّدًا تعظيم ربه سبحانه عند ابتدائه بهذه الحالة؛ حيث انتقل فيها من صورة إلىٰ صورة، فإذا اطمأن راكعًا قال حينئذ بعد طمأنينته؛ لئلا تختلط عليه أذكاره: سبحان ربي العظيم، فنزَّه ربه بالتسبيح وشهد له بالعظمة.

ثم كرر ذلك تكريرًا أدنىٰ الكمال منه أقل الجمع، ثم عاد انتصابه ليشعر

أنه إنما ركع خضوعًا ليميز ذلك عن هويه للسجود، فيكون عائدًا لله بركوعه، وعائدًا لله بسجوده، فإذا انتصب قائمًا قال: ربنا ولك الحمد، علىٰ نعم منها: هدايته لذلك، ومنها: عافيته التي تمكن بها من ذلك، ثم خرَّ ساجدًا، فوضع أشرف شيء فيه بين يدي ربه علىٰ التراب، ثم نزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: سبحان ربي الأعلىٰ، فاعترف لربه حين سجد علىٰ الأرض، ثم إنه لم يسجد علىٰ الأرض إلا علىٰ اليقين منه أن ربه الأعلىٰ، وكرَّر ذلك كتكريره في ركوعه.

وهكذا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ تشهده، فجلس جلوس محتشم غير مبتذل ولا متبدد، ثم قال: (التحيات لله) وهي جمع تحية، فكأنه لم يرض بتحية واحدة حتىٰ أتىٰ بالجمع من ذلك، ثم قال بعده: (والصلوات)، فيقتضي أن يعني بها مجتمع أذكاره ومحامده سبحانه، وكذلك أتبعها بقوله: (والطيبات) وهي الكلمات المطيبات.

ثم قال: (السلام عليك أيها النبي)؛ فكأنه في مقامه ذلك استشعر قربه من ربه سبحانه، فكان من أدبه أن يكون سلامه علىٰ رسوله إجلالًا وإكرامًا، ثم قال: (السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين)، فتصيب كل عبد صالح في السماء والأرض.

ثم جدَّد الشهادة فقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده

ورسوله)، وذكر العبودية هاهنا قبل ذكر الرسالة إشارة إلىٰ ما ذكرناه من السلام عليه - ﷺ -، ثم استعاذ من العذاب والفقر والفتن ثم سلم تسليمتين عن يمينه وشماله مشعرًا بسلامه أنه علىٰ نحو القادم من الغيبة، والراجع إلىٰ الخلق من الملائكة وبني آدم وغيرهم.

فهذه الصلاة بسائر أجزائها؛ تدل علىٰ الإيمان من حيث تكبيره، والاستعاذة به، وقبول بشراه، والحمد لله، والاعتراف بربوبيته، وملكه يوم القيامة، وإفراده بالعبادة، وطلب الاستعانة منه، وسؤال الهداية للطريق المستقيم، وتجنب الضلالة من حالة المغضوب عليهم والضالين، وتكبيره عند ركوعه وتعظيمه وتسبيحه في السجود، والإيمان بأنه الأعلىٰ... إلىٰ غير ذلك، فهذا كله إيمان».

❁ ❁ ❁

الخاتمة

الحمد لله علىٰ تيسيره بيان شيء من فضائل الصلاة، ومعاني ما فيها من الأذكار والهيئات، وشيء من مقاصدها، كتبت ذلك من أجل أن نسعىٰ إلىٰ إحسان الصلاة علىٰ أتم ما يكون.

ومهما كتبت في معاني الصلاة ومقاصدها فلا ريب أني لم أُحِطْ علمًا بكل ما فيها من المعاني، ولم أوفِ هذا الموضوع حقَّه، وهذا مبلغ علمي وجهدي وقت كتابة هذا المصنَّف، ومجموع طلبة العلم يقومون ببيان ذلك؛ بحيث ينتفع المسلمون من مجموع علمهم.

وصلاتنا ربَّما أديناها عادة، فإذا لم تصبنا فيها الغفلة بسبب اعتياد فعلها، واجتهدنا علىٰ إقامتها علىٰ أحسن ما يكون، نستغفر الله بعد الانتهاء منها؛ لأننا لم نعبد الله حقَّ عبادته، والنبي ﷺ إذا فرغ من صلاته استغفر ثلاثًا؛ تعليمًا لأمته الاستغفار بعد الانتهاء من العبادة، وكذلك أمرنا الله بعد انقضاء نسك الحجِّ بالاستغفار، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة أن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص ٨٣).

يستغفر الله عن التقصير، ويشكره علىٰ التوفيق، لا كمن يرىٰ أنَّه قد أكمل العبادة، ومنَّ بها علىٰ ربه، وجعلت له محلًّا ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل، كما أنَّ الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر».

الصلاة توحيد، وركن الإسلام الأعظم بعد الشهادتين، والحد الفاصل بين المسلم والكافر، وآكد شعائر الإسلام الظاهرة، وصحَّة الطاعات منوطة بصحتها، فمن صحت صلاته فقد أفلح وأنجح، فإقامة الصلاة أداءً، وحث المسلمين علىٰ حفظها؛ هو من ضروريات الدين، ومن النصيحة للمسلمين، وتعليمها في التدريس مشافهةً وفي خطب الجمعة، وبإقامتها كما صلاها النبيُّ ﷺ، وبكتابة المصنَّفات في ذلك؛ هو من حفظ هذه الشعيرة العظيمة، ومن التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

دليل الموضوعات

المقدمة	٣
فرضية الصَّلاة في السماء	٦
اتِّفاق الشرائع علىٰ فرض الصلاة	٨
الصلاة أساس الإسلام وشعار الملَّة	١١
سِيمَا الأمَّة في طهورها وصلاتها	٢٤
اقتران الصلاة بالزكاة	٢٧
المعاني الجامعة للصَّلاة	٣٠
تكريم للمصلِّين	٣٦
الصلاة حفظ وتثبيت وتجديد للإيمان	٣٩
الصلاة صفة عباد الله	٤٢
الصلاة توحيد	٤٤
الصلاة كلها ذكر لله	٥٥
الصلاة من أعظم أسباب التزكية	٥٧
الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر	٦٣
الصلاة ميزان	٦٨

الصلاة إقامة لذكر الله ٧١
الصلاة قوت القلوب وقوة للأبدان ٨٠
الصلاة أداء حقِّ الجوارح ٨٦
الصلاة أفضل الأعمال ٩٠
أحب الأعمال إلىٰ الله في أحب الأماكن إليه ٩٤
توطن ناحية بالمسجد ١٠٢
الصلاة أرجىٰ الأعمال في دخول الجنة ١٠٨
الصلاة نجاة من النار ١١٣
الصَّلاة نهر جارٍ ١١٦
الصلاة تكفِّر السَّيِّئات وترفع الدَّرجات ١١٨
الصلاة نور ١٢١
طهارة البدن والقلب والثوب استعدادًا لمناجاة الله ١٢٩
إحسان الطهارة والصلاة سبب مغفرة ما تقدم من الذنوب ١٣٢
مجاهدة النفس لأداء الصلاة ١٣٧
الاستعانة بالصَّلاة علىٰ نوائب الأمور ١٤٢
تُصلِّي لله فيُصلِّي الله عليك ١٤٧
الإقبال إلىٰ الله بالقلب والوجه والجوارح ١٤٩

الصلاة قيام بين يدي الله	١٥٢
صلاة أهل السماء والأرض	١٥٦
قبول الأعمال منوط بقبول الصلاة	١٥٩
حافظوا علىٰ الصلوات	١٦٢
صلاة الجماعة	١٦٨
واجب الولاة إقامة الصلوات	١٧٦
أقيموا الصلاة	١٨٠
يريد الله ليغفر لكم أيُّها المصلُّون	١٨٧
قرة عيون الموحدين	١٩٠
قرة عين المؤمنين ثقيلة علىٰ المنافقين	١٩٣
حتىٰ تكون الصلاة قرة عين	١٩٥
أحسن الصلاة	٢٠٢
الصلاة المقبولة	٢١٠
يُتمُّ الفرائض من التطوع	٢١٩
طبقات المصلين	٢٢٣
أحوال السَّلف مع الصلاة	٢٢٦
المُصلِّي في ذِمَّةِ الله	٢٣٧

متىٰ تكون الصَّلاة صِلَةً بين العبد وربِّهِ ٢٣٩
الخشوع في الصلاة ٢٤٥
السعي إلىٰ الصلاة بسكينة ووقار ٢٥٦
تعظيم الصَّلاة بالشغل لها، لا عنها ٢٥٧
مواقيت الصلاة ٢٦١
خمس صلوات ٢٧٠
صلاة الفجر ٢٧٧
صلاة الظهر ٢٨٧
صلاة العصر ٢٩٠
صلاة المغرب ٢٩٣
صلاة الْعِشاء ٢٩٦
صفة الصلاة ٢٩٨
هيئات الصلاة وأذكارها: ٣٠١
التكبير تعظيم لله ٣٠١
هيئات وأذكار الصلاة المفصلة تحقيق لتكبيرة الإحرام ٣٠١
إخلاص الإرادة وسعي القلب أصل الصلاة ٣٠٢
القنوت والخشوع ٣٠٣
قنوت القهر وقنوت الطاعة ٣٠٦

الصلاة جمعت معاني التوحيد والتوكل والشكر والاستغفار ٣٠٦
الصلاة أولها القراءة، والتسليم تحليلها وهو جزء منها ٣١٠
لا صلاة إلا بأم القرآن ٣١٠
شيخ الإسلام: الصلاة أفضل الأعمال، مؤلفة من كلم طيّب وعمل صالح ٣١٠
شيخ الإسلام: أفضل كلم الصلاة الطيّب: أم القرآن، وأفضل عملها الصالح السجود ٣١١
شيخ الإسلام: أم القرآن أولها التحميد وأوسطها التوحيد، وآخرها دعاء ٣١١
العلامة عبد الرحمن السعدي: الصلاة تدعو إلىٰ الإنابة والتقوىٰ ٣١٢
شيخ الإسلام: يجب علىٰ الولاة تعاهد الأئمة بأن يصلوا صلاة رسول الله ﷺ ٣١٧
القيام والقراءة والركوع والسجود أركان الصلاة المهمة ٣١٨
معاني أدعية الاستفتاح ٣٢٣
شيخ الإسلام: لكل استفتاح حاجة ليست لغيره، فيأخذ المؤمن بحظه من كل ذكر ٣٢٣
الاستعاذة استعانة بالله في حفظ الصلاة ٣٢٣
الاستعاذة تطهير وتطييب للفم ٣٢٤
الاستعاذة تهيؤ لتلاوة كلام الله ٣٢٤
الإمام محمد بن عبد الوهاب: أم القرآن فيها: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، والقدر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوكل، والإخلاص، والتنبيه

على طريق الحق، والتحذير من طريق الضلال ٣٢٤
الصلاة دعاء ٣٢٦
ابن القيم: المُصلِّي من أوَّل صلاته إلىٰ آخرها لا ينفك عن دعاء عبادة ومسألة ٣٢٨
عظم حاجة المسلم إلىٰ دعاء الفاتحة ٣٢٩
الدعاء في الصلاة أرجىٰ للإجابة ٣٣١
مواطن الدعاء في الصلاة ٣٣٢
التسبيح يُطلق علىٰ الصلاة وعلىٰ الذكر ٣٣٥
المفاضلة بين هيئات الصلاة ٣٣٩
الركوع تعظيم للرب في هيئته وذكره ٣٤٠
السجود يُطلق علىٰ الصلاة وعلىٰ الهيئة الخاصة ٣٤١
السجود أعظم هيئة يخضع بها المسلم لله سبحانه ٣٤٢
مواضع الصلاة سُمِّيت بهيئة السجود ٣٤٦
أقرب ما يكون المصلِّي من ربه وهو ساجد ٣٤٧
سجود القلب ٣٤٨
تحقيق الركوع والسجود لا مجرد الخفض والرفع ٣٤٩
مناسبة نوع ذكر الركوع والسجود لهيئتهما ٣٥٠
جلوس التشهد استكانة لله سبحانه ٣٥٣

الدعاء حق للمسلمين، والصلاة حق للرسول ﷺ ٣٥٥
هيئة التحيات والتسليم ومعاني الذكر فيها ٣٥٥
لا ينصرف المصلِّي من صلاته حتىٰ يحيي ربّه تحية عظيمة تليق به ٣٥٥
يختم المصلِّي صلاته بما يجمع حقيقة الدين كله ٣٥٦
التسليم رعاية لحق المدعو لهم ٣٥٧
الاستغفار بعد الصلاة المقصود منه نفي العجب ٣٦١
مقامات الصلاة كلها استغفار ٣٦٢
الخاتمة ٣٦٨
دليل الموضوعات ٣٧٠

❁ ❁ ❁